

Scanned by CamScanner

تاريخ عمان والخليج في العصر الإسلامي

(منذ ظهور الإسلام وحتى قيام الدولة العباسية)

دراسة وثائقية

تأليف الدكتور

عبد المنعم عبد الحميد سلطان

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية الآداب بسوهاج

وكلية الآداب — جامعة السلطان قابوس

بعمان سابقا

2011



مقـــدمة

نتعرض في الباب الأول من هذا الكتاب لدراسة فـترة من أهـم الفـترات في تاريخ عمـان في العصر الإسلامي، وهي الفتـرة التي بـدأت بظهـور الإسلام في عمان في عـهد الرسول ﷺ، وحتى سـقوط الإمـامة الإباضية الأولى سنة ١٣٤هـ/٧٥١م. وكـان الـهدف من هـذه الدراسـة عـرض بالمناقشة والتحليل لعـدد من القضايا والإشـكالات لتاريخ عمان في تلك الحقبـة، وهي في معظمـها تتعلق باخـتلاف الروايات التي وصلت إلينا عن طريق المصـادر المتنوعـة حـول زمن وقـوع بعض الأحـداث، وأبطـالـها وأماكن حدوثها.

والجدير بالملاحظة أن اختـلاف الروايات وتضاربهـا لا ينفرد بها تاريخ عمان دون غيره من الأقاليم الإسلامية، ولكنها ظاهرة تكاد تكون عامة في معظم أحداث تاريخنا الإسلامي في تلك الحقبة، والأمثلة على ذلك كثيرة، ويكفي أن نلقي نظرة على روايات المؤرخين لأحـداث الفـتح الإسـلامي في عـصر الخلفـاء الراشـدين لنلاحظ التـضارب الشـديد في تحـديد الأمـاكـن والسنوات والشخصيات التي تنتسب إليها الأحداث، مما يجعل عملية ترتيب وقائع الفتح وما صاحبـها من أحداث مشكلة تحتاج إلى جـهـد كـبير من الباحثين، لتنسيق الوقائع زمنياً والتأكد من نسبتها إلى أبطالها الحقيقيين.

وفي اعتـقادنا أن منهج البحث الذي يعتمد على اختيار الباحث لرواية واحـدة من بين العديد من الروايات المختلفـة، والتي قد يرى أنها تتسق مع الأحداث من وجهة نظره، أو التي يميل إلى الأخذ بها من بين الروايات التي تتناول نفس الحـادثة مـوضـوع دراسـتـه، وإهمـال الروايات الأخـرى دون مناقشتها أو حتى الإشارة إليها، يتنافى مع طبيعة تكون المصادر في التـاريخ

الإسلامي، والتي يعتمد معظمها على الإسناد وتعدد الروايات تبعاً لتعـدد الرواة للحادثة الواحدة. فاختيار الباحث لرواية واحدة، وإهمـال باقي الروايات، يعني إغماض العين عن باقي الروايات، والهرب من الدخول في مواجهة ضرورية مع الروايات الأخرى، إما خوفاً من الوقوع في الاضطراب والغموض، أو عدم المقدرة على الاختيار والحسم والخروج برأي محدد ينهي القضية، ويظهر الحقيقة أو يقترب منها.

لذلك كان هدفي من هذه الدراسة أن أطبق منهجاً يعتمد على مواجهة تعدد الروايات للحادثة الواحدة، فقمت بعرض الروايات طبقاً للترتيب الزمني لرواة الحادثة، ثم مناقشة الروايات المتشابهة والمتنافرة، ثم التعليل المنطقي لتأييد رواية دون أخرى، وفي النهاية ترجيح رواية واحدة قد يشترك فيها أكثر من مصدر، واستبعاد باقي الروايات. وأنا لا أنكر هنا عنصر الاجتهاد الشخصي في محاولة الاقتراب من الحقيقة، ورغم ما قد يكون في هذا الاجتهاد من بعض المحظورات، إلا أنه في كل الظروف أفضل بكثير من تجاهل الروايات المتعددة، واللجوء إلى الطريق السهل باختيار رواية واحدة والاعتماد عليها في كتابتنا للتاريخ.

والواقع أن دراسة تاريخ عُمان في العصر الإسلامي يحتاج إلى قدر كبير من الصبر والمثابرة، فالوثائق التاريخية التي يمكن الاعتماد عليها قليلة، بل نادرة في بعض الفترات، وفي البعض الآخر تصمت المصادر تماماً عن ذكر شيء عن تاريخ عمان، مما دفع بعض المؤرخين المحدثين إلى الزعم بأن المؤرخين المسلمين قد أهملوا عن عمد ذكر تاريخ عمان في كتبهم

وموسوعاتهم التاريخية لأسباب مذهبية(1)، وهذا الزعم في اعتقادنا يجانبه الصواب.

فمن البديهيات أن اهتمام المؤرخين القدماء من أصحاب كتب التاريخ العام والموسوعات كان يتجه إلى مركز الأحداث في عواصم الخلافة سواء كانت في المدينة أو دمشق أو بغداد أو غيرها من العواصم الإسلامية، ثم تتسع دائرة اهتمامهم بعد ذلك لتسجيل ما يجري من أحداث في الولايات الإسلامية المختلفة عندما يكون لذلك علاقة بمركز الأحداث، ويؤكد ذلك ما نلاحظه من أنه في المرات القليلة التي تعرضت فيها عُمان لحملة من حملات الخلافة، لم تغفل المصادر ذكر هذه الحملات وما تبعها من أحداث دون إهمال متعمد أو إعراض مقصود كما يزعم البعض(2).

ولكن بجانب مؤرخي التاريخ العام، برز في نفس الوقت ما يعرف بالتاريخ المحلي في معظم الأقطار الإسلامية حتى تلك التي كانت بها عواصم الخلافة في بعض الأوقات، فقد كثرت المؤلفات المحلية التي تناولت تاريخ بغداد ودمشق والقاهرة، وتاريخ اليمن والموصل والمغرب والأندلس وبخارى .. وغيرها كثير. ولكننا للأسف لا نصادف مثل هذه التصنيفات عن تاريخ عمان في العصر الإسلامي إلا فيما ندر، وغالباً لا يمكن إدراج ما وجد منها بين كتب التاريخ، بل ينضوي تحت باب الفقه واللغة والأنساب وتأتي الإشارات التاريخية عرَضاً دون استيفاء يشفي غليل الباحث.

ويجب هنا ألا نغفل احتمال أن تكون بعض المصادر التاريخية العمانية قد فقدت لسبب أو آخر، وقد أدرك ذلك بعض المؤرخين العمانيين في العصر

---

(1) انظر: رجب عبد الحليم، العمانيون والتجارة والملاحة، مسقط ١٩٨٩، ص ٥.
(2) المرجع السابق، ص ٦.

الحديث الذين أشاروا في مؤلفاتهم إلى افتقادهم للمصادر القديمة لتاريخهم المحلي، فيذكر الشيخ سالم بن حمود بن شامس السيابي في مقدمة كتابه «عُمان عبر التاريخ، ما يعبر عن هذا بقوله: «فهذا تاريخ عمانٍ .. وهذا ما حصلنا عليه، .. لأنه غالباً لم يدون، وما دُوِّن منه لم يُنشر ولم يَتَبين، ولكن بعض ما وجدناه ربما أغنى عما فقدنان .. ومن أين لنا أن ندرك المفقود من تاريخ عمان»[1].

أما المؤرخ العماني المشهور نور الدين السالمي (ت ١٩١٣م)، فقد لاحظ الندرة الشديدة في مصادر التاريخ العماني، وعلل ذلك بقوله «لم يكن التاريخ من شغل الأصحاب، بل كان اشتغالهم بإقامة العدل وتأثير العلوم الدينية .. فلذلك لا تجد لهم سيرة مجتمعة ولا تاريخاً شاملاً»[2]. وهكذا يعترف السالمي بأن اهتمام علماء عمان قديماً كان منصباً على العلوم الدينية، وشرح تعاليم المذهب الإباضي، وهذا عندهم أهم من تسجيل الأحداث التاريخية. ويؤكد صاحب كتاب كشف الغمة هذا المعنى المذهبي الذي دفعه لتأليف مؤلفه فيقول: «لما رأيت أهل زماننا قد غفلوا عن أهل مذهبهم الشريف، .. جعلت ظاهره في القصص والأخبار، وباطنه في المذهب المختار»[3].

وهكذا يتضح أن اهتمام المؤرخين المحليين في عمان كان منصباً على العلوم الدينية وشرح تعاليم المذهب الإباضي، مما أوجد ندرة في المصادر التاريخية التي تتناول تاريخ عمان، ولا شك أن هذه الندرة تدفع الباحث إلى

---

(١) انظر: سالم بن حمود بن شامس السيابي، عمان عبر التاريخ، (طبع و زارة التراث العمانية ١٩٨٢م)، ج ١، ص ٥.

(٢) انظر: نور الدين السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان (طبعة القلعة بمصر، بدون تاريخ)، ص ٤.

(٣) انظر: كتاب تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، المنسوب إلى سرحان بن سعيد الأزكوي العماني، تحقيق عبد المجيد القيس، القاهرة ١٩٨٠، ص ٩، ١٠.

الاعتماد على الإشارات التي وردت في المراجع المحلية الحديثة والتي غالباً ما تتكرر نصوصها من مرجع إلى آخر، ولكنها تختلف في روايتها أحياناً مع ما أوردته مصادر التاريخ العام لدوافع قومية أو مذهبية، فكان لا مناص للباحث من التمحيص والمقارنة، وتطبيق منهج البحث بدقة حتى يمكن إلقاء الضوء على القضايا الرئيسية في تاريخ عُمان في الفترة موضوع الدراسة بحثاً عن الحقيقة والاقتراب منها قدر الإمكان.

ويتناول الباب الثانى تاريخ آل المهلب في المشرق الإسلامى ونشاطهم السياسي والحربي حتى نهاية العصر الأموي. وقد حاولت من خلاله إلقاء الضوء على هذه الأسرة العريقة التي كان لها دور مؤثر في حركة الفتوحات الإسلامية في صدر الإسلام، كما تصدت لحركات المعارضة وكان لها مواقف مشرفة في الصراع ضد الخوارج الأزارقة الذين روّعوا العالم الإسلامى في المشرق وأثاروا الذعر بين الخاصة والعامة.

وقد تعرضت هذه الأسرة إلى تشهير متعمد من جانب عناصر من الشعوبيين وكُتَّاب المثالب – إما بدافع من التعصب القبلي، أو حسداً لما حازوه من تقدير لشجاعتهم وتميزهم –، ونحن في هذا البحث لم نقف أمام هذه الحالة لننفي ما ذهب إليه بعض هؤلاء من الطعن في نسبهم العربي، والإساءة إليهم، فإن نسبهم وانتماءهم إلى قبائل الأزد العُمانية قضية حسمتها معظم المصادر التاريخية، ولا مجال للشك فيها. فنجد الحجاج بن يوسف الثقفي في إحدى رسائله للمهلب يقول إنه قد اختاره لحرب الأزارقة وفضَّله على رجال من مضر، .. وهو رجل من أهل عُمان .. من الأزد..، وما كان الحجاج أو غيره من مؤرخى المسلمين يجهلون نسب المهلّب، وما قيل غير ذلك فهو ضرب من التعدي على الحقائق التاريخية.

وفى الفصل الأول حاولت إبراز دور أبي صُفرة والد المهلب خلال عصر النبوة والخلافة الراشدة، فتاريخ أبي صفرة طغت عليه شهرة ابنه المهلب، ولم يحظ باهتمام المؤرخين، فهو من أوائل الذين اعتنقوا الإسلام بين قومه أزد عُمان، كما يأتي ذكره في المصادر من بين القوّاد الذين ساهموا في حركة الفتوحات الإسلامية في المشرق في عهد الخليفتين عمر وعثمان وكان أبو صُفرة يقود فرقة من قومه الأزد وكان يصحبه من أبنائه: النجف والمغيرة وحبيب.

وجاء ذكر المهلب لأول مرة في حياة أبيه في حملة المسلمين على سجستان في أواخر خلافة عثمان (٣٥هـ/٦٥٥م)، وبوفاة أبي صفرة حوالي سنة ٣٧هـ/٦٥٧م تنتقل زعامة الأسرة إلى ابنه المهلب، لتردد المصادر نسب الأسرة كلها إليه فيطلق عليهم أحياناً «المهالبة» وأحياناً «آل المهلب».

وخلال الفترة السفيانية من تاريخ الدولة الأموية، حقق المهلب شهرة واسعة كأحد الأبطال في مجال الحرب والجهاد في الجبهة المشرقية مما رفع من شأن المهالبة وجعل ولاة خراسان يحرصون على أن يصحبهم المهلب ورجاله إلى خُراسان ليكونوا سنداً لهم في معاركهم هناك. وفي أواخر هذه الفترة تظهر براعة المهلب السياسية وحسن تقديره للأمور عندما ا شتعلت الصراعات بين القبائل في خراسان في أعقاب وفاة يزيد بن معاوية، وكان والي خراسان (سلم بن زياد) قد انسحب منها تاركاً إدارتها للمهلب، وقد أغضب هذا التصرف عناصر من المضرية، وتنازعت القبائل للسيطرة على خراسان وتمزقت أقاليمها فيما بينهم، وقد آثر المهلب في هذا الجو المضطرب ان لا يكون طرفاً في هذا الصراع، فانسحب برجاله وآل بيته وأقام بالبصرة يترقب الأحداث.

وتناولت **فى الفصل الثاني** علاقة المهالبة بثورة عبد الله بن الزبير، وهي في رأينا علاقة طبيعية نتيجة لوقوع العراق وأقاليم المشرق وأهمها خراسان تحت نفوذ ابن الزبير، ولما كان المهلب أحد القادة المشهود لهم بالكفاءة في هذه المنطقة فقد سعى ابن الزبير حثيثاً ليضم المهلب إلى صفوفه واجتمع به طويلاً وأغراه بولاية خراسان في الوقت الذي كان فيه الأمويون مشغولين بقضية الوراثة ومن يخلف معاوية الثاني، فاستجاب المهلب، وفي طريقه لخراسان مر بالبصرة التي بها معظم قبيلته ورجاله، وكانت البصرة تتعرض لخطر داهم من جانب الأزارقة، فضحى المهلب بخراسان وتصدى لحرب الأزارقة منذ هذا التاريخ (٦٥هـ/٦٨٤م) استجابة لرجاء أهل البصرة وبتكليف من عبد الله بن الزبير وأوضحت كيف استمر المهالبة في صراعهم ضد الأزارقة حتى قُتل مصعب بن الزبير سنة ٧١هـ/٦٩٠م، ويبدو أن المهلب كان يدرك أن مكانه هو الجهاد والدفاع عن الإسلام ضد الأخطار الداخلية والخارجية – سواء أكان منتمياً إلى ابن الزبير أم إلى الأمويين – لذلك أعلن المهلب البيعة لعبد الملك بن مروان الخليفة الأموي الذي شكره وأثنى عليه وأقره على ما تحت يده من ولايات وأسند إليه مهمة مواصلة الحرب ضد الأزارقة.

أما الفصل الثالث ، فقد تناولت فيه علاقة المهالبة بالدولة الأموية منذ سنة ٧١هـ/٦٩٠م وحتى القضاء على الأزارقة سنة ٧٧هـ/٦٩٦م ونلاحظ في هذه المرحلة أن آل المهلب كانوا موضع حسد من جانب عناصر استبد بها التعصب القبلي وساءها أن يسيطر الأزد على مجريات الحرب ضد الأزارقة، ويحوزوا شرف النصر تلو النصر في الوقت الذي فشل فيه غيرهم من المضرية في أن يحلوا محلهم، وكانت الخلافة الأموية تدرك أنه لا يستطيع التصدي للأزارقة إلا المهالبة. ففى الفترات القليلة التي اضطر فيها المهلب

إلى ترك موقعه في مواجهة الخوارج الأزارقة، كانت الهزائم تتوالى على جيوش الدولة الأموية. ورغم ذلك فقد تعرض المهلب للعديد من المضايقات وخاصة من جانب والي العراق الحجاج بين يوسف الثقفي الذي كان يتهمه بإطالة الحرب طمعاً في الخراج الذي يجبيه من الأراضي الخاضعة له.

ورغم الاستفزاز ظل المهلب يداري الحجاج، حتى تمكن في النهاية من تحقيق النصر على الأزارقة واعترف الحجاج على الملأ بفضل آل المهلب وإنقاذهم المشرق الإسلامي من خطر الأزارقة. وكانت ولاية خراسان هي الجائزة التي حصل عليها المهلب لجهوده في القضاء على الأزارقة.

أما الفصل الرابع ، فقد تناولت فيه فترة ولاية المهلب على خراسان حتى وفاته سنة ٨٢هـ/٧٠١م وأبرزت عدة نقاط مهمة منها أن الحجاج كان يضمر الحقد على المهلب وأغرمه مبلغاً كبيراً من المال، وعلى الرغم من ذلك فقد ظل المهلب يجاهد في سبيل نشر الإسلام ،فخيل له بسمرقند وأخرى ببخارى وأخرى بطخارستان، كما نجح المهلب في حفظ التوازن في علاقته بالحجاج وبالخليفة الأموي في دمشق فلم يكن في طبعه الغدر ونكث العهود ويظهر هذا في موقفه من ثورة ابن الأشعث سنة (٨١هـ/ ٧٠٠م)، كما يظهر بوضوح في وصيته لأبنائه قبيل وفاته.

أما الفصل الخامس ، فقد تناولت فيه تاريخ المهالبة منذ تولى قيادة الأسرة يزيد بن المهلب وحتى وفاة عمر بن عبد العزيز (١٠١هـ/٧١٩م) وأوضحت أن المهالبة في هذه الفترة قد نالوا حظاً وافراً من القوة والنفوذ وخاصة في خلافة سليمان بن عبد الملك حتى أن بعض الرواة ذكروا أن يزيد ابن الملهب كان يجلس مكان الخليفة الأموي في غيابه، ولكن هذا الوضع أثار الأحقاد والغيرة، وكانت أخطر هذه الأحقاد ما جاء من جانب أمراء البيت

الأموى فقد شعر بعضهم بالضآلة أمام نفوذ يزيد وسطوته، مما عجل بنكبة المهالبة.

أما الفصل السادس ، فقد أوضحت فيه ثورة آل المهلب ضد الدولة الأموية وحللت الأسباب التي أثارت البيت الأموي ضد يزيد، وظروف الحرب الضاربة التي خاضها يزيد ضد الأمويين، ورغم كثرة أنصاره إلا أن يزيد بن المهلب كان يرفع السيف هذه المرة في وجه الدولة صاحبة الحق الشرعي في الحكم مما أدى إلى هزيمته في موقعة العقر (١٠٢هـ/ ٧٢٠م) وقد أبرزت عوامل هزيمة يزيد في هذه الموقعة. ومطاردة الأمويين لآل المهلب في كل مكان للقضاء على نفوذهم.

وقد أوضحت فى **نهاية الباب** أنه رغم مطاردة الأمويين لآل المهلب فإن من بقي منهم ظل على عدائه للدولة الأموية طلباً للثأر، فقد ثار سليمان بن حبيب بن المهلب سنة ١٢٩هـ/٧٤٩م ضد الأمويين في الأهواز كما خرج سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب على الأمويين في البصرة معقل المهالبة سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م تأييداً للدعوة العباسية. وقد كافأ العباسيون سفيان بأن أسندوا إليه ولاية البصرة وردوا إليه أملاك أسرته[١] التى صادرتها الدولة الأموية.

---

(١) انظر: تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٣٤٥، البلاذري، الأنساب، ج ٢، ص ١٥٦ – ١٥٧.

الباب الأول
تاريخ عُمان في صدر الإسلام

- الفصل الأول: عُمان في عصر النبوة
- الفصل الثاني: عُمان والخلافة الرّاشدة

الفصل الثالث: عُمان والدولة الأموية

الفصل الرابع: عُمان بين عهدين - سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية

تمهيد

تتمتع عُمان بموقع متميز في أقصى الجنوب الشرقي لشبه الجزيره العربية، ومن كتابات الجغرافيين والمؤرخين المسلمين يمكن القول أن عُمان من الدول القليلة في شبه الجزيرة العربية ومنطقة الخليج التي تكاد تتشابه إلى حد بعيد من حيث المساحة والحدود قديماً وحديثاً، بل إنها كانت في العصور الإسلامية الأولى أكثر اتساعاً مما هي عليه الآن، فيحدها من الشمال سواحل البحرين، ومن الشمال الغربي بلاد اليمامة[1] أما الجنوب فيطل على بحر عرف باسمها في العصور الوسطى إذ يذكر صاحب الروض المعطار «كانت مياه المحيط المقابلة لعُمان يطلق عليها البحر العُماني، كما يطلق على البحار المواجخة للهند بحر الهند»[2]، أما جنوبها الغربي فيتصل بحضرموت[3] وكان إقليم الشحر من توابع عُمان أو جزءاً من أملاكها.

ويعترف الجغرافيون المسلمون باستقلالية عُمان عند تعريفهم بها فهي مستقلة بذاتها عامرة بخيراتها، وهي إقليم سلطاني مستقل[4]، فعُمان من البلاد القليلة في شبه الجزيرة العربية التي عرفت نظام الحكم الوراثي، وكانت قبيل الإسلام يتوارثها آل الجلندي، ويفهم هذا المعنى مما ذكره ابن حزم في قوله «كانت العرب ملوكا في بلادهم يتوارثون الملك كابرا عن كابر كملوك اليمن، .. وجيفر وعباد ابني الجلندي ملكي عمان»[5] وكانت عاصمتها في

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي، القاهرة ١٩٧٩، ج ١، ص ٣٤٥، الحميري، الروض المعطار، تحقيق إ حسان عباس، بيروت ١٩٨٤، ص ٦١٩.

(٢) الحميري، المصدر السابق، ص ٣٢٨.

(٣) انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت ١٩٥٥، ج ٤، ص ١٥١.

(٤) الاصطخري، مسالك الممالك، ليدن ١٩١٧، ص ٢٥-٢٦، الحميري، المصدر السابق، ص٤١٣.

(٥) انظر: ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، جدة، ١٩٨٢، ج ٢، ص ٢٢٤.

القديم مدينة صحار التي أطنب الجغرايون في وصف مبانيها ومساجدها، وما كانت عليه من مظاهر الثراء نتيجة لنشاطها التجاري المزدهر مع معظم موانئ الخليج والهند وجنوب شرق آسيا[1] هذا الموقع المتميز جعل عُمان في ملتقى التيارات الحضارية ذات الجذور العريقة والتي تأثرت بها وأثرت فيها على مر العصور ومما زاد من قوة هذا التأثير طبيعة عُمان الداخلية والنشاط البحري والتجاري لسكانها مما جعلها ملتقى لحركة بشرية واسعة بالإضافة إلى الثقافات والديانات المتعددة التي عرفتها عُمان قبل الإسلام.

وعندما ظهر الإسلام في ا لحجاز، عرف طريقه إلى عُمان بمبادرة من أهلها الذين سعوا إلى اعتناقه قبل أن تصلهم دعوة الرسول ﷺ بالدخول فيه، وهذا الأمر أعطى أهل عُمان مكانة مميزة طوال عصر الخلفاء الراشدين. شعر العُمانيون خلالها بالاستقلالية في إدارة شئونهم، واستمرت هذه الحال حتى أسندت ولاية العراق ثم الأقاليم الشرقية للدولة الإسلامية للحجاج بن يوسف الثقفي (٧٥-٩٥هـ/ ٦٩٤-٧١٣م) فبدأ الصدام لأول مرة بين السلطة الحاكمة في الدولة الأموية وبين العُمانيين، ولا يمكن الادعاء بأن هجمات الحجاج على عُمان ورغبته في إخضاعها لنفوذه كانت لأسباب مذهبية كما ذكرت بعض المراجع الحديثة، لأن الحركة الإباضية لم تكن قد تبلورت في عُمان بعد، وكان قادة الدعوة في البصرة وعلى رأسهم إمامها جابر بن زيد ينشرون مذهبهم في سرية تامة، وفي رأينا أن الحجاج أراد أن يضم هذا الإقليم المستقل الذي يتوارثه آل الجلندي ويخضعه لسيطرة الخلافة الأموية من منطلق استعراض القوة وتأكيد النفوذ

---

(١) انظر على سبيل المثال: الاصطخري، المصدر ا لسابق، ص ٢٥ ، ياقوت، المصدر السابق، ص ٣٩٣ ، ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرايا، تحقيق إسماعيل العربي، بيروت ١٩٧٠ ، ص١١٨.

القبلي، في الوقت الذي حاول فيه حكام عُمان الحفاظ على استقلالهم، ومن المحتمل أن العصبية القبلية بين النزارية واليمنية قد لعبت دورها في تحركات الحجاج بن يوسف الثقفي وتوجيهه الحملات المتتالية لإخضاع أهل عمان وهم في معظمهم من الأزد اليمنية.

ومع نهاية العصر الأموي كانت الحركة الإباضية قد نضجت في جنوب شبه الجزيرة العربية: في عُمان وحضرموت واليمن وكانت الفترة التي قضاها فقيه الإباضية الإمام جابر بن زيد في عُمان منفياً من الحجاج بن يوسف الثقفي كافية ليضع جابر بذور الدعوة في موطنه الأصلي وبين قبيلته الأزد لتنمو بعد ذلك هذه البذور وتؤتي ثمارها في الأرض العُمانية، وبدأت تظهر آثار هذه الدعوة إلى حيز الوجود في مشاركة أهل عُمان المؤثرة والفعالة في ثورة عبد الله بن يحيى طالب الحق في حضرموت واليمن والتي مدت نفوذها إلى الحجاز (١٢٩-١٣١هـ/٧٤٦-٧٤٨م) ثم قامت بعد هذه الحركة بوقت قليل إمامة الظهور الإباضية الأولى في عُمان، تأكيداً على تغلغل المذهب الإباضي بين أعداد كبيرة من العُمانيين وسيصبح تاريخ عُمان منذ ذلك الوقت مرتبطاً بتاريخ الحركة الإباضية.

عُمان في عصر النبوة

الفصل الأول
عُمان في عصر النبوة

تشير المصادر التاريخية وكتب الأنساب أن الإسلام قد عرف طريقه إلى عُمان في وقت مبكر من ظهور الدعوة الإسلامية، وإن هذا كان عن طريق مبادرات فردية جاءت من أهل عُمانٍ أنفسهم - على غير المألوف - فيروى أن أولِ من أسلم من العمانيين رجل يدعى «مازن بن غضوبة»[(١)] من سكان مدينة عمانية تسمى سمائل أو سمايل[(٢)].

ويعرفنا أحد النسابين بمازن هذا في قوله «وله خبر عجيب يخرج في أعلام النبوءة من أخبار الكهان»[(٣)]. وحسب ما نجده من وصف للكهانة والكهان[(٤)] عند العرب قبل الإسلام، فإن الرواية السابقة توحي بأن مازن بن غضوبة كان من مشاهير بلدته سمائل ومن علمائها وكهانها المعدودين لأن الكاهن غالباً ما يكون عفيف النفس يميل إلى العزلة وكثرة التأمل والتفكير الثاقب «وربما قويت النفس فأشرفت به على دراية الغائبات قبل ورودها»[(٥)]،

---

(١) هو مازن بن غضوبة أو الغضوب، بن سبيعة بن شماسة بن حيان بن مر بن حيان بن أبي بشر ويرجع نسبه إلى الغوث بن طيء (انظر: أبو بكر محمد الهمداني، عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب)، (القاهرة ١٩٧٣)، ص ٥٥، نور الدين السالمي، تحفة الأعيان، ص ٢٦.

(٢) الهمداني، المصدر السابق، ص ٥٥، سرحان بن سعيد الأزكوي، المرجع السابق، ص ٣٥. ويذكر صاحب الروض المعطار أن سمائل قرية بأرض عمان منها مازن بن غضوبة الطائي (الحميري، المصدر السابق، ص ٣٢٦).

(٣) الهمداني، المصدر السابق، ص ٥٥.

(٤) الهمداني، المصدر السابق، ص ٥٥.

(٥) انظر: المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٥٨، ج ٢، ص ١٧٥. وعن الكهانة والكهان، انظر أيضاً، النويري، نهاية الأرب (طبعة الهيئة العامة للكتاب)، ج ٣، ص ١٢٨ وما بعدها، محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، (طبع القاهرة بدون تاريخ)، ج ٣، ص ٢٦٩ وما بعدها.

وكان مازن يقوم على خدمة صنم مشهور في بلدته سمائل يسمى «ناجر» كانت تعظمه بنو خطامة وبنو ناجية من طئ[1].

وتختلط الحقيقة بالخيال فيما رواه المؤرخون عن الطريقة التي أسلم بها مازن بن غضوبة، وعن كيفية معرفته بظهور الإسلام، فيروي صاحب الروض المعطار وينقل عنه المؤرخون العُمانيون، أن مازن كان في خدمة صنم في الجاهلية – كما ذكرنا – فقدم له يوماً ذبيحة قرباناً فسمع صوتاً خارجاً من الصنم يقول:

يا مــــازن اســـمع تُسـَـــر * ظهـــر خـيـــر وبطن شـــر
بُعِثَ نَبَيّ من مُــــضَـــر بـدين الله الأكــــــبـــر
فَدَعْ نحـيـتـاً من حـجــر تسلم من حـــر صـــقـــر

ففــزع مـازن من ذلك، وبعـد عـدة أيام ذبح للصـنم ذبيحـة أخـرى، فخرج من الصنم صوتاً آخر يبشره بالنبي المرسل، ويأمره بأن يتبعه لينجو بنفسه من نــار جهنم وتستمر الرواية فتذكـر أنه في الوقت الذي كـان فيه مازن يعانى الحيرة مما سمعه من الصنم، قدم رجل من الحجاز والتقى بمازن و أخبره بدعوة الرسول ﷺ وظهور الإسلام هناك[2].

وإذا نحينا جانباً العنصر القصصي في الرواية السابقـة وما قيـل عن صنم مازن الــذي يقـرض الشـعر ويتحدث إلى ســادنه، فإنه يمكن القــول بأن مـازن قـد التقى برجل قادم من الحجــاز، وتحـدث إليـه فـأخـبره عن الحـدث المهم هناك وهو ظهور الرسـول ﷺ وانتشار الدعـوة الإسـلامية، ولما

---

(١) انظر: الحميري، المصدر السابق، ص ٣٢٦، السالمي، المرجع السابق، ص ٣٦.
(٢) انظر التفاصيل: الحميري، المصدر السابق، ص ٣٢٦–٣٢٧، السالمي، المرجع السابق، ص٣٦ – ٣٧.

كان مازن على قدر من العلم ويمارس الكهانة والسدانة، فقد أدرك من حديث الحجـازي أهمية مـا يدعـو إليـه الرسولﷺ فـحـزم أمـره على الرحـيل ليلتـقي بصاحب الرسالةﷺ، ويبدو أن مازن قد سمع من الرجل ما يشير إلى أن الإسلام يدعو إلى التوحيد وينبذ عبادة الأصنام، فبـادر بتحطيم الصنم الذي يسـدنه، وشـد رحاله إلى الحجاز وهنـاك التقى بالرسول ﷺ، وأعلن إسـلامه بين يديه، وسأل الرسولﷺ أن يدعـو له أن يذهب الله عنه ولعه بالطرب وشرب الخمـر، فدعا له الرسولﷺ، فاستجاب الله لدعائه وأقلع عن هذه المحرمات[1].

ومن الغريب أننا لا نجد تاريخاً محدداً لهذه الحادثة التي التقى فيها مازن بالرسولﷺ، ولكن يتضح من الرواية العُمانية أن مازن بعد عودته إلى بلدته، تمكن من أن يجذب أعداداً من أهل عُمان بوجه عام ومن بلدته سمائل على وجـه الخصوص إلى الدخول في الإسلام، ولعل ما ساعده على ذلك مكانتـه الدينية وشهرته بين الناس[2] ويقال أنه بنى بسمائل مسجداً سنة ٦هـ/٦٢٧م مازال يحمل اسمه حتى الآن[3] ولو صح هذا التاريخ فإنه يوحي بالتقريب عن تاريخ زيارة مازن بن غضوبة للرسولﷺ.

وفي رواية لابن سعد يفهم أن أعداداً كبيرة من أهل عُمان قد أسلموا في هذه الفترة مما دعا الرسولﷺ إلى إرسال من يعلمهم شئون دينهم ويجمع منهم الصدقات، فتقول الرواية «أسلم أهل عمان فبعث إليهم رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمي ليعلمهم شرائع الإسلام ويصدق أموالهم»[4].

---

(١) انظر: الهمداني، المصدر السابق، ص ٥٥، السالمي، المرجع السابق، ص ٣٦.
(٢) انظر: ابن رزيق، الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان، (طبع وزارة التراث العماني ١٩٧٨م)، ص ٦.
(٣) انظر التفاصيل: سيف البطاش، إرشاد انسائل إلى معرفة الأوائل (سلطنة عمان ١٩٨٨)، ص ١٣٤ – ١٣٥.
(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى (طبعة دار الشعب)، ج ١، قسم ٢، ص ٨٠.

وإذا كان من الشائع في المصادر أن العلاء بن الحضرمي قد أوفده الرسولﷺ إلى البحرين مبعوثاً للمنذر بن ساوى حاكمها في ذي القعدة سنة ٨هـ/٦٢٩[١] أي بعد فتح مكة فإن ذكره كمبعوث إلى عُمان يعطي احتمال بأنه قد جاء إليها قبل هذا التاريخ للقيام بالمهمة التى ذكرها ابن سعد، وقبل قدوم عمرو بن العاص حاملاً رسالة الرسولﷺ إلى عبد وجيفر ملكي عُمان - كما سنوضح في الصفحات التالية.

وأرجح أن مهمة العلاء كانت محددة في إقليم معين أو جزء من عُمان، مما يوحي بذلك أن ابن سعد يستطرد في روايته فيقول: «فخرج وفدهم (يقصد أهل عُمان) إلى رسول الله، فيهم أسد بن يبرح الطاحي[٢] فلقوا رسول الله فسألوه أن يبعث معهم رجلا يقيم أمرهم .. فأرسل معهم «مخربة العبدي»[٣] .. ثم قدم بعدهم «سلمة بن عباد الأزدي» في جماعة من قومه، فاستفسر من الرسولﷺ عما يعبد وما يدعو إليه، فشرح له الرسول ﷺ فأسلم «سلمة» ومن معه ودعا لهم الرسول أن يجمع كلمتهم على الخير»[٤].

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ص ١٩، قارن: ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق طه عبد الرءوف، القاهرة، ١٩٧٨، ج ٤، ص ١٨٨.

(٢) الطاحي: منسوب إلى طاحية بن سود بن الحجر بن عمران بن عامر ماء السماء، بطن من الأزد (الهمداني، المصدر ا لسابق، ص ٨٤).

(٣) يسميه خليفة بن خياط (مخرقة العبدي) ويبدو أنه تحريف، وكان مخربة من بين أعضاء الوفد الذي قدم على الرسولﷺ في المدينة من قبيلة عبد القيس يعلنون إسلامهم، وكان للعمانيين أيادي بيضاء لدى مخربة، فأراد أن يرد لهما لجميل، فطلب من الرسولﷺ أن يرسله إلى عمان ليقوم بالمهمة المطلوبة، فاستجاب له الرسولﷺ (انظر: خليفة بن خياط، كتاب الطبقات، تحقيق أكرم ضياء العمري، بغداد ١٩٦٧، ص ١٤٥).

(٤) ابن سعد، المصدر السابق، ص ٨١.

ولم يذكر ابن سعد تاريخاً محدداً لهذه الوفود العُمانية التي التقت بالرسولﷺ في المدينة، ولكن النويري الذي ينقل عنه يذكر لنا أنها قدمت على الرسولﷺ بعد فتح مكة[١]، وكما سنلاحظ من عرض الأحداث بعد ذلك أن هذه الوفود العُمانية، ومن بعثه الرسولﷺ إلى أهل عُمان مثل العلاء بن الخضرمي، ومخربة العبدي كان حدوثها قبل قدوم عمر بن العاص إلى عُمان.

ومما سبق عرضه يمكن التأكيد على أن انتشار الإسلام في عُمان قد جاء عن طريق حركة أهل عُمان ومبادرتهم بالتوجه إلى المدينة واعتناق الدين الإسلامى عن رغبة واقتناع، ولكن الدعوة الرسمية - إن صح هذا التعبير - للعُمانيين للانضواء تحت راية الإسلام، جاءت عندما بعث الرسولﷺ بكتاب إلى ملكي عُمان جيفر وعبد ا بني الجلندي يدعوهما إلى الإسلام وقد أوردت المصادر خبر هذه الرسالة النبوية، ولكن كثرة الخلاف بين هذه المصادر قد أوقعنا في حيرة حول تاريخ إرسال هذه الرسالة وشخصية حامل الرسالة، والصيغة التي كتبت بها وهل كانت رسالة واحدة أم أكثر، كل هذه الأمور تحتاج إلى إجابة واضحة لأن المصادر قد خلطت بينها وكررت روايات متنوعة دون تحديد أو حسم.

وأقدم ما وصل إلينا في هذا الموضوع رواية ابن هشام (ت٢١٣هـ/٨٢٨م) في السيرة حيث يقول: أن الرسول ﷺ بعث الرسل إلى الملوك بعد عمرته التي صد عنها يوم الحديبية وذكر أسماء الرسل وأسماء من أرسلوا إليهم ومن بين هؤلاء: «.. عمرو بن العاس السهمي إلى جيفر

---

(١) النويري، المصدر السابق، ج ١٨، ص ١١٤ - ١١٥.

وعباد[1] ابني الجلندي الأزديين ملكي عُمان،[2] وبما أن أحداث الحديبية قد وقعت في ذي القعدة سنة ٦هـ/٦٢٧م، فإنه من المحتمل طبقاً لهذه الرواية أن الرسول ﷺ قد بعث عمرو بن العاص إلى عُمان في أوائل سنة ٧هـ/٦٢٨م[3] وهنا يثار سؤال مهم، هل كان عمرو بن العاص قد أسلم في هذا التاريخ أو قبله؟.

وطبقاً لرواية ابن هشام بإسناد عن عمرو بن العاص نفسه أنه أعلن إسلامه في المدينة أمام الرسول ﷺ «قبل الفتح»[4] فهل المقصود هنا فتح مكة؟ فإذا كان الأمر كذلك فرواية ابن هشام لا تستقيم، فلا يعقل أن يرسل الرسول ﷺ عمرو بن العاص مبعوثاً إلى عُمان وهو على شركه، أم أن المقصود بالفتح هنا «الحديبية» التي نزلت فيها سورة الفتح ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾[5]، وإذا كان الاحتمال الأخير صحيحاً، فإن رواية ابن هشام تتسق زمنياً بين إسلام عمرو بن العاص وإرساله إلى عُمان، ونلاحظ أن المصادر المتأخرة تذكر رواية ابن هشام فيما يختص بإسلام عمرو بن العاص، وتحدد تاريخاً لإسلامه عام خيبر سنة ٧هـ/٦٢٨م[6] أو بين الحديبية وخيبر[7]

---

(١) يجدر الملاحظة أن بعض المصادر تذكره «عبد» والبعض «عباد».

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ١٨٧ ، ١٨٨ .

(٣) يذكر ابن سعد أن الرسول ﷺ قد بعث الرسل بكتبه إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وذلك بعد عودته من الحديبية، وتحرك ستة نفر منهم في المحرم سنة ٧ هـ، ولم يذكر من بينهم عمرو بن العاص (انظر: الطبقات الكبرى، ج ١، قسم ٢، ص ١٥).

(٤) انظر: ابن هشام، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٧٣ – ١٧٤ .

(٥) سورة الفتح ٤٨ : ١.

(٦) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة (القاهرة ١٩٧١)، ج ٤، ص ٢٤٥ .

(٧) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، (القاهرة ١٣٢٨هـ)، ج ٣، ص ٢، ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (القاهرة ١٣٢٨هـ)، ج ٢، ص ٥٠٨ .

ولكن تعود لتنفي ما سبق لتؤكد أن الأصح هو أن عمرو بن العاص أسلم في صفر سنة ٨هـ/٦٢٩م[1]، وهكذا فإن رواية ابن هشام متضاربة ولا يمكن الأخذ بها.

وتأتي في الترتيب الزمني بعد ذلك رواية ابن سعد (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م) فيقول: «.. بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص في ذي القعدة سنة ثمان إلى جيفر وعبد ابني الجلندي..»[2].

أما البلاذري (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) في كتابه فتوح البلدان فيعطينا أكثر من رواية في هذا الموضوع، ولأهميتها في مناقشة قضيتنا سأوردها بنصها:

«كان الأغلبين على عُمان الأزد، وكان بها من غيرهم بشر كثير في البوادي، فلما كانت سنة ثمان بعث رسول الله ﷺ أبا زيد الأنصارى أحد الخزرج وهو أحد من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ – واسمه فيما ذكر الكلبي قيس بن سكن بن زيد بن حرام، وقال بعض البصريين: اسمه عمرو ابن أخطب .. وقال سعيد بن أوس الأنصاري: اسمه ثابت بن زيدا! – وبعث عمرو بن العاص السهمي إلى عبد وجيفر ابني الجلندي بكتاب منه، يدعوهما فيه إلى الإسلام وقال: إن أجاب القوم إلى شهادة الحق وأطاعوا الله ورسوله فعمرو الأمير وأبو زيد على الصلاة وأخذ الإسلام على الناس وتعليمهم القرآن والسنن، فلما قدم أبو زيد وعمرو عُمان، وجدا عبداً وجيفرا

---

(١) انظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ص ٢٤٥ ، ابن حجر، المصدر السابق، ص ٢ ، ابن عبد البر، المصدر السابق، ص ٥٠٨ .

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ١، قسم ٢، ص ١٨ .

بصحار[١] على ساحل البحر فأوصلا كتاب النبي ﷺ إليهما، فأسلما ودعوا العرب هناك إلى الإسلام، فأجابوا إليه ورغبوا فيه، فلم يزل عمرو وأبو زيد بعُمان حتى قبض النبي ﷺ ويقال أن أبا زيد قدم المدينة قبل ذلك»[٢].

ويستطرد البلاذري قائلا «وقد قال قوم: إن رسول الله ﷺ كان وجه أبا زيد بكتابه إلى عبد وجيفر ابني الجلندي الأزديين في سنة ست، ووجه عمرا في سنة ثمان، بعد إسلامه بقليل، وكان إسلامه .. في صفر سنة ثمان .. وأن رسول الله ﷺ قال لأبي زيد: خذ الصدقة من المسلمين والجزية من المجوس»[٣].

ويفهم من روايات البلاذري أن رسول الله ﷺ قد بعث إلى عُمان مبعوثين، ويذكر أبا زيد الأنصارى ويعرفه بأنه أحد من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ومن الغريب أن البلاذري يزيد من الغموض حول شخصيةَ هذا الصحابي، فيعطي لنا غير اسمه الذي ذكره ثلاثة أسماءٍ أخرى، فأي الأسماء يمكننا الاعتماد عليها في بحثنا عن حقيقته ودوره في عمان. ولا سيما أنه في روايته الثانية يفصل بين دور أبي زيد هذا وبين عمرو بن العاص، فالأول قد جاء إلى عُمان سنة ٦هـ/٦٢٧م والثاني سنة ٨هـ/٦٢٩م.

---

(١) كانت صحار عاصمة عُمان في ذلك الوقت ميناء مشهوراً على ساحل الخليج العربي، ويعدها المؤرخون من بين أهم أسواق العرب المشهورة قبل الإسلام، ويعقد سوقها في أول رجب من كل عام، ولا يحتاج فيها إلى خفارة لأنها كانت أرض مملكة، وكان آل الجلندي يوفرون الأمان للتجار ويأخذون منهم العشر (انظر: تاريخ اليعقوبي، «بيروت بدون تاريخ»، ج ٦، ص ٢٧٠، المسعودي، التنبيه والإشراف «بيروت ١٩٨١»، ص ٢٦٠).

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، ١٩٥٦، ج ١، ص ٩٢، وينقل عنه هذا النص باختصار قدامه بن جعفر (ت ٣٢٩) في كتابه الخراج وصناعة الكتابة (طبع العراق ١٩٨١)، ص ٢٧٦.

(٣) البلاذري، المصدر السابق، ص ٩٣.

ومن الأهمية أن نلاحظ انفراد البلاذري بذكر هذه الرواية التفصيلية عن أبي زيد الأنصاري، فيما عدا إشارة عابرة ذكرها خليفة بن خياط (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م) في استعراضه لعمال رسول الله ﷺ فقال: «وبعث عمرو ابن العاص إلى عُمان، قبض رسول الله وعمرو عليها، ويقال قد كان بعث أبا زيد الأنصارى إلى عُمان»[١] مما يرجح أن وفود أبي زيد الأنصارى ورحيله عن عُمان كان قبل قدوم عمرو بن ا لعاص.

ويختلف اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م) مع الروايات السابقة في تاريخ إرسال عمرو بن العاص إلى عُمان، فيروي في أحداث سنة (٩هـ/٦٣٠م) عن أخبار الرسل الذين أوفدهم الرسول ﷺ فيقول: «.. وعمرو ابن العاص إلى جيفر وعباد ابني الجلندي إلى عُمان»[٢].

أما الطبري فيذكر ثلاث روايات مختلفة التواريخ عن بعث الرسول ﷺ عمرو بن العاص إلى عُمان: فيروي في أحداث سنة ٦هـ/٦٢٧م بعد ذكر الحديبية عن رسل الرسول ﷺ إلى الملوك، أنه بعث «عمرو ابن العاص إلى جيفر بن جلندي وعباد بن جلندي الأزديين صاحبي عُمان»[٣].

والرواية الثانية في أحداث سنة ٨هـ/٦٢٩م حيث قدم عمرو بن العاص على الرسول ﷺ في المدينة فأعلن إسلامه، وفى نفس السنة بعثه الرسول ﷺ «إلى جيفر وعباد ابني جلندي بعُمان، فصدقا النبي، وأقرا بما جاء به، وصدق أموالهما وأخذ الجزية من المجوس»[٤].

---

(١) انظر: تاريخ خليفة بن خياط، (تحقيق أكرم ضياء العمري، بغداد ١٩٦٧)، ج ١، ص ٦٢.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٧٨.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (طبعة دار المعارف بالقاهرة)، ج ٢، ص ٦٤٥.

(٤) المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٩.

أما الرواية الثالثة للطبري فتقول «كان رسول الله ﷺ قد بعث عمرو ابن العاص إلى جيفر منصرفه من حجة الوداع، (أي أوائل سنة ١١هـ/٦٣٢م فمات رسول الله وعمرو بعُمان»(١).

ويتفق المسعودي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) في كتابه التنبيه والإشراف مع الطبري في روايته الأخيرة، فيروي في أحداث سنة ١١هـ/٦٣٢م وهي سنة وفاة الرسول ﷺ «فيها كان توجيه رسول الله ﷺ عمر بن العاص إلى حيفر وعباد ابني الجلندي الأزديين صاحبي عُمان يدعوهما إلى الإسلام فأسلما»(٢).

هذه أهم وأقدم الروايات التاريخية التي تعرضت لهذه المعلومة ولا يخرج معظم المؤرخين الذين جاءوا بعد ذلك عما سبق عرضه، ويهمنا من هؤلاء المؤرخين رواية العوتبي الصحاري لأنه أقدم من كتب في هذا الموضوع من أهل عُمان – في علمنا – (توفي في القرن الخامس الهجري) الذي يذكر في روايته اسم حامل رسالة الرسول ﷺ إلى أهل عُمان عمرو بن العاص فقط، ولا يذكر أبا زيد الأنصاري، وفي نفس الوقت لا يحدد تاريخاً لقدوم عمرو إلى عُمان(٣)، ولكن روايته تهمنا في مناقشة ما يتعلق بالرسالة النبوية لأهل عُمان في الصفحات التالية.

وبعد هذا العرض يمكن مناقشة القضية على النحو التالي: فيما يتعلق بتاريخ بعث الرسول ﷺ لعمرو بن العاص إلى عُمان فإني أرجح الأخذ برواية الطبري الأخيرة التي ذكر فيها أن الرسول ﷺ قد بعث عمرو بن العاص إلى

(١) تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٥٨.
(٢) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٥٦.
(٣) العوتبي الصحاري، كتاب الأنساب (عُمان ١٩٨٤)، ج ٣، ص ٢٦٠.

عُمان منصوفه من حجة الوداع(١) والتي يؤيده فيها المسعودي(٢) وطبقاً لهاتين الروايتين يكون الرسول ﷺ قد بعث عمرو إلى عُمان أوائل سنة ١١هـ/٦٣٢م أي قبيل وفاته بعدة أشهر والدليل على ذلك: أنه إذا اعتبرنا تاريخ قدوم عمرو إلى عُمان سنة ٦هـ/٦٢٧م مرفوضاً لإجماع المصادر على أن عمرو بن العاص قد أسلم في صفر سنة ٨هـ/٦٢٩م(٣)، ومن المستحيل إرساله في هذا التاريخ قبل إسلامه، أما أشهر التواريخ فهي قدومه إلى عُمان في ذي القعدة سنة ٨هـ فإن هناك من الروايات ما يجعل هذا التاريخ مستبعداً.

ففي رواية للواقدي تشير إلى أن الرسول ﷺ عندما بعث المصدقين، أي جامعي الصدقات، في هلال المحرم سنة ٩هـ/٦٣٠م «بعث عمرو بن العاص إلى فزارة»(٤) كما تشير رواية أخرى إلى أن عمرو بن العاص كان مشاركاً في غزوة تبوك (رجب – رمضان سنة ٩هـ)(٥) كما أن الرسول ﷺ قد أسند إلى عمرو بن العاص بعد ذلك، صدقات قبائل سعد وعذرة وجذام، وأنه عندما أرسله إلى عمان كانت مهمته هناك مؤقتة بالانتهاء من تبليغ رسالة الرسول ﷺ إلى حاكمي عمان والاطمئنان إلى استقرار الأوضاع بها ثم العودة إلى ما أسند إليه من أعمال، فيروي الطبري: «وقد كان أبو بكر رد عمرو بن العاص على عمالة كان رسول الله ﷺ ولاها إياه من صدقات سعد

(١) تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٥٨.
(٢) المسعودي، المصدر السابق، ص ٢٥٦.
(٣) انظر على سبيل المثال: الواقدي، كتاب المغازي، تحقيق مارسدن جونس، اكسفورد ١٩٦٥، ج٢، ص ٦٦١، ابن سعد، الطبقات، م ٧، قسم ٢، ص ١٨٨، تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٩.
(٤) انظر: الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ٩٧٣.
(٥) المصدر السابق، ص ١٠٥٦.

هذيم وعذرة ومن لفها من جذام وحدس، قبل ذهابه إلى عُمان، فخرج إلى عُمان وهو على عدة من عمله إذا هو رجع، فأنجز له ذلك أبو بكر[1].

مما سبق يتضح أن عمرو بن العاص قد أسند إليه بعض الأعمال من قبل رسول الله ﷺ وكلها تأتي بعد سنة ٨هـ/٦٢٩م ومن المستحيل أن يباشر هذه الأعمال وأن يكون في عُمان في نفس الوقت، مما يرجح ما ذهبنا إليه من أنه جاء إلى عُمان مبعوثاً من الرسول ﷺ في أوائل سنة ١١هـ/٦٣٢م بعد حجة الوداع.

أما عن شخصية أبي زيد الأنصاري الذى أشار إليه خليفة بن خياط إشارة عابرة، وذكره البلاذري مشاركاً لعمرو بن العاص في حمل الرسالة إلى عُمان، ولم تذكره بعد ذلك المصادر الأخرى فإني أرجح رواية البلاذري الثانية التي تقول أن أبا زيد هذا قد جاء إلى عمان سنة ٦هـ/٦٢٧م وكان دوره تعليم الناس في عُمان أمور الدين الإسلامي والقرآن[2] وفي هذه الحالة فإن أبا زيد لم يكن يحمل رسالة لأن قدومه إلى عُمان قد يكون استجابة لطلب أحد الوفود العُمانية التى سبق أن ذكرناها. وبالتالي فإن رحيله عن عُمان كما يشير البلاذري وابن خياط كان قبل قدوم عمرو بن العاص إليها حاملاً رسالة الرسول ﷺ[3].

وفيما يتعلق برسالة الرسول ﷺ إلى حاكمي عُمان، فنلاحظ وجود أكثر من رسالة موجهة إلى عُمان في العصر النبوي، أهمها الرسالة الرسمية التي بعثها الرسول ﷺ إلى ملكي عُمان عبد وجيفر، وينفرد القلقشندي بذكر نصين

(١) تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٨٩.

(٢) انظر: أبو عبيد القاسم بن سلام، كتاب الأموال، ص ٢٦، الحميري، الروض، ص ٤١٣.

(٣) انظر: تاريخ خليفة بن خياط، ج ١، ص ٦٢، البلاذري، فتوح، ص ٩٢، ٩٣.

لهذه الرسالة: النص الأول أوردته معظم المصادر، أما النص الثاني: فينقله عن كتاب الأموال، ويعتبرهما القلقشندي نصين لرسالة واحدة، ولأهميتهما في دراستنا، فسنعرض النصين:

النص الأول: «من محمد رسول الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي، سلام على من اتبع الهدى. أمّا بعد، فإني أدعوكما بدعاية الإسلام، أَسْلِمَا تَسْلَمَا، فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحقّ القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالإسلام ولّيتكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي في ملككما. وكتب أبي بن كعب»[1].

ويستطرد القلقشندي فيقول: «وفي رواية ذكرها أبو عبيد في كتاب الأموال أنه كتب إليهما: من محمد رسول الله لعباد الله (أسيد بن ملوك عُمان وأسيد عُمان) - هكذا - من كان منهم بالبحرين، إنهم إن آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطاعوا الله ورسوله وأعطوا حق النبي ﷺ ونسكوا نُسك المسلمين، فإنهم آمنون، وأن لهم ما أسلموا عليه..»[2].

ونلاحظ تحريفاً واضحاً وقع فيه القلقشندي عند نقله لرواية أبي عبيد فالرسالة عنده موجهة «من محمد رسول الله لعباد الله الأسبذيين ملوك عُمان وأسد عُمان .. إلخ»[3].

(١) انظر: العوتبي، الأنساب، ج ٢، ص ٢٦٠، القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، (طبع الهيئة العامة للكتاب)، ج ٦، ص ٣٨٠، علي برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية، بيروت بدون تاريخ، مجلد ٣، ص ٣٠١، السالمي، تحفة، ص ٣٩.

(٢) القلقشندي، المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٨٠.

(٤) انظر النص الأصلي للرسالة بكتاب الأموال، ص ٢٦.

ونحن لا ندري إن كان هذا التحريف قد حدث عن عمد، حيث أريد لها أن تكون موجهة إلى «أسد عُمان» لتتفق مع الرواية الأولى فذكرت عبارة «أسيد بن ملوك عُمان» بدلاً من الأسبذيين، أو كان التحريف عارضاً نتيجة لخطأ في النسخ.

وكيفما كان الأمر فإن أبا عبيد يشرح ما أورده في هذه الرسالة من عبارة «عباد الله الأسبذيين» بأنهم سموا بذلك لأنهم نسبوا إلى عبادة فرس، وهو بالفارسية «أسب» فنسبوا إليه، أما قوله «لعباد الله» يعني «بني عبد الله بن دارام» وهم قوم من الفرس[1]. ولكن الجواليقي يصحح بعض المفاهيم التي جاءت عند صاحب الأموال والقلقشندي، فمن تفسيراته أن أسبذ: اسم قائد من قواد كسرى، فارسي، وقد تكلمت به العرب وقيل «عبيد أسبذ» وكان يخاطب بهذا عبد القيس، كما قيل أن أسبذ قرية بالبحرين، وكان أصل سكانها من قرية بنفس الاسم في عُمان»[2].

ومن المؤكد أن هناك قبائل من أصل واحد منتشرة في البحرين وعُمان من الأزد وعبد القيس وربيعة وغيرها. فرواية اليعقوبي توضح ذلك فيقول: «وكان تفرق أهل اليمن في البلاد وخروجهم عن ديارهم بسبب سيل العرم، فكان أول من صار منهم إلى عُمان مالك بن فهم .. بن الأزد، وتزوج مالك بأمرأة من عبد القيس، ثم لحق بمالك جماعة من بطون الأزد منهم: الربيعة وعمران بنو عمرو بن عدي .. فلما صاروا بعمان انتشروا بالبحرين وهجر»[3].

(١) كتاب الأموال، ص ٢٧.
(٢) انظر: الجواليقي، المعرب، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة ١٩٦٩، ص ٨٦ – ٨٧.
(٣) تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٢٠٣ – ٢٠٤.

وهكذا يتضح أن الرسالة الثانية كانت موجهة إلى العناصر الفارسية ومن ينضوي تحت قيادتهم من العرب، فتشير المصادر أن أساورة[1] الفرس في عهد الرسول ﷺ كانوا منتشرين في مناطق متعددة على ساحل الخليج ومنها عُمان، وكانوا يحكمون هذه المناطق باسم الدولة الفارسية، كما ذكرت هذه الروايات اسم شخصية عُمانية يسمى صاحبها «أبو شداد الزماري العماني» الذي يأتي على لسانه أنه قد وصلت إلى عُمان رقعة من الرسول ﷺ مكتوبة على الجلد موجهة إلى الأساورة، ولم يجدوا من يقرؤها لهم، حتى عثروا على فتى استطاع قراءتها واستمعوا إلى فحواها. فلما سئل أبو شداد عن من كان على عُمان، قال: أسوار من أساورة كسرى[2].

ومن المحتمل أن الرسالة التي يتحدث عنها أبو شداد العُماني هي الرسالة الثانية التي أوردها القلقشندي نقلاً عن أبي عبيد، لأنها مكتوبة باللغة العربية وموجهة إلى العناصر الفارسية على سواحل عُمان مما جعل من الصعب عليهم قراءتها كما أشرنا، حتى جاء فتى يعرف الفارسية والعربية فأسمعهم ترجمتها، ويؤكد هذا المعنى العوتبي الصحاري فيقول: أنه عندما صار ملك عُمان إلى آل الجلندي بن المستكبر المعولي، وصار ملك فارس إلى آل ساسان كانت المهادنة بينهما، فكان بعُمان طبقاً لشروط هذه المهادنة أربعة آلاف من الأساورة والمرازبة مع عامل يكون للفرس بعُمان، وكانت المهادنة تحدد أماكن تواجد الفرس في السواحل وشطوط البحر، وظل الفرس على

(١) الأساورة عناصر عسكرية فارسية، ويقال أن لهم جذوراً هندية كانوا منتشرين في معظم سواحل الخليج قبل الإسلام، ولما انتشر الإسلام دخل بعضهم فيه وشاركوا المسلمين في غزواتهم (انظر: الجواليقي، ص ٦٨، القاضي أطهر مباركبوري، العرب والهند في عهد الرسالة، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٧١ – ٧٢).
(٢) انظر: القاضي مباركبوري، المرجع السابق، ص ٧٦.

حالهم هذا حتى ظهـور الإسلام وانتشاره بعُمـان[١] مما جعـل الرسول ﷺ يوجه إليهم رسالة خاصة بهم لأنهم كيان مستقل له نفوذه وسيطرته على بعض الأراضي العُمانية يدعوهم فيها إلى الدخول في الإسلام.

ومما يرجح هذا الرأي أن هناك سوابق مماثلـة حدثت في البحـرين فيروي ابن سعد أن الرسول ﷺ قد أرسل كتاباً إلى مجوس هجر – وهم الفرس ومن تبعهم بطبيعة الحال – يدعوهم فيها إلى الإسلام فإن أبوا أُخذت منهم الجزية[٢] وكان في نفس الوقت قد أرسل رسالة إلى المنذر بن ساوي حاكم البحرين يدعوه فيها إلى الإسلام[٣] والمعروف أن هجر كمدينة كانت عاصمة البحرين، وأحياناً كان يطلق على البحرين كلهـا هِجْر في ذلك الوقت[٤].

والظاهر أن هؤلاء الأسبذيين كانوا منتشرين في البحرين وعُمان كما جاء في نص الرسالة، وأن بعض هؤلاء قد رحل إلى المدينة لمقابلة الرسول ﷺ ليعرفوا منه الوضع الخاص بهم في ظل انتشار الإسلام في المنطقة، فكان قرار الرسول ﷺ بشأنهم الدخول في الإسلام أو دفع الجزية[٥] كما نصت رسالة الرسول ﷺ السابق الإشارة إليها.

ومما تقدم نرجح أن الرسول ﷺ قد بعث برسالتين إلى عُمـان، الرسالة الأولى الموجهة إلى عبد وجيفر ابني الجلندي ملكي عُمان وكان يحملها عمرو

---

(١) انظر: العوتبي، الأنساب، ص ٢٥٨ – ٢٥٩.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ١، قسم ٢، ص ١٩، البلاذري، فتوح، ج ١، ص ٩٥.

(٣) انظر: أبو عبيد، الأموال، ص ٢٦.

(٤) انظر: صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت ١٩٥٤، ج ٣، ص ١٤٥٢.

(٥) الجواليقي، المعرب، ص ٨٨.

ابن العاص، أما الرسالة الثانية فكانت موجهة إلى الفرس المقيمين بعُمـان باعتبارهم قوة مستقلة لها رئاستها الخاصة يدعوهم أيضاً إلى الدخول في الإسلام، وإن كنا لا نعلم تاريخ هذه الرسالة أو حاملها.

وكيفما كان الأمر فإنه من المهم بمكان معرفة تأثير رسائل الرسول ﷺ على الذين أرسلت لهم، ومدى استجابتهم لدعوته لهم إلى الدخول في الإسلام.

فالرسالة الأولى كانت موجهة إلى عبد وجيفر ابني الجلندي ملكي عُمان، وواضح أنه رغم انتشار الإسلام في عُمان وذهاب وفود من القبائل العُمانية إلى المدينة تعلن إسلامها، إلا أن حاكمي عُمان لم يكونا قد أسلما بعد، ومن المهم تحديد موقفهما من الإسلام لتأثير هذا على عُمان ككل وعلى القبائل التي لم تدخل الإسلام حتى ذلك الوقت.

وأقدم الروايات في هذا الشأن يوردها ابن سعد برواية مسندة لحامل الرسالة عمرو بن العاص، يفهم منها أن عمرو عندما قدم على عُمان أتيح له في البداية مقابلة عبد بن الجلندي الذي أحسن استقبال عمرو لذلك يصفه بأنه «أحلم الرجلين وأسهلهما خلقاً»، ولما عرف عبد المهمة التي جاء لها عمرو أفهمه أنه لا يستطيع أن يتصرف في هذا الأمر لأن أخاه هو المقدم عليه بالسن والملك، ووعده بأن يقدمه إلى جيفر حتى يقرأ كتابه، ويفهم من عبارة لعمرو بأنه مكث أياماً ببابه قبل الإذن له بمقابلته، وأنه أعطى تلميحاً لعبد عن فحوى الرسالة ودعوتهم للدخول في الإسلام وليس تفاصيلها، وأن هذه الأيام كانت بمثابة مشاورات وتقدير موقف لتحديد الرد المناسب، ورغم ذلك فالنص يذكر أن عمرو عند لقائه بجيفر سلمه كتاب الرسول ﷺ مختوماً ففض خاتمه وقرأه ثم دفعه إلى أخيه فقرأه، وطلب جيفر من عمرو أن يترك له

فرصة يوم ليرد على كتابه[١] فلما التقى عمرو بالأخوين في اليوم التالي، كان رد جيفر هو رفض الرسالة وقال لعمرو: «إني فكرت فيما دعوتني إليه، فإذا أنا أضعف العرب إذا ملكت رجلاً ما في يدي»[٢].

ولا تذكر المصادر العُمانية هذا الرفض، ولكن تشير إلى أن جيفر قال لعمرو إن ما يدعوه إليه في هذا الكتاب أمر جسيم، وإنه سيتدبر الأمر ثم يُعلمه، فعقد مجلساً ضم رؤساء الأزد كما استدعى «كعب بن برشه» وكان نصرانياً قد سبق أن التقى بالرسول ﷺ في المدينة وأعلن إسلامه على يديه وعاد إلى وطنه عُمان[٣] وجرت مشاورات وسأل المجتمعون كعب عن حقيقة أمر النبي ﷺ فأقر بنبوته وأنه سيظهر على العرب والعجم، فاستجاب عبد وجيفر ملكي عُمان إلى الإسلام[٤] وهذا يتسق مع رواية ابن سعد على لسان عمرو، السابقة حيث يذكر أنه بعدا لرفض السابق ذكره، أعلن عمرو أنه راحل إلى المدينة، فلما تأكد جيفر من رحيله أرسل إليه «فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعاً وصدّقا بالنبي ﷺ وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم»[٥].

وواضح أن الفترة الزمنية بين رفض جيفر وإسلامه طبقاً لرواية ابن سعد هي التى ذكرها العوتبي كفترة استشارة وتدبر من جانب جيفر قبل الإقدام على هذه الخطوة الخطيرة وإخضاع ملكه ودولته للإسلام، ولم يكتف الأخوان بذلك، بل يروي العوتبي أن جيفر «بعث إلى وجوه عشائره فبايعهم

---

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات، ج ١، قسم ٢، ص ١٨.

(٢) المصدر السابق، ص ١٨.

(٣) انظر التفاصيل، العوتبي، الأنساب، ج ٢، ص ٢٥٩ – ٢٦٠.

(٤) انظر: الأنساب، ص ٢٦١، قارن: ابن سعد، المصدر السابق، ص ١٨.

(٥) انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ص ١٨.

لمحمد ﷺ وأدخلهم في دينه، وألزمهم تسليم الصدقة، وأمر عمرو بن العاص بقبضها، فقبضها على الجهة التي أمر بها النبي ﷺ ثم بعث إلى مهرة والشحر[١] ونواحيها، .. ثم بعث إلى دبا وما يليها إلى آخر عُمان، فما ورد رسول جيفر إلى أحد إلا وأسلم وأجاب دعوته»[٢].

وهكذا يُفهم من المصادر أن عُمان قد أقبلت على الإسلام وأن المناطق الخاضعة لسلطان جيفر قد خضعت لأوامره واستجابت لدعوته من دبا إلى مهرة والشحر، إلا أن العناصر الفارسية الموجودة على سواحل عُمان طبقاً للمهادنة التي سبق ذكرها، والتي أشرنا إلى أن الرسول ﷺ قد أرسل إليهم رسالة يدعوهم فيها إلى دخول الإسلام، هذه العناصر رفضت الاستجابة إلى دعوة جيفر لهم بدخول الإسلام ويبدو أن جيفر قد وجد الفرصة سانحة أمامه ليتخلص من العناصر الفارسية التي تسيطر على أجزاء من سواحل عُمان، فالتقى جيفر بزعماء الفرس في عُمان وخيّرهم بين أمرين: الدخول في الإسلام أو الرحيل عن عُمان[٣] ولكن الفرس رفضوا كلا الخيارين، فكان الصدام العسكري أمراً حتمياً في هذه الظروف إذ صمم الطرفان على موقفهما، ويبدو أن جيفر كان مؤيّداً من جانب أعداد كثيرة من أهل عُمان، الذين وجدوا الفرصة سانحة للتخلص من نفوذ الفرس في

---

(١) يذكر الاصطخري أن بلاد مهرة قصبتها الشحر ويقال أنها من عُمان، أي تابعة لعُمان (انظر: كتاب الأقاليم، بغداد بدون تاريخ)، ص ١٤، ويذكر النويري أن وفوداً من أهل مهرة والشحر سبق أن وفدت على الرسول ﷺ في المدينة وأعلنوا إسلامهم أمامه وهذا قبل أن تصلهم دعوة جيفر مما سهل مهمة دخولهم في الإسلام (انظر: نهاية الأرب، ج ١٨، ص ١١٧، ١١٨).x

(٢) انظر: العوتبي، المصدر السابق، ص ٦١، قارن: قدامه بن جعفر، كتاب الخراج، ص ٢٧٦، السيرة الحلبية، مجلد ٣، ص ٣٠١ – ٣٠٣.

(٣) انظر: العوتبي، المصدر السابق، ص ٢٦٢، السالمي، تحفة الأعيان، ص ٤٠.

بلادهم، فيروي العوتبي «واجتمعت الأزد إلى جيفر بن الجلندي. وقالوا: لا يجاورنا العجم بعد هذا اليوم»[١].

وواضح أن الفرس لم يستطيعوا إدراك الروح الجديدة التي دبت في القبائل العُمانية بعد دخولها في الإسلام ا لذي ألف بينهم تحت راية واحدة وقيادة واحدة، فاستعد الجانبان للقتال، ودارت معركة عنيفة بين الأزد والفرس بالقرب من صحار انهزم فيها الفرس وحوصروا بعد الهزيمة في حصن لهم يسمى دستجرد قرب صحار، وطال حصارهم وأيقنوا الهزيمة، فطلبوا الصلح من العُمانيين الذين استجابوا لهم ولكن بشروط المنتصر الذي يملي رغبته فيذعن لها المهزومون وكانت الشروط أن يخرج الفرس من عمان بأهلهم ومن تبعهم، وأن يتركوا كل ما يملكون من سلاح وكراع وأموال[٢] فأذعن الفرس لهذه الشروط إنقاذاً لأرواح من تبقى منهم بعد أن قتل في المعركة عدد كبير منهم وعلى رأسهم عامل الفرس على عمان[٣].

وهكذا تمكن العُمانيون باتحادهم تحت راية الإسلام من القضاء على نفوذ الفرس في بلادهم وأصبحت بلادهم خالصة لهم لا يشاركهم في خيرها عناصر أجنبية، ويعتقد ولكنسن أنه «كان من أشد ما جذب عرب عمان إلى الإسلام أنه أتاح لهم أن يتخلصوا من الحكم الفارسي وأن يملكوا البلاد بقراها الغنية وأن يجنوا ثمرات التجارة البحرية»[٤]. وهذه العبارة لا تستقيم بهذا الشكل، لأنه جعل العُمانيين يدركون مسبقاً نتائج دخولهم في الإسلام، وجعل من النتيجة سبباً.

---

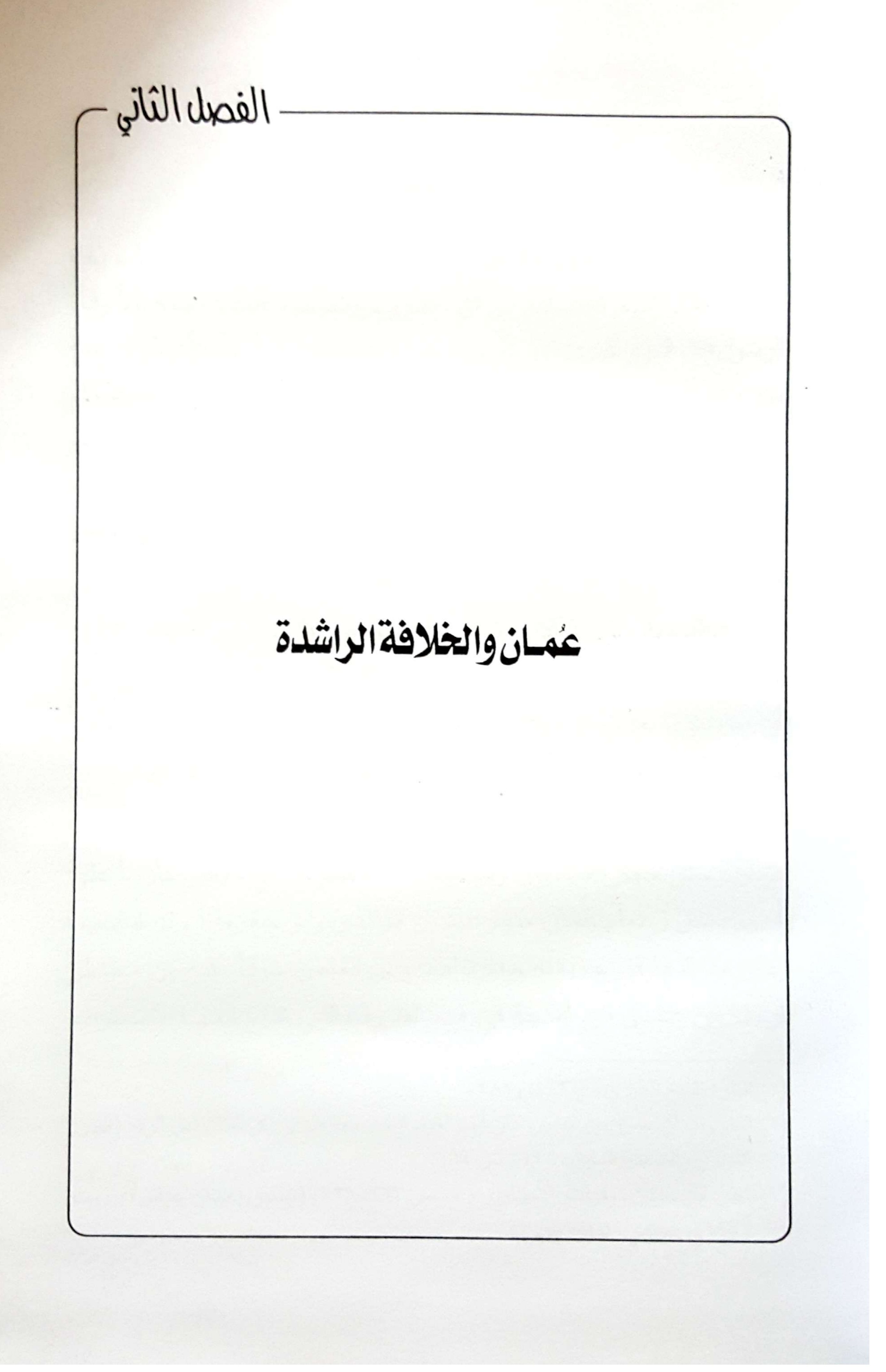
(١) العوتبي، نفسه، ص ٢٦١، السالمي تحفة، ص ٤٠.
(٢) انظر: السالمي، تحفة، ص ٤٠ – ٤١.
(٣) العوتبي: الأنساب، ص ٢٦٥، الازكوي، المرجع السابق، ص ٣٨.
(٤) انظر: ج. ص. ولكنسن، بنو الجلندي في عُمان (طبع وزارة التراث في عُمان، أكتوبر ١٩٨٢)، ص ١٢.

وأصبحت عُمان منذ ذلك الوقت جزءاً من الدولة الإسلامية الناشئة، وكانت قيادة الحكم في عُمان في يد الأخوين عبد وجيفر طبقاً لوعد الرسول لهما في كتابه إليهما حيث قال: «إنكما إن أقررتما بالإسلام ولّيتكما، وإن أبيتما أن تقرّا فإن ملككما زائل عنكما»[١]، فكان على عُمانٍ عند وفاة رسول الله ﷺ عبد وجيفر ابنا الجلندي[٢] وكان هناك تعاونٌ وثيق بين الأخوين وبين عمرو بن العاص في هذه الفترة، فيروى أنه بعد أن دخل الأخوان في الإسلام وصدّقا النبي ﷺ «خلّيَا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم، وكانا لي عوناً على من خالفني، فأخذت الصدقة من أغنيائهم فرددتها في فقرائهم، فلم أزل مقيماً فيهم حتى بلغني وفاة رسول الله ﷺ»[٣].

وواضح أن التعاونِ بين عبد وجيفر وبين عمرو بن العاص جعل الأحوال مستقرة في عُمان، وهذا الاستقرار يمكن استنتاجه من الأحداث المهمة والخطيرة التي أعقبت وفاة الروسل ﷺ.

---

(١) القلقشندي، المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٨٠.
(٢) انظر: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١١٢، الحميري، الروض، ص ٤١٣.
(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ١، قسم ٢، ص ١٨.



عُمـان والخلافة الراشدة

الفصل الثاني

عُمان والخلافة الراشدة

اضطربت شبه الجزيرة العربية من أقصاها إلى أدناها في أعقاب وفاة الرسول ﷺ وتشير المصادر إلى أن عمرو بن العاص عندما وصله نبأ وفاة الرسول ﷺ، قرر العودة إلى المدينة، ونحن لا ندري سبباً مؤكداً لهذه الرغبة من جانب عمرو في هذا الوقت بالذات، وهل جاءه استدعاء من المدينة، أم غادر عمان من تلقاء نفسه، ليس في المصادر ما يجيب عن هذه التساؤلات، ولكن ما يؤكده هذا التحرك من جانب عمرو هو أن الأحوال في عُمان كانت مستقرة – في هذه الفترة على الأقل –، وأن عمرو كان مطمئناً على حسن إدارة الأخوين عبد وجيفر وتمسكهما بالإسلام.

وهناك إشارة في الطبري توحي بأن عمرو ربما عاد إلى المدينة ليتولى بعض الأعمال التي كان أسندها إليه الرسول ﷺ قبل بعثه إلى عُمان، على وعد بأن يعود إليها بعد إنجاز مهمته فيها، فاستجاب أبو بكر لذلك[1]، وربما احتاجه أبو بكر للتصدي للمخاطر التي كانت نذرها تخيم على المدينة آنذاك[2].

وكيفما كان الأمر، فما كاد عمرو بن العاص يعلن عن رغبته في مغادرة عُمان، حتى جهز العمانيون وفداً لمصاحبته ضم حوالي سبعين فارساً على رأسهم بعض زعماء عُمان منهم عبد بن الجلندي وأبو صفرة[3] والد المهلب، وكان هذا الوفد في حقيقته خفارة لعمرو بن العاص خوفاً عليه من مخاطر الرحلة من عمان إلى المدينة في هذه الظروف التي شاع فيها الاضطراب

---

(١) انظر: تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣٨٩.

(٢) المعروف أن عمرو بن العاص كان أحد القواد الذين جهزهم أبو بكر لقتال أهل الردة (انظر: النويري، الصمدر السابق، ة ١٩، ص ٦٤).

(٣) انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٣٢٣، ٣٢٩، (تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٧٢)، السالمي، تحفة، ص ٤٣.

والتمرد بين القبائل، وكان عمرو بن العاص شخصية معروفة لدى زعماء القبائل الذين أحسنوا استقباله والوفد المرافق له خلال رحلته، فمر في طريقه بالبحرين والتقى بالمنذر بن ساوي وهو على فراش الموت، فاستشاره المنذر ماذا يفعل بثروته قبيل وفاته فأشار عليه عمرو بأن يتصدق بصدقة تجري من بعده، فاستجاب المنذر لنصيحته[1]، ثم خرج من عنده فسار في مضارب بني تميم، ومنها إلى بلاد بني عامر، فاستقبله قرة بن هبيرة القشيري، ورغم أن قرة ومن معه من بني عامر كانوا على وشك الخروج على الإسلام أو حسب رواية الطبري «وقرة يقدم رِجْلاً ويؤخر رِجْلاً، وعلى ذلك بني عامر كلهم»[2] إلا أن قرة أحسن استقبال عمرو بن العاص، فأكرمه وأبره[3] واقترح عليه قرة أن يتنازل أبو بكر عن مطالبة القبائل بالزكاة وقال «فإن أنتم أعفيتموها من أخذ أموالها فتسمع لكم وتطيع، وإن أبيتم فلا أرى أن تجتمع عليكم، فقال عمرو: أكفرت يا قرة»[4] وحدثت بين عمرو وقرة مشادة انتهت بتهديد عمرو له بأن يدخل عليه بجيوش المسلمين في عقر داره، وتظهر هنا أهمية الخفارة العُمانية التي كانت تصاحب عمرو، والتي جعلت قرة لا يفكر في الانتقام من عمرو وهو في دياره وبين رجاله[5] وعندما وصل عمرو بن العاص إلى المدينة طاف به الناس يسألونه عما وراءه من أخبار، فأخبرهم

---

(١) انظر: الطري، ج ٣، ص ٢٥٨، ص ٣٠٢، انظر أيضاً: السالمي، تحفة، ص ٤٤ – ٤٦.

(٢) تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٥٨.

(٣) انظر: البلاذري، فتوح، ص ١١٦.

(٤) تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٥٩.

(٥) لما وقع قرة في الأسر على يد خالد بن الوليد، ووقف بين يدي أبي بكر في المدينة، أنكر أنه ارتد عن الإسلام، واستشهد على ذلك بحسن معاملته لعمرو بن العاص عند قدومه عليه من عمان، وطلب شهادة عمرو الذي قال الحقيقة فعفا عنه الخليفة (تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٦٠).

باضطراب القبائل وتمردها[1] والتقى الوفد العُماني المصاحب لعمرو بن العاص بالخليفة أبو بكر، وتحدث أبو صفرة عن العمانيين، فقدم عمرو بن العاص إلى الخليفة، وقال: «هذه أمانة كانت في أيدينا وفي ذمتنا وديعة لرسول الله ﷺ فقد برئنا منها إليك. فقال أبو بكر: جزاكم الله خيراً»[2] وأثنى أبو بكر والمسلمون على العُمانيين لموقفهم المؤيد للإسلام في هذه الظروف المضطربة التي تمر بها الدولة الإسلامية[3].

أحداث الردة في دبا:

ارتدت معظم القبائل العربية عن الإسلام في أعقاب وفاة الرسول ﷺ، ورغم المبالغة في أن يقال «ارتدت العرب كلها إلا قريشاً وثقيفا»[4] فإن حركة الردة شملت معظم أنحاء شبه الجزيرة العربية، وإذا نحينا جانباً حركة التنبؤ بين زعماء بعض القبائل والتي ترجع إلى فترة النبوة، نجد السبب الأساسي لردة العرب هو الاعتراض على دفع الزكاة، فنتيجة لعدم التعمق في فهم تعاليم الإسلام، اعتبرت القبائل التي ارتدت أن الزكاة إتاوة تنقص من سيادتهم[5] وجاءت وفود العرب للقاء الخليفة الأول أبي بكر الصديق «يقرون بالصلاة ويمنعون الزكاة، فلم يقبل هذا منهم»[6].

وهذا الموقف في حقيقة الأمر يوضح أهمية الوفد العُماني الذي صحب عمرو ابن العاص في رحلته إلى المدينة، فبالإضافة إلى مهمته في تسليم عمرو سالماً،

---

(١) تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٥٨.

(٢) أبوا لفرج الأصفهاني، الأغاني (طبعة الهيئة العامة للكتاب)، ج ٢، ص ٧٦، السالمي، تحفة، ص ٤٣.

(٣) انظر التفاصيل: السالمي، تحفة، ص ٤٣ – ٤٤.

(٤) انظر: النويري، المصدر السابق، ج ١٩، ص ٦١.

(٥) تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٥٩.

(٦) النويري ، المصدر السابق،

فإنه أعلن تأييده ومبايعته للخلافة الإسلامية، ويقال أن أبا بكر استنهض عبد ابن الجلندي لمقاتلة آل جفنه وهم عناصر من الغساسنة في الشام فاستجاب عبد لذلك وقام بالمهمة على أفضل وجه[1]. ففي الوقت الذي كانت بعض القبائل تساوم فيه حول فروض الإسلام، ترضى بهذا وتترك ذاك، كان الوفد العُماني في المدينة يقف بجانب الخلافة ويعلن تأييده لها ويشارك في الدفاع عنها، وفي رأينا أن هذا الوفد يغير كثيراً من المفاهيم الخاطئة التي قيلت عن ردة عُمان أو ردة دبا كما جاء في المصادر. ولتحليل هذا الخبر والبحث عن الحقيقة، فإنا سنتبع المنهج الذي بدأنا به في بحثنا هذا باستعراض المصادر وتحليلها قبل الوصول إلى رأي محدد.

وأقدم الروايات ما ذكره ابن سعد[2] عن ردة أهل دبا، ورغم ما في روايته من بعض الغموض في الأسماء والأحداث، إلا أنه قد قصر حركة الردة على «أهل دبا» ولم ينسبها إلى كل عمان كما ذكرت بعض المصادر، ودبا في تصوره تقع «فيما بين عمان والبحرين» وكان أهلها قد أسلموا وذهب وفد منهم إلى الرسول ﷺ بالمدينة، مقرين بالإسلام، فبعث عليهم من يأخذ صدقات أموالهم ويردها على فقرائهم، ويذكر اسم «حذيفة بن اليمان الأزدي[3] على أنه مبعوث للرسول ﷺ إليهم، وأعتقد أن ابن سعد قد اختلط عليه الأمر، ولعله يقصد حذيفة بن محصن الغلفاني الذي يجئ ذكره بعد ذلك منسوبا بالدبا، فحذيفة بن اليمان لم يكن أزديا بل ينسب إلى

(1) انظر: التافصيل، السالمي، تحفة، ص ٤٤.

(2) رغم أن خليفة بن خياط أقدم زمنياً من ابن سعد، إلا أنه يذكر عبارة مقتضبة عن هذه الحادثة: «وبعث أبو فكر عكرمة بن أبي جهل إلى عمان» بدون أي تفاصيل: انظر، تاريخ خليفة ابن خياط، ج ١، ص ٨٤.

(3) انظر: ابن سعد، الطبقات، م ٥، قسم ٢، ص ٣٨٥.

عبس بن بغيض بن تريث بن غطفان بن قيس عيلان، بطن من مضر،[1] والغريب أن ابن سعد نفسه يترجم في نفس المصدر لحذيفة بن اليمان الصحابي المشهور الذي شهد مع الرسول ﷺ معظم الغزوات، ولم يذكر أنه كان عاملاً للرسول على دبا أو شارك في معارك الردة في دبا[2].

ويكمل ابن سعد روايته التي نوجزها في أنه في أعقاب وفاة الرسول ﷺ ارتد أهل دبا ومنعوا الصدقة، فكتب «حذيفة» إلى أبي بكر بذلك، فوجه إليهم عكرمة بن أبي جهل الذي حاربهم وهزمهم، فلجأوا إلى حصن دبا فتحصنوا فيه وحاصرهم المسلمون حتى أجهدهم الحصار، وطلبوا الصلح، ثم نزلوا على حكم حذيفة الذي أمر بقتل مائة من أشرافهم وسبي ذراريهم وبعث إلى أبي بكر في المدينة، وهمّ أبو بكر بقتلهم باعتبارهم مرتدين عن الإسلام، لولا أن تدخل عمر بن الخطاب وقال له: «يا خليفة رسول الله، قوم إنما شحوا على أموالهم»[3]. فأمر أبو بكر بحبسهم، وبعد وفاة أبي بكر أطلق عمر سراح هؤلاء الأسرى وقال لهم: «قد أفضى إلي هذا الأمر، فانطلقوا إلى أي البلاد شئتم فأنتم قوم أحرار لا فدية عليكم»[4].

(1) انظر: الهمداني، المصدر السابق، ص ٨٨، وعن نسب حذيفة بن اليمان انظر أيضاً: ابن قتيبة، المعارف، (تحقيق ثروت عكاشة، القاهرة ١٩٦٩)، ص ٢٦٣.

(2) يذكر ابن سعد في ترجمته لحذيفة هو: ابن حسيل بن جابر بن ربيعة، وهو اليمان بن الحارث بن قطعة بن عبس، لم يشهد بدراً، وشهد أحد والخندق وما بعد ذلك من المشاهد مع الرسول(ﷺ) واستعمله عمر بن الخطاب على المدائن ومات سنة ٣٦هـ (انظر: الطبقات، م٧، قسم ١، ص ٦٤).

(3) ابن سعد، المصدر السابق، ص ٧٢.

(4) ابن سعد، نفس المصدر والصفحة.

أما الرواية الثانية فيرويها الطبري ومن أخذ عنه وتتلخص في أنه غلب على عمان مرتد «ذو التاج، لقيط بن مالك [(١)] الأزدي، وكان يسمى في الجاهلية «الجلندي» وادعى النبوة[(٢)] والظاهر أن ملكى عمان عبد وجيفر قد حاولا الوقوف في وجهه والتصدى لحركته، ولكنه تمكن من الانتصار عليهما مما اضطرهما إلى الاحتماء بالجبال والشطوط البعيدة، واضطر الأخوان أمام هذا الخطر على نفوذهما وملكهما أن يستنجدا بالخلافة الراشدة في المدينة، فبعث جيفر إلى أبي بكر يخبره بحقيقة الوضع في عمان، وطلب منه إرسال جيش للمساعدة في القضاء على ثورة لقيط بن مالك، فأرسل أبو بكر الصديق حذيفة بن محصن الغلفاني وعرفجه البارقي من الأزد على أن يبتدئا بعمان ثم مهرة وأن يسارعا إلى عمان فإذا اقتربا منها كاتباً الأخوين جيفر وعبد «وعملا برأيهما»[(٣)].

ولم يكتف أبو بكر بذلك، فإنه عندما بلغه خبر هزيمة عكرمة بن أبي جهل على يد مسيلمة الكذاب باليمامة، كتب إليه يعنفه على تسرعه، وأمره أن يلحق بعمان ليساعد حذيفة وعرفجة في مهمتهما هناك[(٤)]، والتقت الجيوش الإسلامية قبل الوصول إلى عمان، وراسلوا جيفرا وعبدا حسب تعليمات الخليفة، فتحرك الأخوان بأعوانهما إلى صحار حيث التقوا بجيوش الخلافة. ويبدو من عبارات الطبري أنهم أقاموا فترة في صحارى نظموا فيها

---

(١) يسميه ابن حزم «زيد الأعور بن جيفر بن الجلندي المذكور» وكان قد سبق وذكر جيفر وعبد ابنا الجلندي ملكاً عمان، فهل لقيط هذا أو زيد الأعور كان أحد أبناء الجلندي وانشق على والده، لو صح هذا لكانت أحداث الردة تحوي في جوهرها ثورة أسرية الهدف منها الاستحواذ على السلطة في عمان (انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، (القاهرة ١٩٨٢)، ص٣٨٤).

(٢) انظر: تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣١٤.

(٣) انظر: تاريخ الطبري، ج ٣ ، ص ٣١٤، ابن كثير، البداية والنهاية، م ٥، ص ٣٧٢.

(٤) الطبري، نفسه، ص ٣١٥، ابن كثير، نفسه.

صفوفهم، وأمنوا جيوشهم، وأيقنوا ولاء القبائل القريبة منهم، وعملوا على شق صفوف غريمهم «لقيط بن مالك، «وكاتبوا رؤساء مع لقيط وبدأوا بسيد بني جديد[(١)] فكاتبهم وكاتبوه حتى انفضوا عنه»[(٢)].

تحركت الجيوش الإسلامية المكونة من جيش الخلافة بالإضافة إلى ما تحت يد الأخوين جيفر وعبد من أعوان في اتجاه دبا، ولم يذكر الطبري عدد هذه الجيوش، ولكن يتضح من الرواية أن لقيطاً كان قد استعد لهذا اللقاء وحشد جيشاً قوياً واتبع الحيلة المعروفة لدى العرب بأن جمع الأطفال والنساء في مؤخرة جيشه ليحمس المقاتلين على عدم التراجع، ونشبت بين الجانبين معركة قوية كاد أن يهزم فيها المسلمون «وقد رأى المسلمون الخلل، ورأى المشركون الظفر»[(٣)] لولا أن انضمت إلى صفوف المسلمين عناصر من القبائل التي كانت على إسلامها من بني ناجية وعبد القيس وأهل عمان، فانقلب الحال وحلت الهزيمة بجيش لقيط وقتل من رجاله في المعركة عشرة آلاف، وسبي الذراري وقسمت الأموال على المسلمين الذين استولوا على سوق دبا غنيمة.

اتفق المنتصرون على أن يبقى حذيفة بن محصن في دبا لتهدئة أهلها، وأسكن القبائل التي أيدت الجيش الإسلامى في المناطق التي أفاء الله بها على المسلمين «ويذكر نص الطبرى أنه لما فرغ عكرمة وعرفجة وحذيفة من (ردة عمان)، خرج عكرمة في جنده نحو مهرة، واستنصر من حول عمان وأهل عمان، وسار حتى يأتي مهرة معه ممن استنصره من ناجية والأزد وعبد القيس وراسب، وسعد ومن بني تميم بشر، حتى اقتحم على مهرة بلادها» [(٤)].

---

(١) منسوب إلى الجديدة، قبيلة من خولان (الهمداني، عجالة، ص ٣٧).

(٢) تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣١٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر: تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣١٦، النويري، نهاية الأرب، ج ١٩، ص ١٠٤.

هذا مجمل رواية الطبري، أما رواية قدامة بن جعفر فهي تتناقض في شقها الثاني مع تسلسل الأحداث كما جاء في الطبري حيث يذكر قدامه أن الردة كانت من جانب «قبائل الأزد» في دبا بقيادة «ذو التاج» لقيط بن مالك، وبعد أن قضى عليها المسلمون، يقول: «وارتدت طوائف من أهل عمان ولحقوا بالشحر فسار إليهم عكرمة فظفر بهم»[1].

وهذا يتنافى مع رواية الطبري السابقة عن مشاركة قبائل عمان في جيش عكرمة المتوجه إلى مهرة والشحر، فالطبري يذكر في سياق روايته للمعركة «فولى المشركون الأدبار»[2] مما يجعل احتمال فرار هؤلاء إلى الشحر قائماً، ولكن يظل في النهاية عدم الدقة في تحديد المسميات لدى هذه المصادر قائماً، أهي ردة في دبا أم ردة أهل عمان .. وسوف نناقش هذا فيما بعد.

أما عن أهم الروايات حول هذا الموضوع بعدما سبق استعراضه فقد جاءت في معجم البلدان ليقاقوت، فبعد التعريف بدبا وبسوقها المشهور يذكر هذه العبارة الغريبة «فتحها المسلمون في أيام أبي بكر الصديق سنة ١١هـ/٦٣٢م، وأميرهم حذيفة بن محصن فقتل وسبي»[3] ونحن لا ندري من أين استقى ياقوت الحموي هذه الرواية، وماذا يقصد بالفتح، وهل المقصود إعادة دبا إلى كنف الخلافة الإسلامية في أعقاب ثورة لقيط بن مالك؟ .. فهي عبارة غامضة ومضطربة.

ومن الجدير بالاهتمام أن ياقوت ينقل رواية أخرى عن ردة أهل دبا منسوبة إلى الواقدى لا تختلف كثيراً عن رواية ابن سعد، غير أنه لا يقع في

---

(١) قدامه بن جعفر، الخراج، ص ٢٧٧ .

(٢) انظر: تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣١٦.

(٣) انظر: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٣٥ .

خطأ ابن سعد حول اسم الوالي على دبا، فيقول أنه في حياة الرسول كان على صدقات دبا حذيفة بن محصن، فكا يأخذن صدقات أغنيائهم فيردها إلى فقرائهم، فلما مات الرسول ارتدوا ولم يستجيبوا لدعوة حذيفة بالطاعة وأسمعوه شتما لرسول الله ﷺ وأبي بكر، فكتب حذيفة إلى أبي بكر بالأمر، فوجه لقتالهم عكرمة بن أبي جهل[1] ولا يأتي ذكر الأخوين عبد وجيفر ودورهما في ردة دبا، ولكن يذكر الحرب بين عكرمة وأهل دبا بقيادة لقيط ابن مالك الأزدي الذي هزم واضطر إلى الاحتماء بحصن دبا، وحاصرهم المسلمون شهراً، فسألوا حذيفة الصلح، فاشترط عليهم حذيفة الخروج من الحصن بدون سلاح، وبعد أن استولى المسلمون على المدينة حكم فيهم حذيفة بقتل أشرافهم وسبي ذراريهم، فقتل من أشرافهم مائة رجل، وقدم حذيفة بسبيهم إلى المدينة فاختلف المسلمون بشأنهم، فأراد أبو بكر قتل من بقي من المقاتلة ويستمر في الرواية مثل ابن سعد حتى إطلاق سراح الأسرى في خلافة عمر بن الخطاب، ولكنه يقول: «وأقام عكرمة بدبا عاملاً لأبي بكر»[2] ويمكن ملاحظة اختلاف هذه الرواية عما أورده الطبري، ولو أنها قريبة إلى حد بعيد من رواية ابن سعد.

وهكذا ذكرت المصادر بالإجماع أن ردة قد حدثت في دبا وفي الشحر، وطبقاً للروايات التاريخية والمعلومات الجغرافية فإن دبا والشحر[3]

---

(١) انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٣٦ .

(٢) انظر: ياقوت، ج ٢، ص ٤٣٦ .

(٣) انظر: الاصطخري، كتاب الأقاليم، (تصوير مكتبة المثنى ببغداد بدون تاريخ)، ص ١٤، الذى يذكر أن بلاد مهرة قصبتها الشحر ويقال أنها من عمان.

كانتا من توابع عُمان[1] مما دفع بعض المؤرخين إلى إطلاق ردة الجزء على الكل فقيل «ردة عُمان»، فلا يمكن إنكار أن أجزاء من عمان قد حدث بها تمرد أوردة مما دفع الجيوش الإسلامية إلى التصدي لها والقضاء عليها، وهذا ما يحاول المؤرخون العُمانيون تجاهله أو نفيه تماماً، وسألخص هنا وجهة نظرهم طبقاً لرواية السالمي في تحفة الأعيان.

يرى السالمي أن الأمر لا يعدو كونه سوء تقدير حدث من جباة الصدقات في دبا أثناء تعاملهم مع امرأة من هذه المدينة أجبروها أن تؤدي ما عليها من زكاة، فاستصرخت قومها آل مالك، فظن حذيفة بن محصن أنها دعوة جاهلية وأن القوم ارتدوا عن الإسلام، فأغار عليهم وأخذ منهم سبياً فمضى بهم إلى المدينة، فوفد على أبي بكر وفد من أهل دبا شرحوا له مشكلتهم مع حذيفة، وأنهم على إسلامهم لم يجاهروا بالردة أو امتنعوا عن الزكاة، فخيرهم أبو بكر بين السبي والأموال، وفي رواية أخرى أن الوفد وصل المدينة وقد توفي أبو بكر، فاستجاب خليفته عمر لأهل دبا وأمر برد السبي. وينهي السالمي روايته بقوله: «هذا حاصل قضية دبا من الكتب العمانية، وهم أعرف بحالهم، وبما عليه أوائلهم، ولا يصح ما ذكره ابن الأثير في كامله»[2].

وواضح أن السالمي لم يطلع إلا على رواية ابن الأثير في الكامل، ويكتفي بعد هذا النفي بذكرها، ونحن لم نذكرها لأنها منقولة عن رواية

(١) يتضح هذا مما سبق ذكره من إرسال جيفر مبعوثين إلى مهرة والشحر ودبا يدعو أهلها إلى الإسلام فاستجابوا لدعوته، مما يوحي بتبعية هذه الجهات لعمان في ذلك ا لوقت (انظر: الازكوي، المرجع السابق، ص ٩٨)، كما ينسب الحميري الشحر إلى عمان فيقول «شحر عمان» (انظر: الروض، ص ٣٨٨).

(٢) السالمي، تحفة، ص ٥٠، انظر تفاصيل رواية السالمي، ص ٤٨ – ٥٠.

الطبري التي سبق أن ذكرناها، وبعد أن ينتهي السالمي من رواية ابن الأثير يقول: «انتهى كلام ابن الأثير وكله باطل لا أصل له»[1].

ولو نظرنا لهذه الأحداث مجتمعة حسب الروايات السابقة، نظرة محايدة، فإنه من المؤكد أن تمردا أو ردة قد حدثت في دبا بعد وفاة الرسول ﷺ وكان يقود هذا التمرد شخصية لها وزنها بين القبائل في بلدته وهو ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي ومن المحتمل أنه كان من أسرة الجلندي، فابن حزم يشير إلى أنه أحد أبناء جيفر بن الجلندي»[2]، ويبدو أن لقيطا كانت له طموحات سياسية ورأي في رفض دفع الزكاة وادعائه النبوة ما يجعل بعض القبائل تعضده وتؤيده ضد الأخوين عبد وجيفر مما يمكنه من إقصائهم والسيطرة على عمان، لذلك كان من الطبيعي أن يتصدى عبد وجيفر لهذا الخطر ويدافعا عن ملكهما.

ويحاول أحد الباحثين أن يبرر ثورة أهل دبا بسبب «أن يدهم لم تكن مطلقة في إستغلال الأرض التي تركها الفرس، بل إن عاملا جاء من المدينة ليضمن ألا يفعلوا ذلك، ثم تبين لهم أيضاً أن عليهم أن يدفعوا ضرائب يجبيها في أوقاتها مضمنون يعينهم العامل»[3] ونحن لا نعلم من أين استقى الباحث هذه المعلومات الخطيرة عن الأرض التي منع أهلها من استغلالها، فهذا تخريج بعيد تماماً عن سياسة المسلمين حتى مع أهل البلاد التي فتحت عنوة فلا يمنع أهلها من استغلالها، أما عن الضرائب التي يذكرها فلعله يقصد

(١) السالمي، تحفة، ص ٥١،

(٢) انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٨٤.

(٣) انظر: ولكنسن، المرجع السابق، ص ١٤.

الزكاة لأن المسلمين لم يفرضوا ضرائب في ذلك الوقت، وكانت التعليمات أن يأخذ عامل الرسول ﷺ الصدقات من أغنياء دبا ويردها على فقرائهم(١).

وتجدر الملاحظة بأن المؤرخين الذين ذكروا حادثة الردة في دبا على أنها «ردة عمان» قد وقعوا في مبالغة لا أساس لها من الصحة، لأن الردة لم تقع في كل عمان كما حددها الجغرافيون في ذلك الوقت. كما أن هذه الردة لم يقم بها حاكمي عمان المعترف بهما من جانب الرسول ﷺ وخليفته أبي بكر الصديق وأقصد بهما «عبد وجيفر» بل جاءت من جانب شخص لم تذكره المصادر إلا مقترناً بهذه الحادثة، ويطلق عليه البعض «ذو التاج»(٢) ويبدو أنه قد اتخذ لنفسه تاجاً متشبهاً بالملوك، وهذا ليس من حقه مما جعل المؤرخين يلقبونه بهذا اللقب، فهو شخص مدع للنبوة ومدع لحقه في السلطة في نفس الوقت.

أما الموقف الرسمي لملكي عمان عبد وجيفر فكان معارضاً لهذا التمرد لتمسكهما بالإسلام من جهة، ولأنها حركة موجهة ضد نفوذهما من جهة أخرى، لذلك تصديا بما تحت أيديهما من جيوش لهذه الحركة منذ البداية، ودخلا في معارك عنيفة مع قوات لقيط بن مالك، ولكنهما لم يصمدا أمام الحشود التي حشدها لقيط مما اضطرهما إلى التراجع إلى حين كما جاء في نص الطبري «غلب لقيط بن مالك على عمان مرتدا، وألجأ جيفرا وعبادا إلى الأجبال والبحر»(٣).

(١) انظر: طبقات ابن سعد، م ٥، قسم ٢، ص ٣٨٥، ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٣٦.
(٢) انظر: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٣١، تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣١٤.
(٣) تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣١٤.

ولما كانت هذه الحركة ليست حرباً قبلية فلم تلجأ السلطة الشرعية في عُمان لمساندة القبائل المحيطة بها، بل هي حركة ذات طابع ديني سياسي، ولما كانت عُمان بإعلانها الإسلام بعد تلقيها رسالة الرسول ﷺ، وبتأييدها للخليفة الأول أبي بكر الصديق عن طريق الوفد الذي صاحب عمرو ابن العاص إلى المدينة، قد أصبحت جزءاً من الدولة الإسلامية الناشئة تؤيدها وتساندها، وعلى الدولة الإسلامية أيضاً أن تمنع عنها الخطر الذي يهدد وحدتها وإسلامها، لذلك كان من المنطقي أن تلجأ السلطة الشرعية في عمان ممثلة في الأخوين عبد وجيفر إلى عاصمة الخلافة الإسلامية، تستنجد بأبي بكر للمساعدة في القضاء على حركة التمرد على الإسلام ولتحقيق سلطاتهم ونفوذهم على عمان.

وتتضح المكانة التي كانت تتمتع بها السلطة الشرعية في عُمان لدى الخلافة الإسلامية من الأوامر الصريحة التي زود بها أبو بكر الصديق الجيوش المتوجهة إلى عُمان لمساعدتها ضد أعدائها وأعداء الإسلام، فكان على هذه الجيوش إذا اقتربت من عُمان أن يكاتبا عبدا وجيفرا، وأن يعملا برأيهما(١) وهذه الأوامر في اعتقادي لها دلالات أخرى مهمة، فبالإضافة إلى الثقة في السلطة الشرعية في عُمان فإنها تعني أن القيادة على أرض عُمان كانت للأخوين عبد وجيفر فهم أكثر دراية بظروف بلادهما الطبيعية ومسالكها وأكثر معرفة بالتيارات القبلية التي يمكن أن تؤثر سلباً وإيجاباً على سير المعركة، لذلك لما اجتمعت الجيوش الإسلامية في صحار مع الجيش العُماني، جرت مشاورات مع القبائل بهدف كسب تأييدها وحتى لا يطعن الجيش عند توجهه إلى دبا في الظهر، وأعتقد أن الأقدر على إدارة هذه المرحلة من

(١) انظر: تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣١٤.

التفاوض القبلي هما الأخوين عبد وجيفر ولم يكتفيا بذلك، بل حدثت اتصالات مع عناصر قبلية مؤيدة للثورة وتعمل مع لقيط بن مالك ونجحت المفاوضات معها حسب رواية الطبري في الاتفاق على أن ينسحب بعضها من تأييده للقيط بعد مكاتبات جرت بين الجانبين[١].

وأعتقد أن تأييد القبائل للجيش الإسلامي عندما كاد لقيط أن ينتصر في بداية المعركة في دبا لم يكن تأييداً عفوياً، بل كان أمراً متفقاً عليه نتيجة للاتصالات التي سبقت الإشارة إليها فأيدت القبائل العربية من بني ناجية والأزد وعبد القيس وغيرها الجيوش الإسلامية وتصدت لقوات لقيط الذي انتهى الأمر بهزيمته لتخرج عناصر من هذه القبائل بعد ذلك مع عكرمة بن أبي جهل لتواصل معارك القضاء على الردة في مناطق مهرة والشحر.

ومما تقدم يمكن القول أن ما حدث لا يمكن أن نطلق عليه «ردة عُمان» أو «ردة أهل عُمان» وبهذا نتفق مع المؤرخين العمانيين لنفيهم لهذه الردة بوجه عام، ولكننا لا ننفي الأحداث التي وقعت في دبا وغيرها سواء كان هذا بسبب امرأة استغاثت بقومها أم بسبب تمرداً قاده لقيط بن مالك، لأنه لا يمكننا أن نرفض كل ما تذكره المصادر التاريخية في حادثة بعينها، أو نختار منها ما يوافق هوانا ونترك ما دون ذلك؛ لأن ذلك يتعارض ومنهج البحث العلمي في كتابة التاريخ.

وإذا كان لبعض المؤرخين العُمانيين عذرهم عندما ينفون وصم بلادهم بالردة عن الإسلام دفاعاً عن حسن إسلامهم وصدق عقيدتهم على مر العصور، فإنه من الغريب أن ينساق البعض في تأييد ذلك بطريقة متناقضة تؤدي إلى الشك أكثر مما تدعو إلى الحقيقة العلمية، ومثال ذلك ما ذكرته

(١) انظر: تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣١٥.

أحد المراجع من قولها «والحق أننا لم نسمع عن حركة ردة في عُمان!! اللهم إلا حركة ذكرها البلاذري في فتوح البلدان والطبري في تاريخه ومن أخذ عنهما من المؤرخين مثل ابن الأثير في الكامل»[١].

فمتى كانت الحقائق التاريخية تعرف بالسمع؟، وكيف يأتي بعد النفي القاطع عن عدم وجود ردة في عُمان تأكيد مناقض تماماً بذكر بعض المصادر الأساسية في التاريخ الإسلامي التي ذكرت أحداث الردة؟ والواقع أننا بهذا نثير الشك حول ما جاء في مصادر تاريخنا الإسلامي.

** ** **

عُمان وحركة الفتوحات الإسلامية:

ظلت عُمان على علاقة طيبة بالخلافة الراشدة منذ وفاة الرسول ﷺ ووصول عمرو بن العاص مع الوفد العُماني إلى المدينة وقد أفاضت المصادر العُمانية في ذكر الحفاوة التي استقبل بها الوفد العُماني من جانب الخليفة الأول أبي بكر الصديق، وما قام به خطباء المسلمين من الثناء على عُمان وأهلها لإسلامهم طوعاً واستجابتهم إلى دعوة الإسلام دون مشقة وتعاونهم مع عمرو بن العاص[٢] كما يقال أن أبا بكر أسند إلى عبد بن الجلندي لما قدم عليه من عُمان قيادة سرية إلى آل جفنة من عرب الشام لمقاتلتهم، وقد شارك في هذه السرية عدد من الصحابة منهم حسان بن ثابت الأنصاري الذي أشاد - بعد عودة السرية - بشجاعة عبد وحزمه وحسن رأيه في المواقف الصعبة[٣].

(١) انظر: سيدة كاشف، عُمان في فجر الإسلام، عُمان ١٩٨٩، ص ٣٥.
(٢) انظر: السالمي، تحفة، ص ٤٣، ٤٤،
(٣) نفسه، ص ٤٤.

وشارك العُمانيون كما أسلفنا في القضاء على ردة دبا، وكانوا مع عكرمة عند تحركه من عُمان للقضاء على حركات التمرد في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، أما المشاركة المؤثرة في الفتوحات فإنها تأتي في بداية حركة المسلمين في اتجاه الشام لضرب قوة الروم في المناطق المتاخمة لنفوذ الدولة الإسلامية والحركة غرباً للقضاء على نفوذهم في الشام كله، ويأتي ذكر عمان وأهلها كعنصر مشارك في هذه الحملات منذ سنة ١٣هـ/٦٣٤م في حياة أبي بكر الصديق، وكان عدد من القبائل العمانية التي تعاونت مع عكرمة في حروب الردة قد رجع معه إلى المدينة، فيروي الطبري «وقد قدم على أبي بكر عكرمة قاتلا وغازيا؟؟، فيمن كان معه من تهامة وعمان والبحرين والسرو، فكتب أبو بكر إلى أمراء الصدقات أن يبدلوا من استبدل، فكلهم استبدل، فسمي هذا الجيش جيش البدال «فقدموا على خالد ابن سعيد الذي كان يواجه جيوش الروم في الشام[1].

أما في الجبهة الفارسية فيبدو أن العرب في حروبهم ضد دولة الفرس لم يكتفوا بالهجوم البري فقط، بل استخدموا القوة البحرية التي أتاحتها لهم دخول عناصر من السكان في كنف الإسلام في الأقاليم المجاورة لفارس مثل عمان والبحرين ومشاركتهم في الحروب الإسلامية ضد الفرس، وهذه العناصر كان لها تاريخ عريق في فن الملاحة وركوب البحر، ولذلك نلاحظ أن النشاط البحري في الجبهة الشرقية كان متقدماً بسنوات عن مثيله في جبهة الشام ومصر. وليس معنى هذا أن العناصر الشامية والمصرية كانت أقل دراية بركوب البحر من سكان الشاطئ الغربي للخليج، ولكن دور البحرية في منطقة الخليج في ذلك الوقت كان لنقل الجيوش من المناطق التى

(١) تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣٨٩.

يسيطر عليها المسلمون إلى الجزر في الخليج أو إلى الساحل الشرقي، ولم يكن مثل هذا الدور متاحاً في بداية حركة الفتوحات الإسلامية في الشام بسبب التفوق الساحق للبحرية الرومية وسيطرتها على حوض البحر المتوسط أنذاك.

وكيفما كان الأمر، فإن المصادر التاريخية تحدثنا عن محاولات جريئة حدثت في عهد عمر بن الخطاب كان الهدف منها ضرب جزر في الخليج وإزاحة الفرس عن مواقعهم على ا لسواحل الشرقية التي كانت نقط ارتكاز قوية كمراكز حربية وتجارية، فيشير ابن سعد إلى حملة بحرية بعث بها العلاء ابن الحضرمي من البحرين بقيادة عرفجة بن هرثمة سنة ١٤هـ/٦٣٥م، وكان هدفها ضرب السواحل الفارسية «فكان أول من فتح جزيرة بأرض فارس، واتخذ فيها مسجداً»[1].

وفي سنة ١٥هـ/٦٣٦م ولى عمر بن الخطاب، عثمان بن أبي العاص الثقفي على عمان والبحرين[2]، ومن المحتمل أن الخليفة قد رمى من وراء جمع ولايتي عمان والبحرين لعثمان إلى تحقيق أهداف عسكرية تساعد في حركة الفتوحات الإسلامية في هذه الجبهة، فالإقليمين يكمل كل منهما الآخر ويحتاج إلى قيادة واحدة للتصدي للخطر الفارسي والاستمرار في حركة الهجوم النشطة ضد الفرس، وبدأ عثمان بن أبي العاص ولايته بأن وفد بنفسه إلى عُمان ليحل محل واليها السابق من قبل عمر، وهو رجل من الأنصار يدعى «بلال»، وأسند إدارة البحرين إلى أخيه الحكم ابن أبي العاص[3] وتمكن

(١) انظر: طبقات ابن سعد، م ٤، قسم ٢، ص ٧٨.
(٢) البلاذري، فتوح، ج ١، ص ١٥٤.
(٣) انظر: تاريخ خليفة بن خياط، ج ١، ص ١٠٤، ١٢٨.

عثمان من تقوية نفوذه فى عمان والبحرين بالتعاون مع القبائل المحلية من الأزد وراسب وناجية وعبد القيس[١] الذين حسن إسلامهم وانخرطوا في جيش الخلافة، وتمكن عثمان من أن يوحد بين عمان والبحرين في هذه المرحلة، وحسب رواية البلاذري فقد «اتسقت له طاعة أهلهما»[٢].

ويبدو أن الفرس كانوا قد قاموا بتحركات عسكرية في جزر الخليج وعلى شاطئه وربما قد لجأ إلى هذه المناطق فلول المهزومين في موقعة جلولاء سنة ١٦هـ/٦٣٧م[٣]، مما أثار مخاوف الخليفة عمر بن الخطاب، فأرسل إلى واليه على عمان بأن يوجه حملة عبر الخليج إلى فارس، ولما بدأ عثمان في إعداد الحملة، طلب من أهل عمان المشورة لخبرتهم في فن الملاحة وركوب البحر، فدلوه على أبي صفرة كأحد الثقاة في هذا المجال، وندب عثمان المقاتلة فاجتمع له حوالي ثلاثة آلاف مقاتل أكثرهم من أزد عمان، وكان من بين رجاله أبو صفرة، وتمكن عثمان بن أبي العاص بهذه الحملة من هزيمة الفرس واستولى على جزيرة ابن كاوان (البحرين حاليا)[٤] وقد أسند قيادة هذه الحملة لأخيه الحكم بن أبي العاص، فيروي البلاذري أن عثمان «وجه أخاه الحكم بن أبي العاص في البحر إلى فارس في جيش عظيم من عبد القيس والأزد وتميم وبني ناجية، ففتح جزيرة ابن كاوان ثم صار إلى توج»[٥]، وقد قتل في المعركة حول جزيرة ابن كاوان حاكم كرمان مما أثار الرعب في

---

(١) انظر: السالمي، تحفة، ص ٤٧.
(٢) البلاذري، فتوح، ص ٤٧٦.
(٣) انظر: تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٤ وما بعدها.
(٤) انظر: السالمي، تحفة، ص ٤٧.
(٥) البلاذري، فتوح، ص ٤٧٦، قدامة بن جعفر، الخراج، ص ٣٨٧، وتوج مدينة بفارس قريبة من كازرون شديدة الحر لأنها غور من الأرض بها نخل (مراصد الاطلاع، ج ١، ص ٢٨٠).

الإقليم، فتمكن المسلمون من الاستيلاء على كرمان في هذه السنة (١٦هـ)[١].

وتشير المصادر إلى أن عثمان بن أبي العاص قد اتخذ من توج قاعدة لقواته وبدأ يغير منها على المناطق المتاخمة فاستولى على مدينة أرجان[٢] الغنية بخيراتها، وبنى بتوج المساجد وجعلها دارا للمسلمين، وأسكنها القبائل المشاركة معه في القتال ومعظمهم من أهل عمان من الأزد وعبد القيس[٣] وغيرهما.

وتمكن عثمان بعد هذا من التصدي للقوات الفارسية من قاعدة توج، واستمر في ذلك حتى أخضع الإقليم لسيطرته، بعد أن هزم القائد الفارسي «شهرك» الذى تصفه المصادر بأنه «مرزبان فارس» وذلك سنة ٢١هـ/٦٤١م، فقتل شهرك وابنه في المعركة بينه وبين المسلمين بالقرب من توج، «وكان يومها في صعوبته كيوم القادسية، وكتب إلى عمر بالفتح»[٤] وشاركت القبائل العمانية في هذه الفترة في الحملات التي تنسبها المصادر إلى والي عمان عثمان بن أبي العاص على بلاد الهند ففي إشارة موجزة يروي ابن حزم أن عثمان بن أبي العاص الثقفي غزا بلاد فارس «وثلاثة من بلاد الهند»[٥] ويفسر البلاذري ذلك فيقول: «ولى عمر بن الخطاب عثمان بن أبي العاص الثقفي البحرين وعمان سنة خمس عشرة، فوجه أخاه الحكم إلى

---

(١) انظر: البلاذري، فتوح، ص ٤٨٢، العوتبي، الأنساب، ص ١٢٢ – ١٢٣.
(٢) أرجان: مدينة كبيرة كثيرة الخيرات، وهى برية بحرية سهلية جبلية، بينها وبين البحر مرحلة، وهى من كور فارس (مراصد، ج ١، ص ٥٢).
(٣) كانت أعداد كبيرة من قبيلة عبد القيس يسكنون عمان وكان تمركزهم في هذه المرحلة في عمان والبحرين (انظر: الجاحظ، البيان والتبيين، القاهرة ١٩٨٥، ج ١، ص ٩٦).
(٤) انظر: قدامه بن جعفر، الخراج، ص ٣٨٧، قارن: ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٦٩).
(٥) انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٦٦.

البحرين وعمان سنة خمسة عشرة، فوجه أخاه الحكم إلى البحرين ومضى إلى عمان، فأقطع جيشاً إلى تانة[1] .. ووجه الحكم أيضاً إلى بروص[2]، ووجه أخاه المغيرة بن أبي العاص إلى خور الديبل[3]، فلقي العدو فظفر[4] وتلك هي المناطق الثلاث التي تقع في الهند حسب رواية ابن حزم والتي وصلت إليها الجيوش الإسلامية بمشاركة أهل عمان في ذلك الحين.

ومما سبق يتضح أن أهل عمان قد شاركوا في عصر الخلافة الراشدة في حركة الفتوحات الإسلامية وخاصة في الجبهة الشرقية، وكانت مشاركتهم البحرية في منطقة الخليج أمراً حتمياً في ذلك الوقت لنقل الجيوش المحاربة عبر الخليج ولإحكام السيطرة على الجزر والممرات البحرية فيه، ولما كان المسلمون بوجه عام فى بداية حركة الفتوح، لم يكن لهم أسطول يمكن الاعتماد عليه للمشاركة في خدمة تحركات الجيوش، فإني أعتقد أن سكان الخليج الذين انضموا إلى جيش المسلمين قد ساهموا بفعالية بما يملكونه من سفن وبما لديهم من خبرة بحرية في المساعدة في السيطرة على جزر الخليج ونقل القوات الإسلامية إلى شواطئه الفارسية، بالإضافة إلى مشاركتهم الفعالة في الحروب البرية.

وهناك اختلاف بين المصادر حول أسماء الولاة على عمان في عصر الخلافة الراشدة، فيشير اليعقوبي إلى أنه كان على عمان عندما توفي

---

(١) تانة أو تهانة: عاصمة ولاية مهار شترا حالياً وهي على بعد ٣٠ ميلاً من بومباي، (انظر: القاضي أطهر، المرجع السابق، ص ١٣٢).

(٢) بروج أو بروص من أشهر مدن الهند البحرية، وهي مديرية في ولاية كجرات قريبة من مدينة أحمد أباد (القاضي أظهر، المرجع السابق، ص ١٣١).

(٣) خور الديبل: مدينة على ساحل بحر الهند (البلاذري، فتوح، ص ٧٢٠).

(٤) انظر: البلاذري، المصدر السابق، ص ٥٣٠.

الرسول ﷺ عبد وجيفر ابني الجلندي ،وقال بعضهم عمرو ابن العاص،[1]. مما يوحي بأن ملكي عمان كانا يمارسان سلطاتهما بحسب وعد الرسول ﷺ لهما في رسالته في حالة إقرارهما بالإسلام كما أشرنا[2]، ويأتي اسم حذيفة بن محصن الغلفاني كوال على عمان في عهد أبي بكر ا لصديق[3] وقد أشرنا إليه كأحد المشاركين في القضاء على الردة في دبا، ثم أسندت إليه مهمة تسكين الناس وتهدئة الأحوال ويبدو أنه قام بدور عمرو ابن العاص في القيام بمهمة جمع الصدقات مع وجود الأخوين عبد وجيفر على حالهما.

أما في عهد عمر بن الخطاب فقد جاء ذكر رجل من الأنصار يدعى ،بلال، في ر واية لخليفة بن خياط، ولم يأت ذكر له في المصادر الأخرى، ويتبعه ابن خياط بعثمان بن أبي العاص الثقفي الذي تولى عمان والبحرين سنة ١٥هـ/٦٣٦م واستمر حتى وفاة عمر ويتفق في هذا مع معظم المصادر[4]، ولكن من الجدير بالملاحظة أن اليعقوبي يروي أن عامل عمر على عمان حتى وفاته كان أبو هريرة[5] أما الطبري فيذكر حذيفة ابن محصن الغلفاني كوال على عمان من سنة ١٣هـ/٦٣٤م وحتى وفاة عمر بن الخطاب[6]، ثم يعود ليذكر في حوادث سنة ٢٣هـ/٦٣٤م وهي السنة التي قتل فيها الخليفة عمر بن الخطاب أن عامل عمر ،على البحرين وما والاهما

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١١٢.

(٢) انظر: السالمي، تحفة، ص ٤٦.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط، ج ١، ص ٩١، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٣٨.

(٤) انظر: تاريخ خليفة بن خياط، ج ١، ص ١٠٤، ١٢٨، البلاذري، فتوح، ج ١، ص ١٥٤، قدامه بن جعفر، الخراج، ص ٣٨٧.

(٥) انظر: تاريخ اليعقوبي، ص ٢، ص ١٦١.

(٦) انظر: تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٤٧٩، ٦٢٣، ج ٤، ص ٣٩.

عثمان ابن أبي العاص الثقفي،[1] وكلمة ما والاهما توحي بأن هناك كلمة ساقطة وهي «عمان»، وبهذا يتفق الطبري مع معظم المصادر التي سبقت الإشارة إليها والتي تؤكد أن عثمان بن أبي العاص تولى عمان والبحرين سنة ١٥هـ/٦٣٦م أما عن رواية اليعقوبي عن أبي هريرة كوال على عمان، فلعل الأمر اختلط عليه لأن أبا هريرة كان والياً على البصرة في عهد عمر بن الخطاب[2] وكانت البصرة في ذلك الوقت بها أعداد كبيرة من الأزد العمانيين الذين كانوا على صلة وثيقة ومستمرة بوطنهم الأصلي عمان وكان هناك تعاون مشترك بين أبي موسى الأشعري وبين عثمان بن أبي العاص خلال حركة الفتوحات في اتجاه فارس، مما دفع اليعقوبي إلى الظن بولاية أبي موسى على عمان، فيروي البلاذري أن الخليفة عمر، كتب «إلى أبي موسى الأشعري وهو بالبصرة يأمره بأن يكاتف عثمان بن أبي العاص الثقفي ويعاونه، فكان يغزو فارس من البصرة ثم يعود إليها»[3] واستمر أبو هريرة على البصرة حتى عزل عنها في عهد عثمان سنة ٢٩هـ/٦٤٩م بعبد الله بن عامر، ومما يؤكد هذا الارتباط ما رواه الطبري «فقدم ابن عامر (البصرة) فجمع له جند أبي موسى الأشعرى وجند عثمان بن أبي العاص الثقفي، وكان عثمان فيمن عبر من عمان والبحرين»[4].

وتصمت المصادر العامة عن ذكر عمال عُمان من قبل الخليفتين عثمان بن عفان (٢٣-٣٥هـ/٦٤٣-٦٥٥م) وعلي بن أبي طالب (٣٥-٤٠هـ/٦٥٥-٦٦٠م)، ولكن الروايات العمانية تذكر أنه بعد وفاة

---

(١) تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٤١، انظر: مراصد الاطلاع، ج ٢، ص ١٦٧.

(٢) انظر: تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٤١.

(٣) انظر: البلاذري، فتوح، ج ٢، ص ٤٧٧، ٤٧٨.

(٤) تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٦٦.

عبد وجيفر ابنى الجلندي، خلفهما على عمان عباد بن عبد بن الجلندي في زمن عثمان وعلي[1]، ورغم ذلك فهناك بعض الإشارات التي يفهم منها أن علي بن أبي طالب قد عين ولاة على عمان، وأنه كانت تربطه علاقات قوية بقبائل الأزد العمانية المقيمة في البصرة والتي كانت منقسمة على نفسها بين التأييد والمعارضة لسياسته، فقد التقى أبو صفرة الأزدي العماني بالخليفة علي ابن أبي طالب في أعقاب موقعة الجمل (٣٦هـ/٦٥٦م) في البصرة، ودار بينهما حوار أورده «العوتبي» يفهم منه أن أبا صفرة كان زعيم الأزد في البصرة في ذلك الوقت، وأن عليا شكى له من موقف بعض العناصر الأزدية المعارضة له، فكان رد أبي صفرة «والله يا أمير المؤمنين لو كنت حاضراً ما اختلف عليك منهم سيفان»[2].

ويبدو أن العلاقات قد ساءت بين عمان وعلي بن أبي طالب بعد ذلك، وخاصة في أعقاب التحكيم وما أسفر عنه من نتائج. فيروي اليعقوبي في أحداث سنة ٣٨هـ/٦٥٨م أن عليا قد وجه الحلو بن عوف الأزدي عاملاً على عمان، فوثبت به بنو ناجية فقتلوه، وكان الخريت بن راشد وأصحابه الذين ثاروا على علي بن أبي طالب بالكوفة قد فروا إلى عمان، فأرسل علي جيشاً بقيادة معقل بن قيس الرياحي إلى عمان الذى تمكن من القضاء على الخريت بن راشد وقتله[3] بعد معارك عنيفة يروي تفاصيلها الطبري[4]. وهكذا

---

(١) انظر: الأزكوي، تاريخ عمان، ص ٤٠، قارن: ج. س. ولكنسن، بنو الجلندي في عُمان، ص ١٥ - ١٦.

(٢) انظر: العوتبي، الأنساب، ص ١٢٥.

(٣) انظر: تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ١٩٤.

(٤) انظر تفاصيل ثورة الخريت بن راشد بن ناجية ضد علي بن أبي طالب (تاريخ الطبري، ج ٥، ص ١١٣ - ١٣٢)، ولا يذكر الطبري في روايته عمان بالنص مثل اليعقوبي، ولكنه يذكر أن معقل بن قيس الرياحي قائد جيش علي بن أبيْ طالب التقى بالخريت «بالأسياف» وهى تعني الشواطئ، ومن المرجح أنها شواطئ عمان كما ذكر اليعقوبي.

Scanned by CamScanner

كان انتقام بني ناجية من علي بن أبي طالب بقتل العامل الذي أرسله إعلانا عن العصيان ورفض سياسته بعد التحكيم.

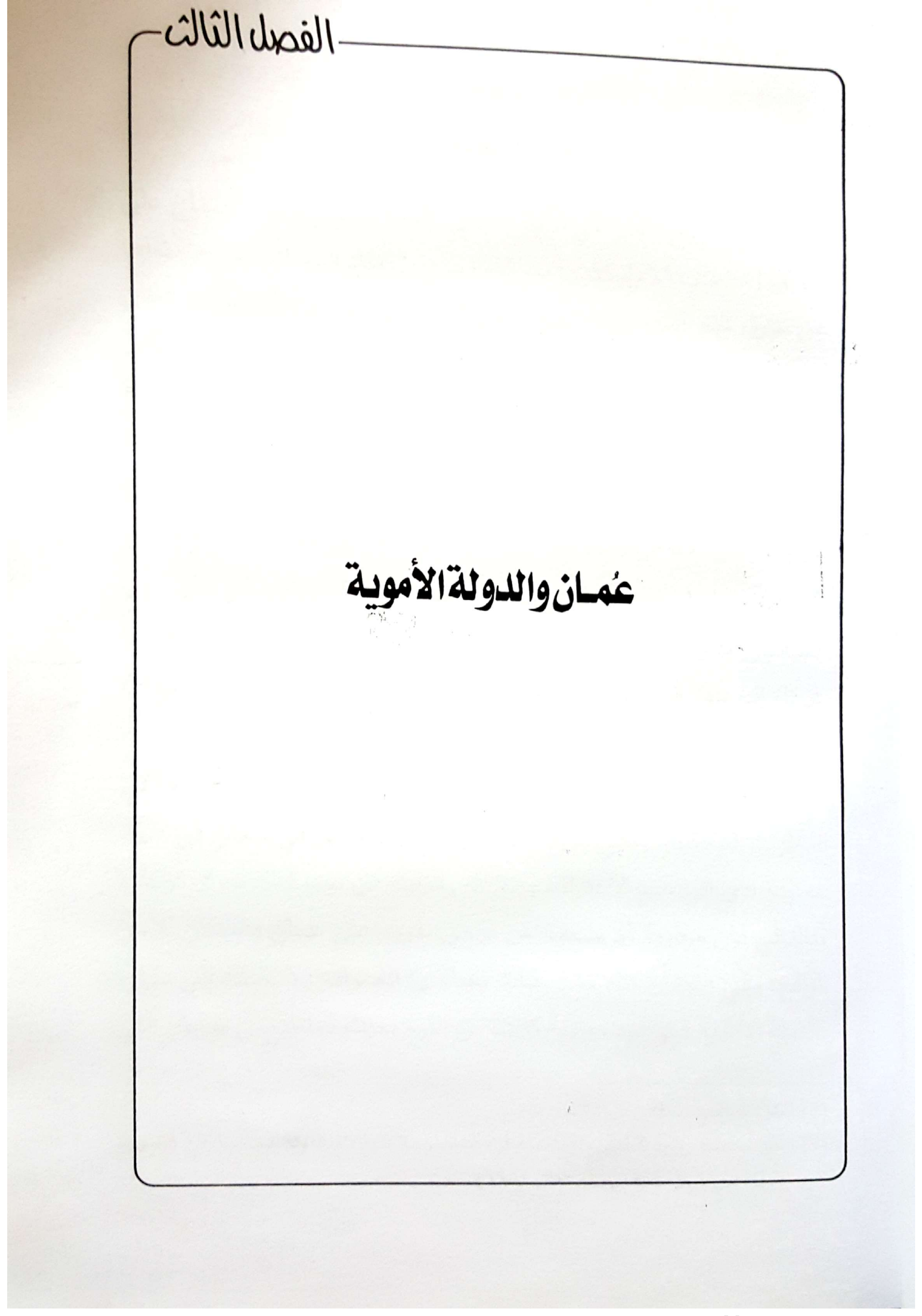
ومن الجدير بالملاحظة أن الخريت بن راشد كان من زعماء بني ناجية العمانيين وقد ساهم في حروب الردة ضد لقيط بن مالك في دبا وعاون الجيوش الإسلامية عندما كانوا على وشك الهزيمة[1] وكان الخريت، وقومه من بني ناجية، من أنصار علي بن أبي طالب وقد انضم إلى صفوفه يوم الجمل وشهد معه صفين والنهروان[2] وقد أعلن الخريت مفارقته لعلي سنة ٣٨هـ/٦٥٨م، ولما سأله علي عن السبب قال «لأنك حكمت في الكتاب، وضعفت عن الحق إذ جد الجد»[3].

وهكذا نلاحظ مما سبق أن هناك عناصر قبلية من الأزد وبني ناجية في عمان كانت تعارض سياسة علي بن أبي طالب منذ موقعة الجمل وبعد التحكيم، ولعل هذه القبائل التي حسن إسلامها وظلت على فطرتها ونقائها لم تقتنع بالقتال الذي نشب بين الصحابة وبعضهم من المبشرين بالجنة، في موقعة الجمل، مما أدى إلى مصرع بعضهم، كما استاءت أيضاً لما حدث في صفين من خداع استخدم فيه كتاب الله العزيز، وما تبع هذا من الاتفاق بين الفرقاء على التحكيم وما أعقبه من خروج عناصر من أصحاب علي عليه ومفارقتهم له، وقتل معظمهم في النهروان (٣٨هـ/٦٥٨م) ، فكانت ثورة الخريت بن راشد العنيفة ضد علي بن أبي طالب لها جذورها في عُمان، فعند الخطر لجأ الخريت إلى قومه ليحتمي بهم، ولكن جيش علي طارده حتى قضى عليه[4]،

(١) تاريخ الطبري ، ج ٣ ، ص ٣١٥ .
(٢) تاريخ الطبري ، ج ٥ ، ص ١١٣ .
(٣) تاريخ الطبري ، ج ٥ ، ص ١١٤ .
(٤) تاريخ الطبري ، ج ٥ ، ص ١٢١ .

فكان ن الطبيعى أن ينتقم قومه من بني ناجية ويقتلون عامل علي بن أبي طالب الذى أرسله بعد ذلك وهو الحلو بن عوف الأزدي[1]، ومن المحتمل أن هذه المواقف توحي بأن القبائل في هذه المنطقة قد بدأ يتبلور لديها ورأي مستقل في نظام الخلافة الإسلامية ينادي بعودة الشورى[1] كما كان الوضع في عهدها الأول لأنه يتفق مع طبيعتهم القبلية.

(١) تاريخ اليعقوبي ، ج ١ ،ص ١٩٤ .
(٢) علي حسني الخربوطلي، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، (القاهرة ١٩٥٩)، ص ٥٨ .



الفصل الثالث

عُمان والدولة الأموية

الفصل الثالث

عُمان والدولة الأموية

يكتنف تاريخ عُمان في بداية العصر الأموي وحتى ولاية الحجاج على العراق (٧٥هـ/٦٩٤م) كثيراً من الغموض، بل تكاد المصادر تصمت تماماً عن تناول هذه الفترة، مما شجع بعض المؤرخين المحدثين إلى إطلاق العنان لخيالهم وتأويلاتهم والتي غالباً ما جانبها الصواب لعدم اعتمادها على وثائق تؤيد ما يذهبون إليه. وحتى الرواية العمانية لا تذكر هذه الفترة إلا في عبارة موجزة جاءت في عدة أسطر، فيقال «أنه لم يكن لمعاوية ولا لمن بعده سلطان في عمان حتى صار الملك لعبد الملك بن مروان واستعمل الحجاج على أرض العراق، وكان ذلك في زمن سليمان وسعيد ابني عباد بن عبد بن الجلندي»[١].

ولعل هذه العبارة للسالمي هي التي دفعت أحد المؤرخين إلى القول بأن العُمانيين قد رفضوا «الاعتراف بخلافة معاوية، وأكدوا استقلالهم، فلم يرسلوا الزكاة إلى بيت المال .. ومن ناحية أخرى فإن معاوية هو الآخر لم يتمكن من فرض سلطته على عُمان»[٢].

ولا أدري من أين استقى صاحب العبارة معلوماته التي أوردها في السطرين السابقين، والتي يفهم منهما أن عصياناً جرى في عُمان في عهد معاوية أدى إلى عدم الاعتراف بخلافته ومنعت عن بيت المال أموال الزكاة، وبالتالي فإن معاوية قد ضعف عن فرض نفوذه على عُمان فاستكان للأمر الواقع، وفي رأينا أن هذه تخريجات يجانبها الصواب ولا تستند إلى دليل، فالدولة الأموية في عهد معاوية كانت من القوة بحيث تستطيع أن تسيطر على

---

(١) انظر: السالمي، تحفة، ص ٥١.

(٢) انظر: محمد رشيد العقيلي، الإباضية في عُمان وعلاقتها مع الدولة العباسية في عصرها الأول، ص ٤، (سلسلة تراثنا، عمان ١٩٨٤).

عُمان في أي وقت تشاء، ولن أذكر تفاصيل ما كانت عليه قوة الدولة الأموية في ذلك الوقت ونشاط حركة الفتوحات في المشرق[١] حيث وصلت الجيوش الأموية إلى نهر جيحون وعبره المسلمون ليهاجموا بخارى وسمرقند، كما وصلت قوات المسلمين بقيادة عقبة بن نافع إلى المغرب الأدنى حيث أسس هناك مدينة القيروان سنة ٥٥هـ/٦٧٤م[٢].

وبالإضافة إلى ذلك، فقد تمكن المسلمون في عهد معاوية من فرض سيطرتهم على الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط وهددوا بأساطيلهم القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية أكثر من مرة[٣]، فهل هذه القوة العسكرية الكبيرة في المجالين البري والبحري كانت عاجزة عن الاستيلاء على عُمان في ذلك الوقت؟.

وأعتقد أن ا لتعرض لتاريخ عُمان في هذه الفترة يحتاج إلى نظرة شاملة على الأحداث في العالم الإسلامي بوجه عام وعلى إقليم العراق والبصرة على وجه الخصوص، فقد قسم معاوية الدولة الأموية إلى أقسام إدارية وكانت ولاية البصرة تشمل خراسان وسجستان والبحرين وعمان، فيروي الطبري في حوادث سنة ٤٥هـ/٦٦٥م «استعمل معاوية زيادا على البصرة وخراسان وسجستان، ثم جمع له الهند والبحرين وعمان»[٤]، وكان زياد بن أبي سفيان أو ابن أبيه شديد الوطأة على الناس عنيفا في إدارة الولايات التي أسندت إليه، ورغم ذلك لم يرد في المصادر التي بين أيدينا ما يفيد حدوث أي اشتباك

(١) انظر تفاصيل حركة الفتوحات في عهد معاوية على سبيل المثال في النويري، نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٢٦٥ وما بعدها.
(٢) انظر: ابن عذاري، البيان المغرب، نشر كولان وبرفنسال، ليدن ١٩٤٨، ج ١، ص ٢٣٤.
(٣) تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٩٣، النويري، نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٢٧١.
(٤) تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٢١٧، انظر أيضاً: علي حسني الخربوطلي، المرجع السابق، ص ٨٠.

أو اتصال على أي مستوى بين زياد بن أبيه وعمان حتى وفاته سنة ٥٣هـ/٦٧٢م[١] ولا في عهد ابنه عبيد الله بن زياد الذي أسندت إليه ولايات أبيه بعد فترة من وفاته سنة ٥٥هـ/٦٧٤م والذي كان لا يقل عنفاً عنه، واستمر على هذه الولايات حتى وفاة معاوية سنة ٦٠هـ/٦٧٩م[٢].

ومن المرجح أن سبب بعد عُمان عن مشاكل الدولة الأموية في هذه الفترة أن آل الجلندي الذين كانوا يحكمون عمان في ذلك الوقت وهم عباد ابن عبد بن الجلندي وكان يساعده ابناه سعيد وسليمان[٣]، كانوا يديرون البلاد بما لا يتعارض مع سياسة الدولة الأموية بوجه عام، وبعبارة أخرى، أن عُمَان لم يحدث فيها ما يشغل بال الخلافة الأموية ويجعلها تفكر في إرسال حملة أو جيش لإخضاعها، لأن تبرير الصمت عن ذكر شئ في المصادر عن عُمان في هذه الفترة، هو أنها لم تكن طرفاً في أحداث مهمة تستحق أن يسجلها المؤرخون ولكن سنلاحظ أن المصادر سوف تتناول بعد ذلك هجمات النجدات ثم الحجاج على عمان – كما سنوضح فيما بعد.

عُمان والخوارج النجدات[٤]:

في بداية عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥–٨٦هـ/٦٨٤–٧٠٥م) نشطت حركات الخوارج بوجه عام، ويهمنا في دراستنا الخوار ج النجدات نسبة إلى نجدة بن عامر الحنفي الذي تمكن من

(١) انظر: تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٢٨٨.
(٢) انظر: المصدر السابق، ص ٢٩٩، ص ٣٢٣.
(٣) انظر: الأزكوي، تاريخ عمان، ص ٤٠.
(٤) عن الخوارج النجدات انظر: الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم بن أحمد) ت ٥٤٨ هـ، الملل والنحل، القاهرة ١٩٧٧، ص ٢٥ – ٢٨، الرازي (فخر الدين محمد بن عمر الخطيب ت ٦٠٦)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٥٥.

الاستيلاء على اليمامة، وتوجه منها للاستيلاء على البحرين سنة ٦٧هـ/٦٨٦م، واجتمعت قبائل عبد القيس لمحاربته والتصدي لجموعه، ولكن قبائل الأزد كان لها رأي آخر، فقد أعلنوا أن «نجدة أحب إلينا من ولاتنا لأنه ينكر الجور، وولاتنا تجور، فعزموا على مسالمته»(١). ورغم هذه المعارضة من جانب قبائل عبد القيس إلا أن نجدة تمكن من الاستيلاء على البحرين، ويبدو أن تأييد العناصر الأزدية له – حسب رواية النويري – قد شجعه على التطلع لضم عمان إلى سلطانه.

ويجدر هنا أن نلاحظ أن الذي تصدى للخوارج النجدات في ذلك الوقت لمنعهم من السيطرة على مزيد من الأقاليم وإزاحتهم عما تحت يدهم منها كانت جيوش عبد الله بن ا لزبير، وليست جيوش الدولة الأموية، فكانت العراق في هذا الوقت قد بايعت عبد ا لله بن الزبير وأصبحت خاضعة له يعين عليها الولاة، فعين أخاه مصعب بن الزبير والياً عليها منذ سنة ٦٧هـ/٦٨٦م(٢)، وبالتالي يمكن القول أن عمان كانت تحت إشراف مصعب ابن الزبير بحكم ولايته على العراق والبصرة على وجه الخصوص، لذلك بادر مصعب في سنة ٦٩هـ/٦٨٨م بإرسال جيش قوي يقدر بحوالي عشرين ألف نسمة بقيادة عبد الله بن عمير الليثي الأعور للتصدي لجيش الخوارج النجدات لطردهم من اليمامة والبحرين ووقف أطماعهم في الاستمرار في ضم أقاليم جديدة، ولكن هذا الجيش لقي هزيمة قاسية على يد نجده ورجاله، وغنم الخوارج ما في معسكرهم(٣).

(١) انظر: النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٥٥.
(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ١٠٦، النويري، المصدر ا لسابق، ص ٦٧.
(٣) انظر: النويري، نفسه، ص ٥٦.

وهكذا يتضح أن الثائرين على الدولة الأموية سواء من الخوارج أم من الزبيريين كانوا يحاربون بعضهم بعضاً ولم يكن من الممكن أن يوحدوا جهودهم لاختلاف العقائد والأهداف.

وكان من الطبيعي بعد انتصار النجدات على جيش الزبيريين أن يشعروا بالاطمئنان على نفوذهم ويتطلعوا إلى الاستيلاء على عمان فتروي المصادر أن نجدة أرسل جيشاً إلى عمان بقيادة أحد قواده ويدعى عطية بن الأسود الحنفي الذي تمكن من دخولها وكان يحكمها آنذاك عباد بن عبد بن الجلندي الذي كان شيخاً طاعناً في السن، وكان يساعده ابناه سعيد وسليمان(١) فتصدى العمانيون دون مساعدة خارجية للنجدات، ولكن حلت الهزيمة بالجيش العماني وقتل عباد أثناء القتال واستولى عطية بن الأسود على عمان، وأقام بها عدة أشهر وخرج منها مستخلفا أحد رجاله ويدعى أبو القاسم(٢).

ويبدو أن الأخوين سعيد وسليمان اللذين آلت إليهما مهمة حكم عمان بعد موت والدهما قد تمكنا بعد الهزيمة على يد النجدات ومقتل والدهما أن يفرا إلى داخل عمان واحتميا بمن بقي من مؤيديهما في الجبال الوعرة التى تمتاز بها تضاريس عمان لأنه لم يمض وقت طويل حتى داهم العمانيون أبا القاسم الذي استخلفه نجدة وقتلوه وثأروا بذلك من النجدات، وتشير المصادر إلى أن عطية بن الأسود الحنفي لما وصله خبر هذه الهزيمة «عاد إلى عمان فلم يقدر عليها، فركب في البحر وأتى كرمان»(٣) مما يوحى – استناداً

(١) انظر: الأزكوي، تاريخ عمان، ص ٤٠.
(٢) النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٥٦.
(٣) النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٥٦.

على هذا النص – بأن عطية بن الأسود قد حاول تأديب العمانيين والثأر لمقتل قائده أبي القاسم ولكن العمانيين في هذه المرة كانوا على أهبة الاستعداد لمواجهته فصدوه عن بلادهم ولم يقدر عليها حسب رواية النويري، فاضطر إلى الانسحاب بسفنه بحراً في الخليج حتى نزل على شاطئه في إقليم كرمان.

وكانت كرمان أيضاً خاضعة لنفوذ عبد الله بن الزبير، وكان يخوض الحرب ضد الخوارج الأزارقة في ذلك الوقت المهلب بن أبي صفرة تحت راية آل الزبير[1] فأرسل المهلب جيشاً لمطاردة عطية بن الأسود الذي هرب من كرمان إلى سجستان، ثم إلى السند، فلحقت به خيول المهلب بقندابيل حيث قتل هناك[2].

وهكذا تمكن العمانيون من القضاء على خطر الخوارج النجدات على بلادهم[3] كما تمكن القائد العماني المهلب بن أبي صفرة من قتل عطية بن الأسود الحنفي، ونلاحظ أنه بالرغم من وجود البحرين حتى ذلك الوقت تحت سيطرة نجدة بن عامر الحنفي، فإنه بعد هزيمة قائده عطية بن الأسود، لم يفكر في إعادة الكرة لغزو عمان مرة أخرى، فمن الواضح أن عمان قد استعصت على هذه العناصر الثائرة من الخوارج ونجحت في صدها، في الوقت الذي فشلت فيه قوات عبد الله بن الزبير في التصدي لها، ورغم ما

---

(١) راجع التفاصيل، تاريخ الطبري، ج ٦، ص ١٢٥ – ١٢٧.

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٥٦.

(٣) يورد ولكنسن «خبرا عن دولة للإباضية قامت تحت حكم نجدة بن عامر الحنفي عام ٦٥هـ وسقطت عام ٧٣هـ، وفيه ما يلقي ضوءاً على أحوال عمان في آخر حكمه» .. ومهما كان المصدر الذي رجع إليه ولكنسن فإن هذا الخطأ والخلط العجيب يدل على ما يقع فيه أمثال هؤلاء الباحثين الأجانب عند تعرضهم لكتابة التاريخ الإسلامي دون فهم للنصوص أو لطبيعة المذاهب وجذور تكوينها. (انظر ك ولكنسن، بنو الجلندي في عمان، ص ١٦).

كان تحت يد نجدة من قوات برية وبحرية تمكنه من محاولة إعادة غزو عمان. إلا أنه لم يجازف بذلك وانتهى الأمر بقتل نجدة بن عامر نتيجة لخلاف بينه وبين أصحابه[1].

واستمرت عمان بعد ذلك لعدة سنوات بعيدة عن الأخطار الخارجية، وكان عبد الملك بن مروان مشغولاً بالقضاء على الفتن والثورات، وقد نجح في سنة ٧١هـ/٦٩٠م في قتل مصعب بن الزبير واستولى على العراق ثم على خراسان في العام التالي، وتخلص من ثورة آل الزبير نهائياً بعد قتل عبد الله بن الزبير سنة ٧٣هـ/٦٩٢م[2] وعادت عمان مرة أخرى – ولو نظريا – لتصبح في منطقة نفوذ الدولة الأموية، وكان على البصرة في سنة ٧٣هـ/٦٩٢م بشر بن مروان أخو الخليفة عبد الملك واستمر حتى وفاته سنة ٧٤هـ/٦٩٣م وكان قد استخلف قبيل وفاته خالد بن عبد الله بن خالد الذي ظل والياً على البصرة حتى مجيء الحجاج بن يوسف الثقفي إلى العراق والياً عليها من قبل عبد الملك بن مروان[3] ومما يدل على استمرار التقسيم الإداري الذي كان معمولاً به منذ عهد معاوية باعتبار أن ولاية العراق والبصرة يتبعها خراسان وسجستان بالإضافة إلى عمان والبحرين، ما ذكره النويري في خبر تولية عبد الملك للحجاج «على العراق دون خراسان وسجستان»[4]، وكان قدوم الحجاج إلى العراق في شهر رمضان سنة ٧٥هـ/٦٩٤م، فوجه الحكم بن أيوب الثقفي والياً على البصرة[5].

---

(١) انظر التفاصيل، النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٥٧ – ٥٨.

(٢) انظر: النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٨٠.

(٣) انظر: تاريخ الطبري، ج ٦، ص ١٦٩ – ١٩٦.

(٤) النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٢٠٧.

(٥) المصدر السابق، ص ٢١٣.

وتصمت المصادر تماماً عن ذكر عُمان في ذلك الوقت رغم تبعيتها للحجاج بن يوسف الذي تولى العراق كما ذكرنا والذي فرض سياسة القبضة الحديدية على هذا الإقليم الذي كان منذ عهد قريب خاضعاً لآل الزبير، وحتى يتيح الفرصة للمهلب بن أبي صفرة أن يواصل صراعه ضد الأزارقة في المشرق[1].

ونلاحظ أن الحجاج كان مشغولاً عن شئون عُمان في الفترة الأولى لولايته على العراق بما صادفه من مشاكل وثورات عنيفة نتيجة لتطبيقه سياسة تتسم بالقسوة والعنف مما أغضب زعماء القبائل وتحدى بعضهم سلطته، ومن الأمثلة على ذلك ثورة أهل البصرة التي اشتعلت في ربيع الآخر سنة ٧٦هـ/٦٩٥م بقيادة عبد الله بن الجارود[1] ويهمنا من أمر هذه الثورة أن عمان كانت ملاذاً للفارين من بطش الحجاج، فقد فر إليها بعد هزيمة عبد الله بن الجارود أحد أنصاره وهو عبيد الله بن زياد بن ظبيان الذي لجأ إلى سعيد بن عباد الجلندي، ورغم ذلك فقد كان هناك من أثار مخاوف سعيد بن عباد من ابن ظبيان فانتهى الأمر بقتله[3] إلا أن هذا لا يمنعنا من الاعتقاد بأن فرار ابن ظبيان إلى عُمان يوحي بعدم سيطرة الحجاج في ذلك الوقت على عمان وأنه ليس له عليها من النفوذ ما يمكن أن يمثل خطراً على ابن ظبيان حتى ذلك التاريخ، ولعل مثل هذه الحادثة جعلت الحجاج يشعر بخطورة وجود إقليم كبير مثل عمان خارجاً عن سلطانه ونفوذه، وخاصة وأن عُمان تتبعه إدارياً، لذلك بدأ الحجاج محاولاته للسيطرة على عُمان.

---

(١) تاريخ الطبري، ج ٦ ، ص ٢٠٤، ص ٢٠٧.
(٢) انظر التفاصيل في النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٢١٤ – ٢١٨.
(٣) المصدر السابق، ص ٢١٨.

ومن رواية أوردها خليفة بن خياط، يفهم أن أول والٍ أرسله الحجاج إلى عُمان كان يدعى «موسى بن سنان بن سلمة، يحدد تاريخاً لذلك «سنة كذا وسبعين»[1]، وواضح من النص أن خليفة بن خياط لا يعلم تاريخ وصول هذا الوالي الأموي إلى عُمان، ومن المرجح أنه وفد إليها بعد ثورة عبد الله بن الجارود سنة ٧٦هـ/٦٩٥م. ويبدو أن موسى بن سنان هذا قد جاء إلى عُمان تسانده حملة عسكرية حتى يتمكن من فرض سيطرته عليها، ولم يستمر في عُمان طويلاً لأن الأخوين سعيد وسليمان من آل الجلندي اعتبرا تدخل الحجاج في شئون عُمان اعتداءً على استقلالها، فقاما بالثورة على هذا الوالي وأعادا سيطرتهما على عُمان، ونحن لا نعلم شيئاً عن مصير موسى بن سنان لأن الرواية التي نعتمد عليها في هذا الصدد لا تعطي تفاصيل عن ذلك ولكن النص يقول «ثم غلب عليها (على عُمان) سعيد وسليمان ابنا عباد فبعث الحجاج طفيل بن حصين البهراني[2] فأخرجهما منها»[3] مما يوحي بأن صراعاً عسكرياً قد نشب بين جيش عُمان وبين ولاة الحجاج، وعبارة «فأخرجهما منها» لا تعني أن طفيل بن حصين والي الحجاج قد أخرج سعيد وسليمان من عُمان، ولكن من المرجح أنه قد اضطرهما إلى الاختفاء لفترة عن عاصمة عُمان صحار في ذلك الوقت والاحتماء بالمناطق الداخلية الجبلية انتظاراً لفرصة مواتية لاستعادة نفوذهما مرة أخرى.

---

(١) انظر: تاريخ خليفة بن خياط، ج ٢، ص ٣٠٠.
(٢) المصدر السابق، ص ٣٠٠.
(٣) البهراني: منسوب إلى بهران بن عمرو بن الحاف من قضاعة (الهمداني، عجالة، ص ٢٨).

ولسبب لا نعلمه كتب الحجاج إلى واليه على عُمان طفيل بن الحصين أن يستخلف عليها ويعود إلى العراق «فاستخلف حاجب بن شيبة فمات بها فغلب عليها ابنا عباد»[1].

وهكذا استمر الصراع بين الجانبين، وعاود الأخوين سعيد وسليمان التخلص من ولاة الحجاج على عمان، مما أشعر الحجاج بالرغبة في إخضاع هذا الإقليم المتمرد، فلم يتوان عن إرسال الوالة والحملات على عُمان رغم إدراكه صعوبة هذه المهمة والمقاومة العنيفة التي تعرض لها ولاته، وإصرار العُمانيين على الاحتفاظ باستقلالهم. فأرسل الحجاج عندما بلغه موت حاجب ابن شيبه والٍ جديد على عُمان يدعى – في رواية ابن خياط – «مجاع بن سعر»[2] ثم صرفه عنها[3] ولا نعرف أيضاً السبب في صرف هذا الوالي عن عُمان إلا أنه قد واجهته مصاعب أصبح من الصعب عليه مواجهتها ويبدو أن هذه المرحلة التي تعدد فيها قدوم ولاة الحاج على عُمان والتي لم يحدد لها «ابن خياط» تاريخاً محدداً، قد استغرقت الفترة بين سنتي (٧٦ – ٧٩هـ/ ٦٩٥–٦٩٨م) وكانت خلالها حملات الحجاج تتوالى على عمان دون أن يدرك غرضه منها. ويبدو أن نفوذ الحجاج قد وصل إلى غايته ابتداء من سنة ٧٨هـ/٦٩٧م حيث تروي المصادر أن عبد الملك بن مروان عزل في هذه السنة «أمية بن عبد الله» عن خراسان وسجستان وضمهما إلى أعمال الحجاج[4] وبذلك أصبح يسيطر على الأقاليم الشرقية كاملة والتي تضم البصرة وخراسان وسجستان بالإضافة إلى عُمان والبحرين.

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٠٠.

(٢) يسميه الأزكوي «جماعة بن شعوه المزني»، انظر: تاريخ عُمان، ص ٤١.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٧٦ – ٢٧٧.

(٤) النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٢٢٧.

وفي العام التالي (٧٩هـ/٦٩٨م) أرسل الحجاج أكبر حملاته على عُمان بغرض الاستيلاء عليها وإخضاعها، ويكاد ينفرد خليفة بن خياط بذكر هذه الحملة من بين المصادر العامة، فيروي في أحداث سنة ٧٩هـ/٦٩٨م «وفيها ولّى الحجاج محمد بن صعصعة الكلابي البحرين وضم إليه عُمان .. فولى محمد بن صعصعة «عبد الملك بن عبد الله بن أبي رجاء العوذي»[1] .. (عُمان)[2] فخرج عليه الريان النكرى[3] بقرية يقال لها طاب من الخط بالبحرين، وقدم عليهم ميمون الحروري[4] من عُمان، فانهزم عبد الملك، وهرب محمد بن صعصعة، فركب البحر فقدم على الحجاج، وقد كان الحجاج بعث يزيد بن أبي كبشة ممداً لمحمد بن صعصعة، فهرب محمد قبل أن يقدم عليه يزيد بن أبي كبشه»[5].

---

(١) منسوب إلى عوذ بن سرد بن الحجر بن عمران بن عامر ماء السماء، بطن من الأزد (انظر: الهمداني، عجالة، ص ٩٥) ولعل الحجاج أراد أن يستغل انتسابه إلى الأزد في تخفيف المعارضة ضده في عمان.

(٢) ساقطة في الأصل وتفهم من سياق النص.

(٣) النكري: لا نجد تفسيراً لهذه الكلمة في هذه الفترة (٧٩هـ) ومن المحتمل أنه اسم نسب كما جاء في لسان العرب أن «بنو نكرة بطن من العرب» (انظر: لسان العرب مادة «نكر») ويجيء ذكر هذه الكلمة بمعنى آخر وهو إنكار إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (١٧١–٢٠٨) من جانب بعض الإباضية، فأطلق عليهم النكارية، وهذا بعيد عن التاريخ الذي نحن بصدده (انظر: ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، ص ٤٣ (بيروت ١٩٨٦)، أبو زكريا يحيى بن أبي بكر، كتاب سير الأئمة، ص ٥٨ (الجزائر ١٩٧٩).

(٤) الحروري، نسبة إلى قرية حروراء بالقرب من الكوفة، وينسب اليها فرقة الحرورية وهي أول من انشق عن علي بن أبي طالب عند رجوعه من صفين إلى الكوفة وانحازوا إلى حروراء. (انظر: الرازي، المصدر السابق، ص ٥١).

(٥) انظر تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٧٦ – ٢٧٧.

هذا ما رواه ابن خياط، ويمكننا أن نستنتج من هذه الرواية أن الحجاج رغب في هذه المرحلة أن يجمع بين البحرين وعمان في ولاية واحدة ليحكم ا لسيطرة عليهما، وكان قد سبق مثل ذلك على يد عثمان بن أبي العاص الثقفي – كما ذكرنا – ولكن العناصر الثائرة في البحرين وعمان كانوا له بالمرصاد، ويفهم أن معركة عنيفة قد نشبت بين رجال الحجاج، وبين رجال «الريان النكري» من البحرين تسانده رجال «ميمون الحروري» من عمان مما يدل على أن أهداف الفريقين كانت واحدة، ووجه هؤلاء ضربة عنيفة لجيش الحجاج مما جعل واليه «ابن صعصعة» لا يجد أمامه فرصة للنجاة بنفسه إلا الهرب بحراً إلى العراق، ولم يستطع التريث لانتظار المدد الذي أرسله له الحجاج لإنقاذه من محنته ويذكر ابن خياط رواية أخرى تفيد أن محمد بن صعصعة والي الحجاج قد ذهب إلى عمان فقتل هناك على يدي ابن عباد[1].

وكيفما كان الأمر فالنتيجة في كلتا الحالتين واحدة وهي هزيمة جيوش الحجاج هزيمة مخزية، وعدم مقدرتها على تحقيق أهدافه في السيطرة على عمان ووضعها تحت نفوذه، ويختم ابن خياط رواياته عن هذه المرحلة من الصراع العنيف بين جيوش الحجاج وبين العمانيين بقوله «فبعث الحجاج سورة ابن الحر فقتل ابن عباد، وولاها الحجاج سعيد بن حسان الأسيدي»[2] ولا ندري من يقصد بابن عباد فهما اثنان سعيد وسليمان ولا كيف تم قتله؟، ولكن الرواية العمانية – التي لا تذكر مصادرها – تعطينا بعض التفاصيل التي يمكن أن تملء بعض الثغرات في روايات ابن خياط عن هذه المرحلة من تاريخ عمان.

(١) تاريخ ابن خياط، ص ٣٠٠.
(٢) نفس المصدر والصفحة.

فتشير الرواية العمانية أن عمان ظلت على استقلالها في العصر الأموي، ولم يحدث صدام بين عمان والدولة الأموية إلا بعد تولية الحجاج على العراق، وكان يحكم عمان في ذلك الوقت سعيد وسليمان ابني عباد بن عبد بن الجلندي، وأهم ملاحظة هنا أن هذه الرواية تهمل ذكر تاريخ الأحداث التي ترويها، ولكنها تجمل حملات الحجاج الأولى على عمان والتي ذكرها ابن خياط وحددنا لها الفترة بين سنتي (٧٦هـ/٦٩٥م، ٧٩هـ/٦٩٨م) بأن الحجاج كان يغزو عمان بجيوش عظيمة وكان الأخوان سعيد وسليمان يفضان جموعه ويبيدان عساكره فى مواطن كثيرة وكان كلما أخرج إليهما جيشاً هزماه واستوليا على سواده[1]، وهذه عبارات عامة غير محددة بأسماء وأماكن وتواريخ مما يجعل لروايات خليفة بن خياط قيمة كبيرة فيما نحن بصدده.

ولكن التفاصيل المهمة في الرواية العمانية توضح الحملات الكبرى التي أدت في النهاية إلى خضوع عمان لسيطرة الحجاج بن يوسف ورغم عدم ذكر تاريخ لهذه الحملات إلا أنه من المرجح أنها بدأت بعد أن انتهى الحجاج من خطر ثورة محمد بن الأشعث سنة ٨٣هـ/٧٠٢م التي هزت الدولة الأموية، وكادت تطيح بنفوذ الحجاج وتؤدي إلى عزله عن الولايات التي يحكمها واستغرقت ما يقرب من الثلاث سنوات كان الحجاج خلالها يواجه أصعب المعارك ومني بالعديد من الخسائر[2] ومن تقييم ا لأداء اتضح أنه بعد أن تخلص من هذا الخطر كان يمكنه أن يحشد جيشاً كبيراً يوجهه إلى عمان لفرض سيطرته عليها. فيروى أنه أخرج إلى عمان «القاسم ابن شعوة المزني

(١) انظر: السالمي، تحفة، ص ٥١.
(٢) انظر: النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٢٣٣.

في جمع كثير وجيش جرار،[١] وكانت حملة القاسم تضم عدداً ضخماً من السفن التي حطت على سواحل عمان، فتصدى لهذه الحملة سليمان بن عباد في حشد من الأزد، وأوقع بجيش الحجاج هزيمة كبيرة، قتل فيها القاسم وكثير من أصحابه وقواده، فلما بلغ ذلك الحجاج غضب لذلك غضباً شديداً جعله يفكر في التخطيط لحملة أخرى يمسح بها عار هذه الهزيمة، فاختار لقيادة هذه الحملة «مجاعة بن شعوة»،[٢] أخا القاسم مستغلاً عامل التعصب القبلي والرغبة في الثأر، وفي نفس الوقت أمر بألا يشارك في هذه الحملات إلا القبائل القيسية، فجعلها حرباً قبلية بين القيسية واليمنية، ولم يكتف بهذا بل «أقعد وجوه الأزد الذين كانوا بالبصرة عن النصرة لسليمان بن عباد»[٣] ومعروف أن البصرة كانت بها أعداد كبيرة من الأزد معظمهم من أصل عماني[٤] ويبدو أنهم كانوا يتعاطفون مع أزد عمان ويبلغونهم بأخبار تحركات جيوش الحجاج مما جعل العمانيين يأخذون حذرهم. وحشد الحجاج لهذه الحملة ما يقدر بأربعين ألف مقاتل، سلك بعضهم الطريق البري، وركب البعض الآخر السفن في طريقهم إلى سواحل عمان، وكان في انتظار الحملة البرية سليمان بن عباد الذي يبدو أنه كمن لها وفاجأها ولم يكن معه سوى ستة آلاف رجل، فأوقع بها الهزيمة وطاردها وهو لا يعلم بأمر الحملة البحرية التي كان يقودها «مجاعة بن شعوة» والتي رست سفنها في منطقة قريبة من جلفار (رأس الخيمة الحالية) وتحركت جيوش مجاعة على ساحل عمان حتى وصلت مدينة

(١) انظر: الأزكوي، تاريخ عمان، ص ٤٠.
(٢) قارن: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٠٠.
(٣) السالمي، تحفة، ص ٥٢، الأزكوي، تاريخ عمان، ص ٤١.
(٤) كان في البصرة في ذلك الوقت حشد من الإباضية بقيادة الإمام جابر بن زيد الأزدي العماني وكانت الدعوة في دور الكتمان، فوضعهم الحجاج تحت مراقبة شديدة خوفاً من تأثيرهم على الأحداث. (انظر: عوض خليفات، نشأة الحركة الإباضية، عمان ١٩٧٨، ص٩٩).

بركاء الساحلية فتصدى لهم عندها سعيد بن عباد وقاتلهم قتالاً عنيفاً حتى حجز بينهم الليل، وأدرك سعيد عدم جدوى المقاومة فانسحب إلى الداخل حتى وصل الجبل الأخضر وهناك وافاه سليمان ليتدبرا أمر القتال ضد القوات الغازية، وكان مجاعة قد حرك سفنه إلى ميناء مسقط القريب نسبياً من مواقعه في بركاء، فدبر سليمان عملية فدائية تمكن فيها من إشعال النار في سفن مجاعة فاحترق منها ما يزيد على خمسين وهربت الباقيات بعيداً عن الشاطئ، مما أشعر مجاعة بالرهبة وتمثل له شبح الهزيمة فخرج من بركاء يريد اللحاق بسفنه فالتقى مع جيش سليمان ببلدة سمائل وهو على هذا الحال ووقعت بين الجانبين معكة عنيفة انتهت بهرب مجاعة بمن بقي معه في السفن منسحباً إلى جلفار[١].

راسل مجاعة الحجاج بعد أن كادت قواته أن تمنى بالهزيمة طالباً منه المساعدة لاستكمال مهمته الصعبة في عمان، فسارع الحجاج بإرسال خمسة آلاف فارس عليهم عبد الرحمن بن سليمان وكانت الأزد في البصرة تراقب ما يجري من تحركات عسكرية بعيونها، وقلوبها مع أشقائهم في عمان، وأرسلت أخبار المدد على عجل إلى الأخوين سعيد وسليمان، فأدرك الأخوان صعوبة التصدي لكل هذه الحشود، فقررا حقناً للدماء أن يغادرا عمان طوعاً، فغادراها بحراً بما يمكن حمله معهما من الأموال والذراري والأعوان، وقصدا إحدى بلاد الساحل الإفريقي المواجه لعمان وانتهى أمرهما بالموت هناك[٢]، ودخل مجاعة وعبد الرحمن بجيوش الحجاج إلى عمان دون مقاومة هذه المرة، وكان تصرفهم عنيفاً يتسم بالتشفي والانتقام لما صادفوه من

(١) انظر: السالمي، تحفة، ص ٥٢، الأزكوي، تاريخ عمان، ص ٤١.
(٢) قارن: تاريخ ابن خياط، ص ٣٠٠.

مصاعب سابقة فانتقمت الجيوش الأمـوية من القبائل التي كانت تساند سليمان وسعيد شر انتقام وتعرضت البلاد للنهب والتخريب[١].

وهكذا خضعت عُمان للحكم المباشر من جانب الدولة الأموية ولعل هذه أول مرة منذ دخول الإسلام إلى عُمان، يُفرض على البلاد والياً من خارج عُمان دون رغبة أهلها، فقد ظلت أسرة الجلندي تحكم عُمان منذ أيام الرسول ﷺ حتى فرار سعيد وسليمان ابني عباد بن عبد بن الجلندي.

ونحن لا نعرف تاريخاً محدداً للحملة الأخيرة التي استولت فيها جيوش الحجاج على عُمان، ولكن من المحتمل أن هذا كان متزامناً مع رغبة الحجاج في القضاء على آل المهلب العُمانيين، فقد شهدت سنة ٨٦هـ/٧٠٥م أعنف الضربات ضد المهالبة من جانب الحجاج ففيها قبض الحجاج على يزيد بن المهلب وحبسه، وعزل حبيب بن المهلب عن كرمان وعبد الملك عن شرطته[٢] فأعلنها حرباً قبلية ضد كل من هو أزدي أو عُماني، ومما يؤكد هذا، الولاة الذين عينهم الحجاج على عُمان بعد الاستيلاء عليها، فقد كان حريصاً على أن يكونوا من عرب الشمال، فيذكر ابن خياط أسماء ثلاثة ولاة منذ استيلاء الحجاج على عُمان وحتى وفاته هم: سعيد بن حسان الأسيدي[٣]، وعبد الرحمن بن سليم الكلبي[٤]، ثم عبد الجبار بن سبرة

---

(١) انظر: السالمي، تحفة، ص ٥٢ – ٥٣، الأزكوي، تاريخ عُمان، ص ٤١ – ٤٢.

(٢) انظر: النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٣١٣.

(٣) الأسيدي: نسبة إلى أسيد بن عمرو بن تميم .. بن مضر (الهمداني، عجالة، ص ١٤).

(٤) الكلبي: منسوب إلى كليب بطن من بني تميم (نفسه، ص ١٠٨).

المجاشعي[١] وواضح أنهم جميعاً من بني تميم مما يوضح حرص الحجاج على تطبيق سياسته العنيفة في عُمان لإخضاعها لسلطان الدولة الأموية.

كما يقال أن الحجاج قد زج في السجن في ذلك الوقت ببعض زعماء الأزد في البصرة ومنهم شيخ الإباضية الإمام جابر بن زيد، ولم يلبث الحجاج أن أطلق سراحه ونفاه إلى عُمان مما أتاح لجابر الفرصة لنشر تعاليم المذهب في موطنه الأصلي مستغلاً ما يكنّه أهل عُمان من كراهية للدولة الأموية ولممثلها في العراق الحجاج بن يوسف الثقفي، ولسيرة الولاة السيئة في أهل عُمان، وقد ساعد هذا على نشر الدعوة الأباضية بين قطاعات كبيرة من القبائل العُمانية[٢] ونحن لا نعلم تاريخاً محدداً لنفي جابر بن زيد إلى عُمان، ولكن هناك احتمال أن يكون ذلك متزامناً مع نكبة المهالبة على يد الحجاج سنة ٨٥هـ/٧٠٤م، ومن المؤكد أن جابر قد عاد إلى البصرة قبيل وفاته سنة ٩٣هـ/٧١١م[٣].

ولا نعرف سبب عودة جابر بن زيد من منفاه في عُمان إلى البصرة ولاسيما أن الحجاج الذي نفاه كان لا يزال مسيطراً على العراق، ولكن يمكن تبرير ذلك بأن الدعوة الإباضية في ذلك الوقت كانت في طور الكتمان، وأن الحجاج عندما نفى جابر إلى عُمان لم يكن بسبب جهوده المذهبية وإلا كان بذلك يتيح له فرصة نادرة لنشر مذهبه بين قومه وعشيرته، ولم يكن

---

(١) المجاشعي: منسوب إلى مجاشع بن دارم .. بطن من تميم وعامتهم بالقصرة (نفسه، ص١١١)، ويسميه الطبري «الخيار بن أبي سبرة المجاشعي» (انظر: تاريخ الطبري، ج ٦، ص ٣٠٤، وقارن رواية الأغاني، ج ٢١، ص ٣٦١).

(٢) انظر: عوض خليفات، مرجع سابق، ص ١٠٠ – ١٠١.

(٣) خليفة بن خياط، كتاب الطبقات، ص ٢١٠.

الحجاج يعرف حقيقة ما يدعو إليه جابر بن زيد وإلا اتخذ منه موقفاً آخر وهو المعروف بالبطش وسفك الدماء.

وكيفما كان الأمر فإن وفاة الحجاج سنة ٩٥هـ/٧١٣م، ثم تولية سليمان بن عبد الملك للخلافة في العام التالي (٩٦هـ/٧١٤م) قد وضع حداً لمعاناة الأزد بوجه عام، وأهل عُمان على وجه الخصوص، لتبدأ فترة أخرى من الحكم الذاتي في عُمان بعيداً عن الاضطهاد وتعصب الولاة من القيسية، وكان سليمان بن عبد الملك بعد تولية الخلافة مباشرة قد أسند ولاية العراق إلى يزيد بن المهلب[1] ثم ضم إليه خراسان في سنة ٩٧هـ/٧١٥م، فولى يزيد أخاه زياد بن المهلب على عمان، فلم يزل عاملاً عليها محسناً إلى أهلها حتى مات سليمان بن عبد الملك سنة ٩٩هـ/٧١٧م[2].

ويرى الدكتور عوض خليفات أن الخليفة سليمان بن عبد الملك، كان على علاقة وثيقة مع المهالبة زعماء الأزد الذين انضموا إلى الحركة الإباضية بأعداد وفيرة إبان إمامة جابر بن زيد الأزدي، ويقول أنه «من المحتمل أن الإباضية لم يلاقوا عنتا خلال فترة سليمان بن عبد الملك الذي عين زعيم الأزد يزيد بن المهلب والياً على العراق وخراسان»[3]. وفي رأينا أن الخليفة سليمان بن عبد الملك أو من سبقه من الخلفاء الأمويين، ما كانوا يسندون قيادة الجيوش ويولون الولايات الكبيرة لآل المهلب، وهم يعلمون أنهم يعتنقون المذهب الإباضي، أو يتعاطفون معه على الأقل، فكيف يستقيم ذلك

(١) النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٣٤٣.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٢٥، تاريخ الطبري، ج ٦، ص ٥٠٦، العوتبي، الأنساب، ج ٢، ص ١٤٨.

(٣) انظر: عوض خليفات، المرجع السابق، ص ١٠٤.

والمذهب الإباضي لا يعترف بالخلافة الأموية، وينادي بمبدأ الشورى في اختيار الخليفة[1] وبالتالي يقر بعدم أحقية الأسرة الأموية في خلافة المسلمين، ولعل المهالبة كانوا يؤيدون الدعوة الإباضية أو يتعاطفون معها، ولكن هذا لم يكن بعلم سليمان بن عبد الملك أو غيره من خلفاء الأمويين، فالإباضية في هذه المرحلة كانوا في طور الكتمان، وكانت معلومات السلطة الحاكمة عنهم قليلة إن لم تكن معدومة[2] وحتى حادثة نفي جابر بن زيد إلى عُمان ثم عودته إلى البصرة قبل وفاته سنة ٩٣هـ/٧١١م، فإنها تؤكد ما ذهبنا إليه من جهل الحجاج لحقيقة ما يدعو إليه جابر، ولذلك فإن القول بأن الإباضية لم يلاقوا عنتاً خلال فترة سليمان بن عبد الملك يجانبه الصواب، لأنه كان من الصعب على سليمان أن يحدد معتنقي المذهب الإباضي في ذلك الوقت، ولو كان يعلم مثل هذا الأمر لتغير موقفه تماماً من الإباضية والمهالبة، وسوف يتضح ذلك عند تناولنا لثورات الإباضية في حضرموت واليمن والموقف العنيف الذي اتخذته الدولة الأموية في قضائها على هذه الثورات لأنها كانت تواجه عدواً ظاهراً يمكن معرفة أهدافه ونواياه.

أما ما يقال عن «العلاقات السلمية وأحياناً الودية بين الإباضية والسلطة الحاكمة والتي امتدت خلال حكم الخليفتين سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز»[3] فهي علاقات غير مؤكدة مع دعوة تعمل في الخفاء وتبالغ في السرية[4].

(١) انظر: كتاب السير والجوابات، ج ١، ص ١٦٣.

(٢) اظر التفاصيل: أبو زكرياء يحيي، المصدر السابق، ص ٦.

(٣) عوض خليفات، المرجع السابق، ص ١٠٥.

(٤) انظر تفاصيل الدعوة السرية، المرجع السابق، ص ١٠٦ – ١٠٩.

وتشير المصادر إلى تدهور العلاقات بين المهالبة والدولة الأموية في عهد عمر بن عبد العزيز (٩٩ – ١٠١هـ/٧١٧–٧١٩م) الذي عزل يزيد بن المهلب عن الولايات التي أسندت إليه في عهد سلفه سليمان وقبض عليه وسجنه بحصن حلب[١]، ونتيجة لذلك فإن والي البصرة عدي بن أرطأة الفزاري عزل زياد بن الهلب وولى مانه على عُمان «سعيد بن مسعود المزني»[٢]. والظاهر أن الوالي الجديد قد أساء السيرة في أهل عُمان، مما دفع أهلها إلى الشكوي للخليفة[٣] الذي استجاب لشكواهم فعزل سعيد بن مسعود، وأرسل على عُمان من قِبله «عمرو بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري»[٤] متخطياً بذلك والي البصرة عدي بن أرطأة ليضمن سرعة رفع الظلم عن كاهل العُمانيين، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى واليه على البصرة كتاباً لتصحيح الأحوال المعيشية لفقراء عمان الذين أضيروا من سياسة الوالي المعزول، وجاء في كتابه «.. فإني كنت قد كتبت إلى «عمرو بن عبد الله» أن يقسم ما وجد بعُمان من عشور التمر والحب في فقراء أهلها ومن سقط إليها من أهل البادية، ومن أضافته إليها الحاجة والمسكنة وانقطاع السبيل، فكتب إلى أنه سأل عامل قبله عن ذلك الطعام والتمر، فذكر أنه قد باعه وحمل إليك ثمنه، فاردد إلى عمرو ما كان حمل إليك عاملك على عُمان من ثمن التمر

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ٥، ص ٤٨ – ٤٩، النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٣٦٣.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٢٩، ابن حزم، الجمهرة، ص ٢١٢.

(٣) يروي الجاحظ أن الشاعر العماني كعب الأشقري كتب إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز أبياتاً يشكو فيها عامله على عمان جاء فيها:

إن كنت تحفظ ما يليك فإنما * عمال أرضك بالبلاد ذئاب

لن يستجيبوا للذي تدعوا له حتى تجلد بالسيوب رقاب

(٤) تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٢٩.

والحب ليضعه في المواضع التي أمرته بها، ويصرفه فيها إن شاء الله والسلام»[١].

ويهمنا من هذه الرسالة ما تشير إليه من أن صدقات عُمان لم يكن يحمل منها شيئاً إلى بيت المال في العاصمة، وكان المتبع أن تصرف هذه الصدقات لمستحقيها في داخل عُمان، وأن ما يحدث غير ذلك يكون خروجاً على المألوف يعاد تصحيحه، كما أن عداء عمر بن عبد العزيز لآل المهلب لم يجعله يسيء معاملة أهل عُمان فقد كان بعيداً في سلوكه عن التعصب القبلي أو المذهبي.

ونحن نشك في صحة الرأي الذي يربط بين ثورة يزيد بن المهلب ضد الدولة الأموية (١٠١–١٠٢هـ/٧١٩م – ٧٢٠م) وبين «بروز جماعة متطرفة من بين الإباضية تنادي بوجوب الثورة»[٢].

فالمصادر تؤكد أن يزيد بن المهلب كان في سجن عمر بن عبد العزيز منذ توليه الخلافة سنة ٩٩هـ/٧١٧م بسبب لا علاقة له بالإباضية، بل لأنه طالبه بأموال كان يزيد قد ذكرها في كتاب له إلى سليمان بن عبد الملك قبيل وفاته، فطالبه بها عمر بن عبد العزيز، فلما أنكرها كان مصيره الحبس[٣]، كما تؤكد المصادر أن الخليفة عمر بن عبد العزيز، وولي عهده يزيد بن عبد الملك – الذي ستقع في عهده ثورة يزيد بن المهلب – كانا على علاقة سيئة

---

(١) انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ج ١، ص ٩٤.

(٢) عوض خليفات، المرجع السابق، ص ١١٠ – ١١١.

(٣) انظر التفاصيل، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٠٢، الكامل، ج ٥، ص ٤٨ – ٤٩، النويري، نهاية الأرب، ص ٣٥٢، ٣٦٣.

به لتكبره وتحديه السافر لأمراء الأسرة الحاكمة(١). ونلاحظ أنه أثناء أحداث ثورة يزيد بن المهلب لا ترد إشارة واحدة في جميع المصادر تربط بين الإباضية وبين هذه الثورة ولو تلميحاً(٢).

وكيفما كان الأمر، فإن عمرو بن عبد الله الأنصاري ظل والياً على عُمان حتى وفاة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١هـ/٧١٩م، وتشير المصادر العُمانية أنه في أعقاب وفاة الخليفة أحضر عمرو بن عبد الله زياد بن المهلب - الذى يبدو أنه كان مايزال مقيماً في عُمان حتى ذلك الوقت - وقال له: «هذه البلاد بلاد قومك فشأنك بها» وسلم له مقاليد الولاية، وترك عمرو ابن عبد الله عمان، وظل زياد بن المهلب والياً على عُمان حتى سقوط الدولة الأموية(٣).

(١) انظر أمثلة على ذلك: ابن قتيبة، عيون الأخبار، ص ٢٩١، تاريخ الطبري، ج ٦، ص ٥٢٨-٥٢٩، الكامل، ج ٥، ص ٤٩.

(٢) انظر التفاصيل: تاريخ الطبري، ج ٦، ص ٥٨٣، ٥٨٦، ٥٩٥، النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٣٨٦ - ٣٨٨.

(٣) انظر: السالمي، تحفة، ص ٥٣.

الفصل الرابع

عُمان بين عهدين : سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية

الفصل الرابع

عُمان بين عهدين: سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية

تعرضت الدولة الأموية في نهاية عهدها لانهيار شديد بعد أن تمكنت منها عوامل الهدم التي ترجع جذورها إلى بداية الدولة، ولسنا هنا بصدد التعرض لهذه العوامل التي تسببت في انهيار الدولة الأموية، ولكن يهمنا أن نوجز الظروف التي سادت المشرق الإسلامي بوجه عام وعمان على وجه الخصوص لنعطي صورة واضحة عن قيام الإمامة الإباضية الأولى في عمان.

كما يهمنا من بين العوامل التي سببت انهيار الدولة الأموية عامل «العصبية القبلية» لتأثيره المباشر في توضيح الظروف التي أثرت إلى حد ما على سياسة عمان التي يغلب على سكانها قبائل الأزد اليمنية الأصل، فالعصبية العربية التي كانت أهم دعامات الدولة الأموية، ومن الثوابت القوية في تماسكها وازدهارها أصبحت مع الوقت وبالاً ودماراً على الأمويين، فقد انشطر العرب إلى عصبتين رئيسيتين تعادي إحداهما الأخرى في النزاع المشهور بين قبائل الشمال وقبائل الجنوب أو النزارية واليمنية[١].

وقد بلغ هذا النزاع ذروته في عهد آخر الخلفاء الأمويين مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ/ ٧٤٤-٧٤٩م)، ورواية المسعودي في هذا الشأن تعطي فكرة ملخصة عن هذا الصراع القبلي المدمر فيقول: «وافتخرت نزار على اليمن، وافتخرت اليمن على نزار وأدلى كل فريق بما له من المناقب، وتحزبت الناس، وثارت العصبية في البدو والحضر، فنتج من ذلك أمر مروان ابن محمد الجعدي، وتعصبه لقومه من نزار، وانحراف اليمن إلى الدعوة العباسية[٢].

---

(١) انظر: المسعودي، مروج، ج ٣، ص ٢٤٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٤٥.

ونحن لا نشك أن أهل عُمان كانوا طرفاً بشكل أو بآخر في هذا النزاع بين النزارية واليمنية، فما كان يمس اليمنية خارج عُمان من مظاهر الاضطهاد أو القتل، كان يجد صداه لدى إخوانهم في عُمان في رد فعل عنيف طلباً للثأر من النزارية المقيمين في عمان والأمثلة على ذلك كثيرة منها «قصة معن بن زاءدة باليمن، وقتله أهلها تعصباً لقومه من ربيعة وغيرها من نزار، .. وفعل عقبة بن سالم بعُمان والبحرين وقتله عبد القيس وغيرهم من ربيعة وسائر نزار ممن بأرض البحرين وعُمان كياداً لمعن، وتعصباً من عقبة بن سالم لقومه من قحطان»[1].

ونحن للأسف لا نجد معلومات أخرى عن عقبة بن سالم هذا الذي ورد في رواية المسعودي السابقة، وعن دوره في عمان والبحرين في هذا الوقت مما جعل له السلطة لكى يثأر من القبائل النزارية فيهما رداً على موقف معن بن زائدة من أهل اليمن.

ورغم هذا، فإنه من الصعب الادعاء بأن العناصر اليمنية في عُمان ومعظمهم من الأزد، وخاصة هؤلاء الذين انضموا إلى المذهب الإباضي، قد ثاروا ضد مروان بن محمد، أو شاركوا في سقوط الدولة الأموية وهدفهم تأييد الدعوة العباسية، فالاختلاف المذهبي بين الدعوة العباسية، والمذهب الإباضي، لا يختلف في جوهره عن الخلاف بين الإباضية والدولة الأموية.

وقد شهدت السنوات الأخيرة من عمر الدولة الأموية مجموعة من الثورات العنيفة في أنحاء مختلفة من أملاك هذه الدولة اختلفت مقاصدها المذهبية وعقائدها الدينية وإن كان يجمعها الرغبة في القضاء على ملك الأمويين، ويهمنا من هذه الثورات الثورة التي قامت سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م

(١) انظر: المسعودي، مروج، ص ٢٤٦.

على حدود عُمان والتي بدأت في حضرموت وقادها عبد الله بن يحيى الكندي المعروف بطالب الحق وكان على المذهب الإباضي[1]، ويصرح طالب الحق مبيناً أسباب ثورته فيقول: «رأيت باليمن جورا ظاهراً وعسفاً شديداً، وسيرة في الناس قبيحة، فقال لأصحابه: ما يحل لنا المقام على ما نرى، ولا يسعنا الصبر عليه»[2].

راسل طالب الحق زعماء الدعوة الإباضية في البصرة، فكتب إلى الإمام أبي عبيدة مسلم ابن أبي كريمة التميمي[3] وكان ينزل في الأزد وإلى غيرهم من الإباضية يستشيرهم في الخروج والثوره على الأمويين فكتبوا إليه «.. إن استطعت ألا تقيم يوماً واحداً فافعل فإن المبادرة بالعمل الصالح أفضل، ولست تدري متى يأتي عليك أجلك»[4] وأرسلت إليه الكتب تؤيده وتسانده وكان يحملها من استطاع الانضمام إليه من الإباضية من البصرة وعُمان، وكان من بين الذين وفدوا إلى حضرموت للانضمام إلى طالب الحق: أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي العماني[5] وقد خرج مع أبي حمزة من أهل عُمان ممن يدينون بالإباضية جابر بن جبلة بن عبيد الأزدي من نسل مالك بن فهم بجميع بطون نصر بن زهران اليحمد، وبني الحارث الغطريف وبني طمثان

(١) تاريخ خليفة بن خياط، ج ٢، ص ٤٠٥.
(٢) انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج ٢٣، ص ٢٢٤.
(٣) عاش أبو عبيدة في البصرة وأخذ العلم عن زعماء الإباضية ومنهم الإمام جابر بن زيد العماني، وقد خلفه في قيادة الإباضية بعد موته، وينسب إليه الفضل في نمو الحركة الإباضية في أقطار متعددة خارج البصرة وذلك بواسطة الدعاة المدربين أو حملة العلم (انظر: عوض خليفات، نشأة الحركة الإباضية، ص ١٠٣).
(٤) الأغاني، نفسه.
(٥) أبو حمزة المختار بن عوف من بلي سليمة بن مالك بن فهم من أصل عماني، (انظر: تاريخ الموصل، ص ١٠١)، سيده الكاشف، عمان في فجر الإسلام، ص ٦٧.

ومعولة، وبني مخلد[1] ويلج بن عقبة الأزدي وكانت الكتب الصادرة إلى طالب الحق من زعماء الإباضية تحمل في طياتها تعليماتهم في حالة القتال.. «إذا خرجتم فلا تغلو، ولا تغدروا، واقتدوا بسلفكم الصالحين وسيروا سيرتهم»[2].

اجتمعت الإباضية إلى عبد الله بن يحيى في حضرموت، وتمكن من السيطرة عليها، فقد كان عليها في ذلك لوقت والياً من قبل الدولة الأموية يدعى إبراهيم بن جبلة بن مخزمة الكندي، ويبدو أنه لم يحدث بينهما قتال لأن كلاهما من كنده[3] ولكن اكتفى طالب الحق بالقبض عليه وسجنه لمدة يوم واحد، ثم أطلق سراحه فتوجه إلى صنعاء، وأقام عبد الله بن يحيى بحضرموت حتى جاءت إليه الإباضية من كل مكان وكثر جمعه فبايعوه وعامة أصحابه من أهل البصرة وأطلقوا عليه «طالب الحق[4]» وخوطب بأمير المؤمنين[5]. وكان يتزعم إباضية عُمان في هذه البيعة الجلندي بن مسعود بن جيفر[6] الذي سيتولى الإمامة الإباضية الأولى فيما بعد.

وتجدر الإشارة إلى أن ما يهمنا من أمر حركة «طالب الحق» هو مشاركة إباضية عمان فيها مشاركة فعالة، فقد جمعت هذه الثورة العناصر المؤيدة للمذهب الإباضي في المراكز الرئيسية للحركة في البصرة وعُمان

---

(1) واضح من روايات أبي زكريا أن أعداداً كبيرة من بطون الأزد العمانية شاركت في تأييد طالب الحق، بالإضافة إلى بني مخلد وغيرهم من بطون نصر بن هران وسليمة ومعن ابني مالك بن فهم، وغيرهم من ولد مالك ابن فهم. (انظر: تاريخ الموصل، ص ٧٧، ٧٨، ٨٠).

(2) انظر: الأغاني، ج ٢٣، ص ٢٢٤.

(3) تاريخ الموصل، ص ٧٧.

(4) انظر: تاريخ ابن خياط، ج ٢، ص ٤٠٦، السالمي، تحفة، ص ٦٠.

(5) تاريخ ابن خياط، نفسه، الأغاني، ج ٢٣، ص ٢٢٥.

(6) انظر: المسعودي، مروج، ج ٣، ص ٢٢٥.

وحضرموت والمين، فكانت ثورة مذهبية في المقام الأول، وإن كانت العناصر الرئيسية فيها يمنية الأصل، إلا أنه من الواضح أن المحرك للثورة لم يكن التعصب القبلي ضد النزارية فحسب، بل نشر تعاليم المذهب الإباضي وإقامة إمامة إباضية تسيطر على ما يمكن السيطرة عليه من أملاك الدولة الأموية.

فما كادت الأمور تستقر لعبد الله بن يحيى في حضرموت، حتى كتب إلى إباضية صنعاء بأنه في الطريق إليهم، ثم استخلف على حضرموت عبد الله بن سعيد الحضرمي وتوجه إلى صنعاء (سنة ١٢٩ هـ/٧٤٦م) وتمكن من الاستيلاء عليها بعد معارك عنيفة مع واليها القاسم بن عمر الثقفي ووضع طالب الحق يده على ما في صنعاء من خزائن وأموال[1] كان في أمس الحاجة إليها لتقوية جيوشه والإنفاق على أتباعه.

ويبدو لنا أن طالب الحق لم يحسن تقييم مقدرته العسكرية بالقياس إلى قوة خصمه مروان بن محمد، وبالتالي لم يضع لطموحاته حدوداً يقف عندها ولا يتخطاها في صراعه ضد الدولة الأموية. فطالب الحق لم يكن يملك من القوة ما يمكنه تحقيق حلمه في القضاء على الدولة الأموية ووراثتها في حكم العالم الإسلامي فلا قوته العسكرية ولا سعة الانتشار والتأييد لمذهبه بمكناه من تحقيق ذلك، ولا سيما أن الدعوة العباسية في ذلك الوقت (١٢٩هـ/٧٤٦م) كانت قد بدأت صراعها العسكري ضد الدولة الأموية مؤيدة بحشود ضخمة في خراسان والأقاليم الشرقية بوجه عام[2]، وكان يمكن لطالب الحق الاستقرار فيما تحت يده من أقاليم لفترة أطول مظهراً مذهبه،

---

(1) انظر: تاريخ ابن خياط، ج ٢، ص ٤٠٦، الأغاني، ج ٢٣، ص ٢٢٦.

(2) انظر التفاصيل، تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٣٥٣ وما بعدها، المسعودي، مروج، ج ٣، ص ٢٥٤ - ٢٥٥.

مزيداً بمن يسانده من العناصر الإباضية المجاورة، ولكن يتضح من تحركاته العسكرية بعد استيلائه على اليمن أن طموحاته كانت أكبر من ذلك.

فتروي المصادر أنه في موسم حج سنة ١٢٩ هـ/٧٤٦م بعث عبد الله ابن يحيى، أبا حمزة المختار بن عوف، وبلج بن عقبة الأزدي على رأس جيش في اتجاه الحجاز، وكانت أوامره أن يقيم المختار بن عوف بمكة بعد انتهاء الموسم ويستولي عليها، وأن يتوجه بلج إلى الشام لمواجهة الخليفة الأموي مروان بن محمد[1].

وإذا كان ما ذكر عن عدد جيش «طالب الحق» الذي أسندت إليه القيام بهذه المهمة وهو عشرة آلاف[2] صحيحاً، فإن طالب الحق – في رأينا – كان يقوم بمغامرة غير محسوبة ستكون لها نتائج سيئة على الحركة الإباضية برمتها، ورغم ذلك فإن المصادر الإباضية تعتبر حركة طالب الحق هذه أقوى حركة للإباضية في تاريخها[3].

ولم يكتف طالب الحق بذلك، بل تروي المصادر أنه أرسل الرسل والدعاة إلى مصر، يدعو أهلها إلى الثورة وتأييده في حركته ضد مروان بن محمد، فبايع له نفر من قبيلة «تجيب» اليمنية وكان والي مصر في ذلك الوقت «حوثرة بن سهيل الباهلي» (١٢٨-١٣١ هـ/٧٤٥-٧٤٨م) وهو من القيسية[4] الذي كان قد بدأ ولايته لمصر بمطاردة اليمنية وقتل أعداداً كبيرة

---

(١) الأغاني، ج ٢٣، ص ٢٢٧.

(٢) انظر: تاريخ خليفة بن خياط، ج ٢، ص ٤٠٦، قارن: أبو زكريا، تاريخ الموصل، ص ١٠١.

(٣) انظر: كتاب السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان، ج ١، تحقيق د. سيده الكاشف، القاهرة ١٩٨٦، ص ١١٩.

(٤) انظر: الهمداني، عجالة المبتدي، ص ٢٢.

منهم حتى أنه قضى على أسر بأكملها[1]. ويبدو أن عدد المؤيدين لحركة عبد الله بن يحيى في مصر كان قليلاً، فقد كشف صاحب الشرطة أمرهم وقبض عليهم وقتلهم حوثرة جميعاً[2].

ولعله ليس من قبيل المصادفة أن يتحرك الإباضية في المغرب في نفس السنة (١٢٩هـ/٧٤٦م) ويقومون بثورة عنيفة ضد الأمويين هناك لم يكتب لها النجاح[3].

وليس لنا أن نخوض في تفاصيل المعارك التي دارت بين جيوش عبد الله بن يحيى وبين الجيوش الموالية لمروان بن محمد في الحجاز، ولكن يمكننا الإشارة إلى أن أبا حمزة المختار بن عوف قد تمكن بعد انتصاره في موقعة قديد بالقرب من المدينة في صفر سنة ١٣٠ هـ/٧٤٧م، وفرار والي المدينة عبد الواحد بن سليمان إلى الشام أن يضع يده على الحجاز ويحكم سيطرته على مكة والمدينة[4] وقتل في معركة قديد عدد كبير من القرشيين يقدر بحوالي أربعمائة وخمسون رجلاً[5]، ومما يظهر تغلغل التعصب القبلي في النفوس، ما يشير إليه صاحب الأغاني من شماتة الأزد العمانيين في هزيمة قريش لعدم اعترافها بنسبهم، فيروى على لسان أحد العمانيين المشاركين في المعارك «الحمد لله

---

(١) راجع: الكندي (أبو عمر بن يوسف)، كتاب الولاة والقضاة، بيروت ١٩٠٨، ص ٩٠-٩١، أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (طبعة دار الكتب ١٩٦٣)، ج ١، ص ٣٠٣ - ٣٠٥.

(٢) انظر: الكندي، المصدر السابق، ص ٩٢.

(٣) تاريخ ابن خياط، ج ٢، ص ٤١١.

(٤) انظر التفاصيل: الأغاني، ج ٢٣، ص ٢٣٠، تاريخ ابن خياط، ج ٢، ص ٤٠٧، تاريخ الموصل، ص ١٠٨ - ١٠٩.

(٥) الأغاني، ج ٢٣، ص ٢٣٢.

الذي أذلهم بأيدينا، فما كانت قريش تظن أن من نزل عُمان من الأزد عربي»[1].

ويتضح مما تقدم أن التجمع الإباضي بقيادة عبد الله بن يحيى لم يكن هدفه محصوراً في إقامة إمامة إباضية في حضرموت واليمن فحسب، بل كان يرمي إلى ضرب الخلافة الأموية في كل مكان والقضاء عليها، كما نلاحظ أن حضور الجلندي بن مسعود بيعة عبد الله بن يحيى في حضرموت لم يكن حضوراً سياسياً الهدف منه التأييد المعنوي فحسب، بل إن العُمانيين قد شاركوا بفاعلية في المعارك التي خاضتها جيوش عبد الله بن يحيى، وإن كان لم يذكر اسم الجلندوي بن مسعود بين قواد المعارك، فإن المختار بن عوف العماني كان يشاركه عدد كبير من العُمانيين من أبناء عمومته[2].

وكيفما كان الأمر، فإن ثورة طالب الحق لم يكتب لها النجاح فقد داهمتها قوات مروان ابن محمد بقيادة عبد الملك بن عطية السعدي الذي استرد الحجاز وقتل المختار بن عوف وبلج بن عقبة في عدد كبير من أتباعهم في نفس السنة (١٣٠هـ/٧٤٧م) وفر من بقي منهم على قيد الحياة إلى اليمن[3] واستمر عبد الملك بن عطية في مطاردتهم حتى أوقع بطالب الحق وقتله في معظم أصحابه، ودخلت قوات مروان بن محمد اليمن، وتتبعت الإباضية للقضاء عليهم ووصلت قوات ابن عطية إلى حضرموت حيث دارت معارك عنيفة هزم فيها الإباضية[4].

(١) انظر: الأغاني، ج ٢٣، ص ٢٣٠.
(٢) انظر: تاريخ الموصل، ص ١١٢.
(٣) الأغاني، ج ٢٣، ص ٢٤٥.
(٤) نفسه، ص ٢٤٩.

ورغم هذه النهاية الدامية التي انتهت بها حركة الإباضية بقيادة عبد الله بن يحيى، إلا أن المصادر تذكر أن مطاردة القوات الأموية لبقايا الإباضية توقفت عند حضرموت[1] لأن أوامر صدرت إلى القائد الأموي عبد الملك بن عطية بالتوجه إلى مكة ليشهد موسم الحج (١٣٠هـ/٧٤٧م) ويبدو أن الموسم كان على الأبواب فأسرع في عدد قليل من أصحابه متوجهاً إلى مكة، وفي الطريق تمكن عدد من الإباضية من قتل عبد الملك بن عطية وأصحابه، وثأروا لمن قتل منهم في معاركة ضدهم.

ومن المرجح أن أعداداً كبيرة من الفارين بعد هزيمة طالب الحق لم يكن لهم ملجأ في ذلك الوقت إلا عُمان القريبة منهم والتي بها عدد كبير من إخوانهم في المذهب، فيروي المسعودي أحداث هزيمة طالب الحق على أيدي القوات الأموية فيقول: «فكانت بينهم حرب عظيمة قتل فيها عبد الله بن يحيى وأكثر من كان معه من الإباضية، ولحق بقية الخوارج ببلاد حضرموت فأكثرها إباضية إلى هذا الوقت .. ولا فرق بينهم وبين من بعمان من الخوارج في هذا المذهب»[2]. وكان هذا التجمع الإباضي تمهيداً منطقياً لمحاولة جديدة من جانب الإباضية لإقامة أول إمامة لهم في عمان.

إمامة الجلندى بن مسعود فى عُمان:

تكاد تصمت مصادر التاريخ العام التي بين أيدينا عن ذكر إمامة الجلندي بن مسعود على عمان كأول إمام ظهور إباضي، ولا يأتي ذكر هذا الحدث إلا مرتبطاً بواقعة أخرى: وهي مطاردة خازم بن خزيمة للخوارج الصفرية في جزيرة ابن كاوان (البحرين) والذين فروا منها إلى عمان وتصدى

(١) تاريخ الموصل، ص ١١٤.
(٢) المسعودي، مروج، ج ٢، ص ٢٥٨.

لهم الجلندي بن مسعود في الإباضية وقضى عليهم وقتل قائدهم شيبان بن عبد العزيز الحروري[1].

ولكن المصادر العُمانية تعطينا بعض التفصيلات المهمة عن حالة عُمان في أعقاب قيام الدولة العباسية وعن الظروف التي ساعدت على قيام الإمامة الإباضية الأولى، فيروي السالمي: «أن أبا العباس السفاح ولى أخاه أبا جعفر المنصور على العراق، وولى المنصور على عُمان جناح بن قيس بن عمرو الهنائي، ثم عزله وولى ولده محمد بن جناح، فلان للمسلمين (يقصد الإباضية) ووافقهم على ما يحبون حتى صارت ولاية عُمان لهم، فعند ذلك عقدوا الإمامة للجلندي بن مسعود، فكانت سبباً لظهور الإسلام وقوة شوكته»[2]. والنص السابق يحتاج منا إلى وقفة للمناقشة والمقارنة والتصحيح.

فإن ما رواه السالمي ومن أخذ عنه من المؤرخين المحدثين[3] من أن والي العراق في سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م عند قيام الخلافة العباسية كان أبو جعفر المنصور يتنافى مع ما جاء في المصادر المختلفة، فوالي البصرة في هذه السنة كان سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب طبقاً لما جاء في أقدم المصادر[4]، وطبقاً لما هو متبع منذ العصر الأموي فإن عُمان كانت تتبع البصرة إدارياً، واستمر هذا في العصر العباسي، ويؤكد ما ذهبنا إليه نص للطبري في أحداث سنة ١٣٣هـ/٧٥٠م عن ولاة الدولة العباسية في هذه السنة فيقول: «فمن ذلك ما كان من توجيه أبي العباس عمه سليمان بن علي والياً على البصرة

---

(١) انظر: تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٣٥١ – ٣٥٣، ص ٤٦٣.

(٢) السالمي، تحفة، ص ٥٣، ٥٤، ٦٠.

(٣) انظر: الأنكوي، كشف الغمة، ص ٤٣، محمد رشيد العقيلي، الإباضية في عمان، ص ١٣.

(٤) انظر: تاريخ ابن خياط، ج ٢، ص ٤٣٠، تاريخ الطبر ي، ج ٧، ص ٤٥٨.

وأعمالها، وكور دجلة والبحرين وعُمان...»[1] مما يوحي بأن سفيان بن معاوية والي البصرة سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م كانت تتبعه إدارياً نفس الأقاليم السابق ذكرها.

أما عن ولاية أبي جعفر المنصور على العراق، فإن المصادر تؤكد ان المنصور قد أسندت إليه في هذا الوقت ولايات الجزيرة وآذربيجان وأرمينية[2] وهذه أقاليم لا علاقة لها بعُمان من الناحية الإدارية.

هذا وكان سفيان بن معاوية المهلبي قد ساند الدعوة العباسية في البصرة انتقاماً لما فعله الأمويون بآل المهلب، فلبس السواد وحارب الوالي الأموي على البصرة[3] وبعد نجاح الدعوة العباسية كانت مكافأة العباسيين لسفيان بأن أسندوا إليه ولاية البصرة وتوابعها وردوا إليه أملاك آل المهلب في البصرة والتي كانت الدولة الأموية قد صادرتها أبان غضبها على آل المهلب[4].

ومن المحتمل أن سفيان بن معاوية والي البصرة في بداية العصر العباسي سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، عندما أراد أن يعين والياً على عُمان – وطنه الأصلي – اختاره بحيث يقف بجانب رغبات أهلها ويعمل على راحتهم والإحسان إليهم، لذلك كان اختياره لاثنين من بني هناءة وهم من الأزد العمانيين[5] واحداً بعد الآخر: جناح بن عباد الهنائي، ثم ابنه محمد بن

---

(١) تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٤٥٩.

(٢) تاريخ ابن خياط، ج ٢، ص ٤٣٩، تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٤٥٨.

(٣) انظر التفاصيل: تاريخ ابن خياط، ج ٢، ص ٤٢٦ – ٤٢٧، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٤٥.

(٤) انظر: البلاذري، فتوح، ص ٤٥١، العوتبي، الأنساب، ج ٢، ص ١٥٦ – ١٥٧.

(٥) الهنائي: منسوب إلى هناءة بن مالك بن فهم، بطن من الأزد وهم بعمان والبصرة (انظر: الهمداني، عجالة، ص ١٢٥).

جناح، ومن المرجح أنهما كانا يعتنقان المذهب الإباضي، فلما أصبح أحدهما بعد الآخر والياً على عمان ساعدا على قيام الإمامة الإباضية، فالأول له مسجد مشهور في صحار يعرف بمسجد جناح[1] واستمرار وجود هذا المسجد والحرص على تعميره قد يكون إشارة إلى الذكرى الطيبة التي يحلمها الإباضية لهذا الرجل. وفي نفس الوقت فإن محمد بن جناح الذي تولى على عمان بعد والده، قد قطع شوطاً بعيداً في اتجاه مساندة الدعوة الإباضية، فعبارة السالمي توحي بأنه قد سلم مقاليد الولاية في عمان للإباضية «فداهن الإباضية حتى صارت ولاية عمان لهم»[2].

ومن الغريب حقاً أن حدثاً مهماً مثل عقد الإمامة الإباضية الأولى للجلندي بن مسعود في عمان لا نجد له تاريخاً محدداً حتى في المصادر المحلية، ولكن هناك ارتباط بين عقد هذه الإمامة وبين قيام الدولة العباسية، والمعروف أن الدولة العباسية قد أعلنت في ربيع الآخر سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م[3]، ورغم ذلك فإنه لا يمكن قبول القول بأن عقد إمامة الجلندي في عمان كانت متزامنة مع قيام الدولة العباسية كما قرر البعض[4].

فكما ذكرنا – فإنه بعد قيام الدولة العباسية تولى على عمان إثنان من الولاة الواحد بعد الآخر، وكان لهما دوراً واضحاً من الناحيتين القبلية والمذهبية في التمكين للدعوة الإباضية في عمان وتسهيل قيام الإمامة الأولى للإباضية، فإذا كان الدولة العباسية قد ظهرت في ربيع الآخر سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م فمن المستبعد أن يستمر حكم واليين على عمان أقل من

(١) السالمي، تحفة، ص ٥٤.
(٢) انظر: السالمي، تحفة، ص ٥٤، سيدة الكاشف، المرجع السابق، ص ٧٩.
(٣) انظر: تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٤٣١، المسعودي، مروج، ج ٣، ص ٢٧٠.
(٤) انظر: رشيد العقيلي، المرجع السابق، ص ١٨.

الشهور الباقية من عام ١٣٢هـ/٧٤٩م، مما أرجح معه أن الإمامة قد ظهرت في عمان في أواخر سنة ١٣٢هـ أو أوائل سنة ١٣٣هـ.

ويبدو أن خبر إعلان هذه الإمامة قد أغضب الخلافة العباسية على واليها على البصرة سفيان بن معاوية المهلبي، وشعر العباسيون بما يمكن أن يكون قد قدمه من تسهيلات ساعدت على قيام الإمامة الإباضية، لكانت النتيجة المنطقية لكل هذا هو عزل سفيان عن البصرة، فيروي الطبري أنه في سنة ١٣٣هـ/٧٥٠م وجه الخليفة أبو العباس عمه سليمان بن علي والياً على البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان[1].

بدأ الجلندي بن مسعود بعد توليه الإمامة في عمان في تنظيم شئون الحكم والإدارة على أسس تتسم بالمركزية، فنظم الناحية المالية وخاصة فيما يتعلق بالصدقات ومصارفها الشرعية كما اهتم بما يفرض على التجار وعلى مصادر العمل في البحر، كما نظم القضاء العماني وأسنده إلى العناصر الموثوق بها من الإباضية المشهود لهم بسعة العلم ودماثة الخلق[2].

ويبدو أن تنظيم مالية البلاد كان مرتبطاً إلى حد ما بتنظيم فرق الجيش العماني في ذلك الوقت، فكانت الوحدات العسكرية يتراوح عدد أفرادها ما بين مائتين وأربعمائة، وأسندت قيادة كل وحدة إلى قائد عسكري يشترط فيه التعمق في الفقه الإباضي بالإضافة إلى الحزم والقوة كما قسمت هذه الوحدات العسكرية إلى جماعات صغيرة تتكون الجماعة من عشرة أفراد يرأسهم عريف أو مؤدب من الملمين بتعاليم المذهب الإباضي ليعلمهم الدين ويؤدبهم على المعروف ويهديهم إلى سبيل الرشاد.

(١) انظر: تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٤٥٩.
(٢) السلامي، تحفة، ص ٦٠.

وكان راتب الجندي العُماني في ذلك الوقت صغيراً يقدر بسبعة دراهم شهرياً، ونحن لا ندري قيمة هذه الدراهم الشرائية في ذلك الوقت ومدى كفايتها لحياة الجندي ومن يعولهم ولكن الراوي الذى نقل عنه السالمي يقول: «وكان المرء منهم يرزق في الشهر سبعة دراهم في غلاء من السعر، فيصبر على القوت اليسير رغبة في الآخرة والثواب من عند الله، قال: وقد بلغنا أنه ربما بقي مع الرجل منهم الدرهم والدرهمان، فيتطوع بذلك الفضل فيرده في فيء المسلمين»[1].

وهذا التنظيم العسكري والعقائدي الدقيق الذي وضعه الجلندي بن مسعود لرجاله من الشراة، وما طبعهم عليه من التقشف والبعد عن الشهوات والتفاني والرغبة في الاستشهاد في سبيل الدفاع عن الوطن والعقيدة، يدل على أن الجلندي كان يشعر أنه لا شك سوف يواجه بقوة عاتية تحاول القضاء على إمامته والوقوف في وجه دولته الناشئة، فقد خبر الجلندي من قبل التعامل مع «الجبابرة» – وهو المصطلح الذي يطلقه الإباضية على السلطة الحاكمة المعادية لهم[2] – أثناء الصراع العنيف الذي دار بين القوات الأموية وحركة عبد الله بن يحيى طالب الحق.

بالإضافة إلى ما سبق فقد اهتم الجلندي بن مسعود بتنظيم بعض الشئون الاجتماعية في عُمان خاصة ما يتعلق بملابس النساء التي أمر بأن لا يظهر منهن إلا الوجه والبنان، كما نهى النساء عن الخروج في يوم المطر أو الجلوس في الطرقات، كما أمر الرجال بتقصير ملابسهم وألا يظهروا ما فوق

---

(١) انظر: السالمي، تحفة، ص ٦١، ٦٢.
(٢) المرجع السابق، ص ٦٦.

الركبة، وفرض على أهل الذمة عدم التشبه بملابس المسلمين[1]، مما يوحي بأن هذه الأمور لم تكن منفذة من قبل على الوجه الأكمل وأن الجلندي أراد أن تطبق بدقة كاملة مع إلزام الجميع باتباع هذه التعليمات.

وبالرغم من إقامة إمامة الظهور في عمان بقيادة الجلندي بن مسعود، إلا أنه من استقراء الأحداث يفهم أن القيادة العليا للحركة الإباضية ظلت في مدينة البصرة، وأن زعماء المذهب في البصرة كانت بيدهم الفتوى في القضايا الخلافية التي يتعرض لها إباضية عُمان، ومن الأمثلة على ذلك أنه عندما تاقت أنفس بعض أفراد الجيش الجلندي بن مسعود من الشراة إلى النساء ورغبوا في الزواج، وهذا مما يتعارض مع طبيعة مهمتهم وتعاليم المذهب، وشعر قادتهم بالخوف لما دب في نفوسهم من الشهوات، عرضوا أمرهم على علماء الإباضية في البصرة «فلما وصل ذلك إليهم فزعوا منه، وساءهم ذكر الشراة الذين باعوا لله أنفسهم للنساء، وطلب الشهوات»[2] وجاءت الفتوى فقبلها الجميع، «واقتدوا بهدي أهل الفضل واتبعوا أمرهم»[3].

أما المثال الآخر فهو ما حدث من والي ولاية «ابري» أبو صالح الوضاح الذي أمن جماعة من أعداء الإباضية وقعوا في يده، وخرج بهم إلى الجلندي بن مسعود الذي رفض الاعتراف بهذا الأمان الذي منحه الوالي، ووجه من لقي الوضاح في الطريق وقتل الذين أمنهم، فحدث خلاف فقهي بين الإباضية حول هذه الحادثة، فرفعت المسألة إلى زعماء الإباضية بالبصرة

---

(١) السالمي، المرجع السابق، ص ٦١، ٦٢.
(٢) انظر: السالمي، تحفة، ص ٦١.
(٣) نفسه، ص ٦٢.

فكانت الفتوى «لا أمان إلا للإمام، ولا أمان دون الإمام»[1]. وهكذا يتضح الارتباط الوثيق بين إباضية البصرة والإمامة الأولى في عمان، ورغم هذه الاتصالات القوية، فإنه من الصعب قبول الرأي القائل بأن الإمامة الإباضية في عمان «اعتبرت نفسها الممثل الشرعي للإمامة في العالم الإسلامي، .. التي كانت تهدف أن تمد نفوذها أولاً بأول من المناطق المجاورة لعمان إلى كافة أقطار العالم الإسلامي»[2].

وفي رأينا أن هذا تعميم خطير من الصعب الأخذ به دون أدلة من المصادر التي بين أيدينا، والتي لم تذكر أو تلمح إلى تحركات عسكرية أو نشاط عدائي يهدف أن تفرض الإمامة الإباضية نفوذها على العالم الإسلامي، على العكس من ذلك نرى أن القيادة العليا للمذهب الإباضي لم تكن داخل عمان، بل ظلت حتى ذلك الوقت يقودها علماء البصرة كما ذكرنا.

والأهم من ذلك أن الإمامة الإباضية لم تكن تسيطر على كل عمان خلال فترة حكم الجلندي مسعود، ويفهم من الروايات العمانية أن عناصر من بني الجلندي، كانوا على خلاف مع الجلندي بن مسعود، مما اضطره للتخلص من معارضتهم إلى قتل عدد من أفراد أسرته وهم جعفر بن سعيد الجلنداني، وابنيه النظر وزائدة[3]، ويبدو أن الخلاف كان سياسياً ومذهبياً في نفس الوقت، أي أن هذه العناصر المعارضة من بني الجلندي وأعوانهم لم يكونوا يدينون بالمذهب الإباضي، لذلك كان امتناعهم عن بيعة الجلندي بن

(١) انظر: السالمي، تحفة، ص ٦٣.
(٢) انظر: محمد رشيد العقيلي، الإباضية في عُمان، ص ١٨.
(٣) انظر: السالمي، تحفة، ص ٦٣، قارن، ولكنسن، المرجع السابق، ص ٢٢، الذى يرجع سبب المنافسة بين أسرة الجلندي أن الإمام الجلندي بن مسعود كان يرجع في نسبه إلى جعفر بن الجلندي، في حين كان خصومه يرجعون في نسبهم إلى عبد بن الجلندي.

مسعود يعد تحدياً لتعاليم الإباضية. ولكن قتل زعماء المعارضة من بني الجلندي لم يكن يعني زوال خطرهم والقضاء على نفوذهم، والدليل على ذلك أنه بمجرد قتل الجلندي بن مسعود سنة ١٣٤هـ/٧٥١م على يد الجيوش العباسية - كما سنوضح فيما بعد - ظهرت هذه العناصر مرة أخرى على مسرح الأحداث لتحتل مركز القيادة وتحل محل العناصر التي تدين بالمذهب الإباضي من بني الجلندي ويؤكد السالمي هذا المعنى في قوله: «وبقيت عمان بعده (الجلندي بن مسعود) في يد الجبابرة من بني الجلندي منقادين لأمر بني العباس»[1].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الإمامة لم تكن مستقرة تماماً للجلندي بن مسعود خلال فترة حكمه لعُمان، ويبدو أنه قد أقدم على قتل العناصر المعارضة من أسرته تحت ضغط من جانب العناصر المتشددة من مستشاريه؛ لأنه بعد تنفيذ الحكم بإعدامهم فاضت عيناه بالدموع، مما جعل هؤلاء ينتقدون هذه المشاعر، ويتهمونه بالتعصب لأسرته، وفي رواية أخرى أنهم طالبوه بالاعتزال عن الإمامة، فاستجاب الجلندي لرغبتهم، وطرح عنه السيف والقلنسوة - التي يبدو أنهما كانتا من رسوم الإمامة - ثم استجاب بعد ذلك لإلحاح أهل الحل والعقد للعودة لتولي منصب الإمامة ثانية[2].

مما سبق يتضح أنه من الصعب في مثل هذه الظروف الداخلية في عمان والتي تتسم بالتوتر الداخلي، وظهور المعارضة للجلندي بن مسعود الذي كان يحاول تنظيم الشئون العسكرية والمالية والاجتماعية في بلاده، أن تكون له طموحات خارج عمان، ولعله قد استفاد من تجربة عبد الله بن يحيى

(١) انظر: السالمي، تحفة، ص ٦٦.
(٢) انظر: السالمي، تحفة، ص ٦٣.

طالب الحق، الذي شتت قواه العسكرية وبعثر جهوده في سبيل مد نفوذه خارج اليمن مما أدي إلى قتله ومعظم أتباعه على يد الجيوش الأموية، رغم أن الدولة الأموية كانت تمر بمرحلة الضعف والانهيار، وتحاصرها الثورات في كل مكان. لذلك كان من الصعب على الجلندي – حتى لو أراد – أن يوسع نفوذه على حساب أملاك الدولة العباسية. بل كان عليه أن يواجه خطر التدخل من جانب القوات السياسية للقضاء على إمامته واستعادة عُمان إلى كنف الخلافة.

وتربط المصادر التاريخية على اختلافها بين حادثة الحرب بين خازم بن خزيمة القائد العباسي والخوارج الصفرية الذين فروا من جزيرة ابن كاوان إلى عُمان ومقتل زعيمهم شيبان بن عبد العزيز اليشكري على يد الجلندي ابن مسعود، وبين القضاء على الإمامة الإباضية الأولى ومقتل الجلندي بن مسعود على يد الجيوش العباسية.

وقد اختلفت الروايات في ذكر هذه الحادثة وتاريخها .. فالطبري على سبيل المثال يروي في تاريخه عدة روايات مختلفة عن مقتل شيبان هذا فيقول أنه قتل سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م في ناحية البحرين[١] ثم يذكر في رواية ثانية أنه قتل في نفس السنة ولكن في عُمان، قتله جلندي بن مسعود[٢] ثم يعطينا رواية ثالثة بأنه قتل في سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م في سجستان[٣] ثم يعود فيذكر في أحداث سنة ١٣٤هـ/٧٥١م حادثة قتل شيبان بن عبد العزيز في عُمان على يد الجلندي بنس مسعود بشيء من التفصيل[٤].

---

(١) تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٣٥١.
(٢) نفسه، ص ٣٥٣.
(٣) نفسه، ص ٣٥٢.
(٤) نفسه، ص ٤٦٣، قارن: تاريخ الموصل، ص ٧٦.

وتكرر معظم المصادر حادثة قتل شيبان مرتين، مرة سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م والثانية سنة ١٣٤هـ/٧٥١م وينسب قتله في كلتا الحالتين للجلندي بن مسعود في عُمان[١] ولا تحاول هذه المصادر حل هذه المشكلة، ولكن ابن الأثير يعلق في نهاية الرواية الثانية ليذكرنا بروايته الأولى فيقول: «وقد تقدم سنة تسع وعشرين مائة قتل شيبان على هذا السياق»[٢].

وهذا الموضوع يرجع في بدايته إلى ثورة الضحاك بن قيس الشيباني الحروري – من الخوارج الصفرية – التي اشتعلت ضد مروان بن محمد سنة (١٢٨هـ/٧٤٥م)، وتعددت المعارك العنيفة بين جيوش الضحاك وجيوش مروان إلى أن قتل الضحاك «ونصبت الخوارج بعد قتل الضحاك: الحري الشيباني، فلما قتل الحري ولت الخوارج عليها أبا الدلفاء شيبان الشيباني»[٣].

ويهمنا من النص السابق الذي أورده المسعودي أن الضحاك بعد قتله تولى بعده شخصاً يدعى «الحري الشيباني»، وهو ما أطلقت عليه بعض المصادر اسم «الخيبري»[٤]. ثم تولى بعده زعامة الصفرية «أبو الدلفاء شيبان الشيباني» وأبو الدلفاء هذا هو «شيبان بن عبد العزيز اليشكري» الذي يعرف «بأبي الدلفاء»[٥]، وهكذا يفهم من النص أن هناك قائدين تولى كلاهما زعامة

---

(١) يذكر ابن خياط هذه الحادثة سنة ١٢٩هـ، وأن شيبان قتل في عمان، ولا يذكر اسم الجلندي (انظر: تاريخ ابن خياط، ج ٢، ص ٤٠٠، ٤٠٩).
(٢) الكامل، ج ٥، ص ٤٥٢.
(٣) انظر: المسعودي، مروج، ج ٣، ص ٢٥٦.
(٤) انظر: تاريخ ابن خياط، ج ٢، ص ٤٠٠، تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٣٤٩، المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٩٨.
(٥) تاريخ الطبري، ج ٧ ، ص ٣٤٩.

الصفرية أحدهما بعد الآخر في أعقاب مقتل الضحاك بن قيس وكلاهما ينسب إلى شيبان، وهذا ما لم توضحه المصادر أما الأول فهو الحري الشيباني المعروف بالخيبري والذي قتل في الحرب ضد الدولة الأموية في خراسان سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م[١] والثاني فهو أبو الدلفاء شيبان بن عبد العزيز اليشكري، والذي تمكن من الإفلات بفلول الصفرية وأقام بجزيرة ابن كاوان وانشغلت عنه الدولة الأموية بمشاكلها، كما انشغلت عنه الدولة العباسية حتى استقرت أوضاعها فأرسلت حملة سنة ١٣٤هـ/٧٥١م للقضاء على الصفرية وإخضاع عُمان. ويؤكد هذا، النص الذي أورده النويري، فيذكر بعد أن استعرض حادثة مطاردة خازم بن خزيمة لشيبان بن عبد العزيز ولجوء الأخير إلى عُمان وقتله على يد جيش الإباضية بقيادة الجلندي بن مسعود سنة ١٣٤هـ/٧٥١م «وقد ذكرنا في سنة تسع وعشرين ومائة في أخبار مروان بن محمد قتل شيبان هذا، وليس هو شيبان الذي قتل بخراسان ذلك شيبان بن سلمة»[٢].

والطريقة التي أرسل بها خازم بن خزيمة إلى جزيرة كاوان سنة ١٣٤هـ/٧٥١م توحي بأن الخلافة العباسية كانت ترغب في الإنتقام من خازم فأرسلته لهذه المهمة على أمل أن يلقى حتفه أو يعود بنصر عزيز المنال يكفر به عما ارتكبه من جرم في حق أخوال الخليفة أبي العباس وقتله عدداً منهم[٣] وكانت أوامر الخليفة أن يتوجه خازم لمهمته مع سبعمائة رجل فقط، وكتب إلى سليمان بن علي والي البصرة بحمل خازم ورجاله في السفن إلى

(١) انظر: النويري، ج ٢٢، ص ٦٣.
(٢) المصدر السابق.
(٣) انظر: تاريخ الموصل، ص ١٥٥.

جزيرة ابن كاوان ولا شك أن هذا الجيش يعد صغير الحجم بالقياس إلى المهمة التي أسندت إليه وهي حرب الخوارج الصفرية وإخضاع عُمان[١].

ولكن خازم احتاط لنفسه، وجمع عدداً كبيراً من أهله وعشيرته ومواليه، ومن أهل مدينة «مرو الروذ» الذين كانوا موضع ثقته، فلما وصل خازم برجاله إلى البصرة حملهم سليمان في السفن وانضم إلى جيش خازم في البصرة أعداد من قبيلة بني تميم، وكانت المحطة الأولى لهذه القوات جزيرة ابن كاوان حيث يتجمع الصفرية بقيادة شيبان بن عبد العزيز، فوجه إليه خازم خمسمائة رجل بقيادة نضلة بن نعيم النهشلي، ووقع بين الجانبين قتال عنيف كانت الغلبة فيه للجيش العباسي، مما اضطر شيبان إلى الهرب من الجزيرة فركب وأصحابه السفن وساروا إلى عُمان[٢].

وهكذا تمت المواجهة بين الخوارج الصفرية بقيادة شيبان، وبين إباضية عُمان بقيادة الإمام الجلندي بن مسعود، وتروي المصادر العُمانية أن الجلندي عندما علم بنزول شيبان برجاله على سواحل عُمان، أخرج إليهم فريقاً من جيشه بقيادة هلال بن عطية الخراساني ويحيى بن نجيح، وقبل المواجهة العسكرية، قام يحيى بدعوة شيبان إلى الدخول في المذهب الإباضي وبذلك يمكن حقن الدماء وانضمامه إلى إخوانه من الإباضية، ولكن الصفرية لم يستجيبوا لدعوة السلام، ودارت معركة بين الجانبين قتل فيها شيبان ورجاله، واستولى العُمانيون عليهم فلم تبق منهم بقية، وقتل من الجانب الإباضي يحيى ابن نجيح في عدد من رجاله[٣].

(١) انظر: تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٤٦١ – ٤٦٢، ابن الأثير، الكامل، ج ٥، ص ٤٥٠-٤٥١.
(٢) انظر: تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٤٦٣، الكامل، ج ٥، ص ٤٥٢.
(٣) انظر: السالمي، تحفة، ص ٦٤، قارن: عوض خليفات، المرجع السابق، ص ١٣١.

ويبدو أن خازم بن خزيمة كان يراقب ما يجري من معارك بين الصفرية والإباضية على أرض عُمان، منتظراً ما تسفر عنه هذه المعارك حتى يتخذ الخطوة التالية، فما كاد يقضي الإباضية على الصفرية حتى تحرك خازم في سفنه ونزل على سواحل عُمان لتنفيذ الجزء الثاني من مهمته بإخضاعها لسلطان الخلافة العباسية(١).

وتتفرد الرواية العُمانية بذكر ما يفيد أن خازم بن خزيمة عندما نزل برجاله على الساحل العماني تقدم إلى منطقة جلفار (رأس الخيمة حالياً)، وقبل الدخول في مواجهة مع الجلندي أبلغه أنه جاء إلى عُمان بهدف مطاردة شيبان ورجاله، وطالما أن العُمانيين قد كفوه مشقة قتالهم، فإنه يرغب في مسالمتهم، وطلب منه الدخول في طاعة الخليفة العباسي، وإعلان الولاء للدولة العباسية. فجمع الجلندي بن مسعود كبار مستشاريه ومنهم هلال بن عطية الخراساني أحد قادة الحرب ضد شيبان، وشبيب بن عطية العُماني وخلف بن زياد البحراني، وعرض عليهم مطالب خازم والتي كانت تتلخص في تسليم خاتم شيبان بن عبد العزيز وسيفه اللذان غنمهما العمانيون بعد قتله، ويبدو أن هذا كان بهدف إرسالهما للخليفة دليلاً على التخلص من ثورة الصفرية والقضاء على قائدها، أما المطلب الآخر لخازم فكان إلزام العُمانيين بالدعاء للخليفة العباسي على منابر عُمان، وأن يعلن الجلندي وأصحابه السمع والطاعة للدولة العباسية(٢).

وبعد مشاورات وافق العُمانيون على الشرط الأول بالإضافة إلى منح خازم بعض المال في سبيل الحفاظ على دولتهم الناشئة وعدم الدخول في

---

(١) انظر: تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٤٦٣، الكامل، ج ٥، ص ٤٥٢.
(٢) انظر: السالمي، تحفة، ص ٦٤، الأزكوي، كشف الغمة، ص ٤٣.

صدام مع القوات العباسية، ولكن خازم أصر على أن يقر العُمانيون بالطاعة للخلافة العباسية، وكان من الصعب على الإباضية قبول هذا الشرط الذي يعد خروجاً على تعاليم المذهب الإباضي الذي أفتى علمائه «أن ذلك لا يجوز في باب الدين، أن يُدفع عن الدولة بالدين، وإنما يُدفع عنها بالرجال والمال»(١).

ويبدو أن عناصر من علماء المذهب الإباضي كانوا أقل تشدداً ويرغبون في حقن الدماء وعدم الدخول في مواجهة مع قوات خازم، وكانت هذه العناصر ترى أنه «لا بأس أن يعطوهم السمع والطاعة بألسنتهم إذا خافوا على الدولة والرعية»(٢) إلا أن أصحاب الرأي الأول كانوا أكثر تأثيراً، وكان على الجلندي أن يقاتل القوات العباسية استجابة لتعاليم المذهب الإباضي وفتوى علمائه(٣).

وتشير المصادر العامة إلى المعارك العنيفة التي دارت بين جيش خازم ابن خزيمة وبين أتباع الجلندي بن مسعود على أرض عُمان، ويظهر من أحداث هذه المعارك أن الجيش العُماني كان مدرباً تدريباً قوياً، تقوده قيادة تعي طبيعة المكان، فعند الصدام بين الجانبين، كانت الخسائر شديدة في صفوف الجيش العباسي في اليوم الأول، ويبدو أن جيش خازم كان مازال على الساحل العُماني، وفوجئ بهجوم عنيف على قواته، فيروي الطبري «وكثر القتل يومئذ في أصحاب خازم، وهم يومئذ على ضفة البحر، وقتل

---

(١) انظر: السالمي، تحفة، ص ٦٥.
(٢) نفسه.
(٣) انظر: السير والجوابات، سيرة أبي قحطان خالد، ص ١٢١.

فيمن قتل أخ لخازم لأمه يقال له إسماعيل في تسعين رجلاً من أهل مرو الروذ»[1].

وقد أغضبت هذه الهزيمة القائد العباسي، فثأر من العُمانيين بقسوة في اليوم التالي مباشرة، ويبدو أنه نظم صفوفه، واستوعب طبيعة المكان، فتروي المصادر أن المعركة في هذا اليوم قد أسفرت عن قتل نحو تسعمائة من العمانيين، وأحرقوا منهم نحو تسعين[2]، ولم تذكر المصادر الخسائر في صفوف القوات العباسية في هذه المعركة، وإن كان من غير المستبعد أن الخسائر لدى قوات خازم كانت كبيرة أيضاً، ويبدو من عبارة «وأحرقوا منهم نحوا من تسعين رجلاً»[3] أن جيش خازم كان يواجه موقفاً صعباً مما دفعه إلى استخدام السهام والرماح التي على أسنتها النفط لإيقاع الرعب في صفوف العُمانيين.

وكيفما كان الأمر، فإن هذه المعركة كانت من العنف بحيث أن خازم لم يفكر في مواصلة القتال ضد العُمانيين لمدة سبع أيام متصلة. كان خلالها يعمل الفكر، ويقدر الموقف، ويستشير رجاله بحثاً عن وسيلة تمكنه من تحقيق النصر على جيش الجلندي دون أن يتعرض رجاله لخسائر كبيرة كالتي تعرض لها من قبل. وقد جاءه الحل عندما أشار عليه أحد رجاله بأن الخروج من هذا المأزق لا يتم إلا بخدعة فيها الكثير من مظاهر الغدر، وهو أن تفاجئ فرقة من جيش خازم بيوت العُمانيين – المصنوعة من الخشب – حيث الأطفال والنساء والشيوخ، فتلقي عليها الرماح المشتعلة مما يؤدي إلى احتراقها «فلما

(١) تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٤٦٣.
(٢) انظر: ابن الأثير، الكامل، ج ٥، ص ٤٥٢.
(٣) انظر: تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٤٦٣.

فعل ذلك، واحترقت بيوتهم بالنيران، وشغلوا بها وبمن فيها من أولادهم وأهاليهم، شد عليهم خازم وأصحابه فوضعوا فيهم السيوف وهم غير ممتنعين منهم، وقتل الجلندي فيمن قتل، وبلغ عدة من قتل عشرة آلاف»[1].

ويمكن القول أن هذه المعركة كانت ضربة عنيفة لآمال الحركة الإباضية في عُمان بعد أن تمكنت من إعلان إمامة الظهور الأولى، وكان عليهم الخضوع لحكم الدولة العباسية والدخول في دور الكتمان حتى تتاح لهم الفرصة ليظهروا من جديد، وقد جاء تعليق المؤرخ الإباضي السالمي على هذه الهزيمة معبراً عن مدى الخسارة التي حاقت بالحركة الإباضية بعد قتل الجلندي وأتباعه فيقول: «ولكونهم استشهدوا جميعاً في وقعة واحدة، صارت الدولة من بعدهم إلى الجبابرة .. وبقيت عُمان بعده (الجلندي) في يد الجبابرة من بني الجلندي منقادين لأمر بني العباس»[2]، ويفهم من رواية الطبري أن خازم بن خزيمة أقام في عُمان عدة أشهر ثم جاءته الأوامر في كتاب من الخليفة العباسي بالعودة إلى العراق[3] ولم يأت ذكر الشخص الذي أسندت إليه مهمة الولاية في عُمان بعد ذلك، ولكن يفهم من رواية السالمي السابقة أن الإمارة أسندت إلى العناصر المعارضة من بني الجلندي الذين أعلنوا ولاءهم للدولة العباسية وحكموا باسمها، «حتى فرج الله كرب المسلمين (الإباضية) ولم يتم هذا إلا في سنة سبع وسبعين ومائة[4] عندما أعلنت الإمامة الإباضية الثانية في عمان.

(١) انظر: النويري، نهاية الأرب، ج ٢٢، ص ٦٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٤٧.
(٢) انظر: السالمي، تحفة، ص ٦٥ – ٦٦، الأزكوي، كشف الغمة، ص ٤٤.
(٣) تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٤٦٣.
(٤) انظر: السالمي، تحفة، ص ٦٦.

الباب الثاني

آل المهلب في الخليج والمشرق الإسلامي حتي قيام الدولة العباسية

(١٣٢هـ / ٧٤٩م)

- الفصل الأول: أسرة المهالبة منذ إسلام أبي صفرة وحتي وفاة يزيد بن معاوية (٦٤هـ/٦٨٣م)
- الفصل الثاني: آل المهلب وثورة عبد الله بن الزبير.

الفصل الثالث: دور آل المهلب في القضاء علي الأزارقة.

الفصل الرابع: ولاية المهلب علي خراسان حتي وفاته (٨٢هـ/٧٠١م).

الفصل الخامس: أسرة المهالبة بقيادة يزيد حتي وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز (١٠١هـ/٧١٩م).

الفصل السادس: ثورة آل المهلب علي الدولة الأموية وموقعة العقر (١٠٢هـ/ ٧٢٠م).

أسرة المهالبة
منذ إسلام أبي صُفرة وحتي وفاة يزيد بن معاوية
(٦٤هـ/٦٨٣م)

الفصل الأول

أسرة المهالبة

منذ إسلام أبي صُفرة وحتى وفاة يزيد بن معاوية

(٦٤هـ/٦٨٣م)

١- إسلام أبي صفرة وبداية ظهور المهلب

تنتسب أسرة المهالبة إلى المهلب بن أبي صفرة، واسم أبي صُفرة «ظالم ابن سراق»،[١] الذي يرجع نسبه إلى قبائل الأزد اليمنية[٢] التي هاجرت إلى عُمان وكانت إحدى الهجرات اليمنية التى تفرقت في شبه الجزيرة العربية في أعقاب انهيارات سد مأرب ولأسباب أخرى ذكرها الرواة والنسّابون، وكانت الأزد عند تفرقها أضيف لكل طائفة منها شئ وما يميزها عن غيرها، فقيل أزد دُبا وأزد شنوءة وأزد عـمـانٍ.. ومـرجـع الكل إلـى الأزد المذكـورة[٣] ويـروي النسّابون العمانيِّون أن أبا صُفرة من أهل مدينة (آدم) من داخلية عُمان، وأن آل بوسعيد في عمان ينتسبون إلى أبي سعيد المهلب بن أبي صفرة[٤].

ويروى ابن حـجـر في الإصابة مـا يوحـي بأن صفـرة كـان صحـابياً والتقى بالرسـول ﷺ وبايعـه على الإسـلام، وأن رسول الله هو الذي أطلـق عليه هذه التسمية «أبا صفرة» فيقول: «أن أبا صفرة قدم على رسول الله ﷺ على أن يبايعه وعليه حلّة صفراء.. فلمـا رآه.. قال له من أنت. قال: أنا قاطع بن سارق بن ظالم.. فـقـال لـه النبى: أنت أبو صـفـرة. دع عنك سارقـاً

---

(١) راجع: ابن قتيبة، المعارف، ص ٣٩٩ (القاهرة ١٩٦٩)، أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ٢، ص ٧٥ (القاهرة ١٩٧٢) ويروي ابن حزم أن اسمه: سالم بن سراق. انظر: جمهرة أنسلب العرب، ص ٣٦٧ (القاهرة ١٩٨٢).

(٢) الأغاني، ٢، ص ٧٦، ابن حجر، الإصابة، ج ٤، ص ١٠٨ (بيروت ١٣٢٨هـ).

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٣٥٨.

(٤) راجع: سيف بن حمود البطاش، تاريخ المهلب القائد، ص ١٣، ص ٢٢.

وظالماً.. فأعلن أبو صفرة إسلامه، وقال إن لي ثمانية عشر ذكراً ورزقت بنتاً سميتها صفرة، فقال النبي وأنت أبو صفرة[1].

ويعترف ابن حجر بأن هذه الرواية فيها اختلاف وأن بعض الروايات تنكر صحابة أبي صفرة ولقاءه بالنبي. وفي رواية صاحب «الاستيعاب» أن أبا صفرة كان مسلماً على عهد الرسول ﷺ ولم يفد عليه، ووفد على عمر بن الخطاب[2].

والروايتان السابقتان تحتاجان إلى وقفة لترتيب ما جاء فيهما طبقاً لما ورد في المصادر العُمانية التي تحت أيدينا. فاحتمالات لقاء أبي صفرة بالرسول ﷺ في المدينة ليعلن إسلامه بين يديه ممكنة. إذ تروي المصادر العُمانية أن الإسلام قد عرف طريقه إلى عُمان في وقت مبكر من ظهور الدعوة الإسلامية في الحجاز، وأن أول من اعتنق الإسلام في عُمان هو مازن ابن غضوبة من أهل سمائل الذي سافر إلى المدينة والتقى بالنبي وأعلن إسلامه أمامه، وتبعه البعض في هذا الاتجاه[3] ويروي ابن سعد في الطبقات أن وفوداً من أهل عُمان رحلت إلى المدينة والتقت بالنبي ﷺ لإعلان إسلامها وكان ذلك قبل الفتح وطلبوا من الرسول أن يرسل معهم من يعلمهم شئون دينهم[4] وكان هذا قبل أن يبعث الرسول برسالاته إلى حاكمي عُمان: عبد وجيفر ابني الجلندي يدعوهما فيها إلى الإسلام[5]. فإذا أضفنا إلى هذا أن

(1) ابن حجر، ج ٤، ص ١٠٨ – وهناك رواية أخرى في الأغاني بأن تسميته بأبي صفرة لأنه كان يصفر لحيته. انظر: الأغاني: ج ٢، ص ٧٦.
(2) ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ١٠٩ (بيروت ١٣٢٨ هـ).
(3) نور الدين السالمي، تحفة الأعيان، ج ١، ص ٥٣ وما بعدها.
(4) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٨٠ – ٨١ (طبعة دار الشعب).
(5) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٩٣.

أبا صفرة كان مقدماً في قومه أهل عُمان وكان من أصحاب السيادة والزعامة.. فلما أسلم زاد شرفه وقدمه قومه[1] فإننا نرجح حدوث رحلته إلى المدينة ولقائه بالرسول ﷺ كما جاء في رواية ابن حجر.

أما عن قول صاحب الاستيعاب بأن أبا صفرة لم يلتق بالرسول ﷺ وإنما التقى بعمر بن الخطاب، فهذه الرواية ينقصها الدقة. فإنه من المعروف أن أبا صفرة قد التقى بأبي بكر الصديق بعد توليه الخلافة الإسلامية، والروايات التي بين أيدينا تؤكد أنه في أعقاب وفاة الرسول (ﷺ) عاد عمرو ابن العاص من عُمان إلى المدينة، مصحوباً بوفد عُماني يقدر بحوالي سبعين فارساً على رأسهم أحد حاكمي عُمان وهو «عبد بن الجلندي» وكان من بين أعضاء هذا الوفد أبو صفرة[2]. وكان هذا الوفد في حقيقة أمره خفارة لعمرو بن العاص، خوفاً عليه من مخاطر الرحلة من عُمان إلى المدينة فى ظل الاضطرابات التي شاعت بين القبائل في أعقاب وفاة الرسول ﷺ فكان عمرو ابن العاص في رحلته «يلقى الناس مرتدين، وقدم على الناس بالمدينة فطافوا به يسألونه، فأخبرهم أن العساكر معسكرة من دبا إلى المدينة[3] لذلك ما كاد الوفد العُماني يصل إلى المدينة حتى التقى بالخليفة أبي بكر، وتحدث أبو صفرة عن العمانيين فقدّم إليه عمرو بن العاص سالماً معافى وقال: «هذه أمانة كانت في أيدينا وفي ذمتنا وديعة لرسول الله ﷺ فقد برئنا منها إليك، فقال أبو بكر: جزاكم الله خيراً»[4].

(1) العوتبي، الأنساب، ج ٢، ص ١٣١.
(2) راجع: ابن خلكان، الوفيات، ج ٤، ص ٣٢٣، ٣٢٩.
(3) السالمي، تحفة، ص ٤٥.
(4) نفسه، ص ٤٣.

ويؤكد صاحب الأغـاني هـذه الرواية العُمانية فيقـول: «وفد ابن الجلندي في الأزد، أزد عُمان .. فـكان فيمن وفـد منهم أبو صفرة .. فدخل إلى عمر مع ابن الجلندي»[1]. ويبدو أن الوفد العُماني كان قد التقى في أول الأمر مع عمر بن الخطاب ثم حدث اللقاء بعد ذلك مع الخليفة أبي بكر، لأن الروايات المتوفرة لا تذكر إلا زيارة واحدة لابن الجلندي تلك التي ذكرناها والتي شارك فيها أبو صفرة.

ثم يأتي ذكر أبي صفـرة كـأحد القـادة الذين شـاركـوا في الحمـلات الإسلامية على بلاد فارس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وكان عمر قد أصدر تعليمات إلى والي عُمان في ذلك الوقت «عثمان بن أبي العاص الثقفي» بمراقبة تحركات الجيش الفارسي في الخليج، وأن يتصدى له عند الضرورة، ويبدو أن أبا صفرة كان على خبرة ودراية كبيرة بشئون البحر والملاحة البحرية وموضع ثقة أهل عُمان في هذا المجال، فعندما طلب عمر بن الخطاب من والي عُمان أن يقطع الخليج بالسفن إلى فارس طلب عثمان بن أبي العاص من أهل عُمان أن يدلوه على من يشاوره في أمر هذه الحملة البحرية، فاقترح عليه العُمانيون أن يشاور أبا صفرة[2].

وندب والي عُمان عثمان بن أبي العاص المقاتلة فاجتمع له حوالي ثلاثة آلاف مقاتل معظمهم من أزد عُمان، وكان من بين رجاله أبو صفرة وكان يقود قومه بني عمران[3] وصحب أبو صفـرة من أبنائه: النجف والمغيرة

(١) الأغاني، ج ٢، ص ٧٦.
(٢) الأنساب، ص ١٢٣، تحفة، ص ٤٦.
(٣) بنو عمران من بطون الأزد نسبة إلى عمرو بن عدي بن حارثة بن عمرو بن عامر. (انظر: تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٢٠٣ – ٢٠٤).

وحبيب[1]. وتمكن عثمان بن أبي العاص بهذه الحملة من هزيمة القـوات الفارسية في الخلية واستولى على جزيرة «بر كاوان»[2] وطارد الفرس حتى الضفة الشرقية للخليج وأوقـع بهم الهزيمة في كرمان، وأظهر أبو صفرة وأبناؤه ورجاله شجاعة وبسالة خلال هذه المعارك[3].

واستمر أبو صفرة يشارك في المعارك التي خاضها المسلمون في الجبهة الفارسية في عهد عثمان بن عفان، فيروي ابن خلدون أن عثمان بن أبي العاص أرسل أخاه الحكم من البحرين إلى فارس في ألفين فسارإلى توج – مدينة بفارس – وعلى مجنبتيه جارود العبدى وأبو صفرة والد المهلب، وكان كسرى أرسل أحد قواده ويدعى «شهرك» في الجنود للقائهم، فالتقوا بتوج وانتهى الأمر بهزيمة الفرس وقتل قائدهم «شهرك» وطارده المسلمون إلى سـابور[4] وحاصروها حتى خضع أهلها للصلح[5].

وبعد هذا الانتصار نزل أبو صفرة في توج واتخذها مقراً له مع أهله وجنده ولكنه انتقل بعد ذلك للإقامة في البصرة في خلافة عثمان بن عفـان

(١) الأنساب: ص ١٢٢.
(٢) بر كاوان: أو أبر كاوان، جزيرة عظيمة فى بحر فارس، بين عمان والبحرين، فتحها الحكم ابن أبى العاص (البلاذرى، فتوح البلدان، ص ٤٧٦، ٤٨٢. ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص٣٩٩).
(٣) السالمي، تحفة، ص ٤٦.
(٤) سابور: كورة مشهورة بأرض فارس، وبها مدينة كبيرة بينها وبين شيراز خمسة وعشرين فرسخاً، ومدينتها النوبندجان (فتوح، ص ٤٧٧ – ٤٧٩، معجم، ج ٣، ص ١٦٧ – ١٦٨، آثار البلاد، ص ٢٠٠).
(٥) تاريخ ابن خلدون، م ٢، ص ٩٨٩ (بيروت ١٩٨٦)، قارن: تاريخ الطبرى، ج ٣، ص ١٧٦ – ١٧٧.

عندما رحب به واليها في ذلك الوقت عبد الله بن عامر[1] وضم فرقة الأزد بقيادة أبي صفرة إليه في البصرة[2].

ويأتي ذكرا لمهلب بن أبي صفرة في ذلك الوقت لأول مرة في الحملة التي قادها عبد الرحمن بن سمرة القرشي (ابن عم عبد الله بن عامر والي البصرة، الذي ولاه الخليفة عثمان على سجستان[3]، وقد شارك في الحملة على سجستان أبو صفرة وابنه المهلب ويقال أنه كان يومئذ ابن عشرين سنة وبعد معارك عنيفة استولى المسلمون على سجستان، ثم توجه المسلمون إلى كابل[4] وكان المهلب أحد أبطال المعارك حول كابل حيث تمكن من إصابة ملك كابل مما اضطره إلى الاستسلام وعقد الصلح مع المسلمين، وإعلان إسلامه[5]. وتتفق هذه الحملة مع ما ذكره الطبري في أحداث سنة ٣٥هـ/٦٥٥م حيث أشار إلى حملة شارك فيها المهلب بن أبي صفرة، وهو أول ذكر للمهلب في تاريخ الطبري[6] ويؤكد تسلسل الأحداث ما رواه العوتبي من أن أبا صفرة غزا مع عبد الرحمن بن سمرة القرشى خراسان

---

(١) ابن خال الخليفة عثمان، تولى البصرة وسنه ٢٥ عاماً بعد عزل أبي موسى الأشعري (ابن أعثم، الفتوحات، م ١، ص ٣٣٦).
(٢) العتبي : الأنساب، ص ١٢٥ ، تحفة ، ص ٤٨.
(٣) سجستان: ناحية كبيرة جنوب هراة (فتوح، ، ص ٣٦٨ – ٣٨٧).
(٤) كابل: أرض كابل اسم يشمل ناحية بين الهند وسجستان، وهى ولاية ذات مروج كبيرة، ونسبتها إلى الهند أولى، وهى عاصمة باكستان الآن (فتوح، ص ٤٨٨ – ٤٩١، معجم، ج٤٢٢، آثار، ص ٢٤٣).
(٥) انظر: قدامه بن جعفر، الخراج، ص ٣٩٤، ابن أعثم. الفتوحات، م ١، ص ٣٣٩ – ٣٤٠.
(٦) تاريخ الطبري ، ج ٤، ص ٤٠٣.

بالقوات التى كان قد خرج بها من عُمان، ثم عاد من غزوته هذه فى خلافة علي بن أبي طالب[1].

والتقى أبو صفرة بالخليفة علي بن أبي طالب في أعقاب موقعة الجمل في البصرة، ودار بينهما حوار يُفهم منه أن أبا صفرة كان زعيماً لقبائل الأزد في العراق في ذلك ا لوقت، لأن عليا عندما أظهر شكواه مما قاساه من قومه، قال له أبو صفرة: «والله يا أمير المؤمنين لو كنت حاضراً ما اختلف عليك منهم سيفان، فطلب علي من أبي صفرة أن يأتيه بأحد أبنائه ليعقد له لواء أمان للذين هربوا بعد موقعة الجمل، ليرجعوا إلى بلادهم ورفض النجف ابن أبي صفرة أن تستند له هذه المهمة لأنه كان حانقاً على نتائج موقعة الجمل، فوافق المهلب على القيام بهذا الدور، فعقدت راية الأمان للمهلب، ورجع معظم الفارين إلى البصرة «وتيمن الناس بلواء المهلب»[2].

ونحن لا نعلم بالتحديد تاريخ وفاة أبي صفرة، إلا أنه توفي بالبصرة في ولاية عبد الله بن العباس لعلي بن أبي طالب، ويروى العتبي إنه توفي في مسيره إلى صفين مما يرجح أن تكون وفاته حوالي سنة ٣٧هـ/٦٥٧م.

٢- المهلب يتزعم أسرة أبي صفرة:

ليست هناك إشارة واضحة في المصادر التى بين أيدينا عن الشخص الذي تولى رئاسة أسرة أبي صفرة في أعقاب وفاته، ولكن الدلائل توحي أن أهم الشخصيات في هذه الأسرة آنذاك كانت ابنه المهلب، فرغم صغر سنه

---

(١) العتبي : الأنساب، ص ١٢٥.
(٢) راجع التفا صيل: الأنساب، ص ١٢٥ – ١٢٦.
(٣) الأنساب ،١٢٧ ، تاريخ المهلب، ٢٥.

بالمقارنة باخوته[١] إلا أنه قد برز في مجال الحرب والفروسية، وعلت منزلته – كما أشرنا في الصفحات السابقة – فكان المهلب هو المرشح الأول لتولى زعامة الأسرة بعد وفاة أبيه، ويرجح هذا ما ترويه المصادر عن مساهمته في غزو بلاد السند سنة ٤٤ هـ / ٦٦٤م، وخاض خلال ذلك معركة عنيفة ضد جماعة من الفرسان الأتراك، وتمكن ببراعة من أن يقضي عليهم جميعاً[٢]وكان المهلب خلال هذه ا لفترة يقود جيشاً من قبيلته طبقاً لرواية البلاذري[٣] مما يشير إلى أنه قد خلف أباه أيضاً في قيادة ما كان تحت يده من جند.

وفي رواية لليعقوبي أن معاوية بن أبي سفيان كتب إلى زياد بن أبيه وليه على الكوفة: إن قبلك رجلا من أصحاب رسول الله فوله خرسان وهو الحكم بن عمرو الغفاري، فولاه زياد خراسان فغزا (هراة) وفتح (الجوزجان) وكان يشاركه في المعارك المهلب بن أبي صفرة[٤] الذي أظهر بأساً ومهارة في قتال العدو .. واستمر المهلب يجاهد في هذه الجبهة في المناطق الوعرة وضد أشد العناصر السكانية قوة وضراوة في القتال. فعندما غزا الحكم بن عمرو الغفاري جبال الترك سنة ٤٧ هـ / ٦٦٧ م كان المهلب أحد قواد هذه الحملة، وفي مرحلة من المعارك وقع جيش الحكم في كمين للأتراك فأخذ عليهم الترك الشعاب والطرق، وعندما تحرج موقف الحكم أسند القيادة إلى المهلب بن أبي صفرة، الذي تمكن عن طريق الحيلة والتدبير من

---

(١) يروي ابن خلكان أن المهلب من أصاغر ولد أبي صفرة، ويحدد مولده قبل وفاة النبي بسنتين (وفيات، ج ٥، ص ٣٥١).
(٢) النويري، نهاية الأرب، ج ٢٠ ، ص ٢٦٦ .
(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٥٣١.
(٤) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢، ص ٢٢٢.

أسر أحد زعماء الترك، وساومه على حياته في مقابل أن يدلهم على مخرج من الكمين، وتمكن عن طريقه من النجاة بجيشه وما يحمله من غنائم من الحصار الذى فرضه عليهم الترك[١].

والظاهر أن ما أظهره المهلب بن أبي صفرة من مهارة قتالية وحسن تصرف وحنكة في المواقف العصبية، جعله أحد القادة المشهورين في حروب الجبهة الشرقية، فكان الولاة على خراسان يتمسكون بأن يكون فى صحبتهم المهلب بن أبي صفرة، فعندما تحرك سعيد بن عثمان بن عفان سنة ٥٦هـ/٦٧٥م لولاية إقليم خراسان كان من بين قواده المهلب بن أبي صفرة[٢] وقد شارك المهلب في العديد من المعارك العنيفة في هذه الفترة وخاصة غزو سمرقند، ويقال إن سعيد بن عثمان والمهلب قد فقئت عيناهما خلال المعارك[٣].

وفي خلافة يزيد بن معاوية، ولى على خراسان وسجستان سلم بن زياد سنة ٦١هـ / ٦٨٠م الذي خرج من الشام طالباً البصرة ليحمل معه أهله وولده، وليعلم أهل البصرة بولايته بلاد خراسان، ليخرج معه من أحب الجهاد فخرج معه المهلب بن أبي صفرة وعدد من سادات البصرة وفرسانها[٤] وزحفت جيوش سلم بن زياد على بخارى، وكانت عليها ملكة تدعى «خاتون»، فلما شعرت بالخطر، أعلنت رغبتها في الزواج من ملك الصغد على أن يأتي لتملك بخارى، والوقوف في وجه المسلمين، فأقبل ملك

---

(١) راجع: نهاية الأرب، ج ٢٠ ، ص ٢٦٧ ، قارن: تاريخ الطبرى، ج ٥، ص ٢٥١ الذى يروي هذه الحادثة في أحداث سنة ٥٠ هـ.
(٢) تاريخ الطبري ، ج ٥، ص ٣٠٥.
(٣) راجع: بلاذري ، فتوح، ص ٥٠٨.
(٤) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢، ص ٢٥٢ ، ابن أعثم، م ٣، ص ١٥٧ – ١٥٩.

الصغد في مائة وعشرين ألف مقاتل، وأمام هذا العدد الضخم رأى سلم أن يجعل على طليعة جيشه المهلب بن أبي صفرة، وبعد معارك عنيفة تمكن المهلب من إلحاق الهزيمة بجيش الترك وقتل ملك الصغد في المعركة[١].

استمر سلم بن زياد على خراسان، حتى وفاة يزيد بن معاوية في صفر سنة ٦٤ هـ/٦٨٣م[٢]، وأراد سلم أن يكتم خبر موته خوف الفتنة بين القبائل ولكن الخبر ذاع في الناس بعد فترة وكان خليفته معاوية الثاني قد مات هو الآخر، فدعا سلم الناس إلى البيعة على ا لرضا حتى تستقيم أمور الناس على الخليفة، فبايعوه، ثم نكثوا بعد شهرين[٣]. فلما تأزمت الأمور أمام سلم بن زياد خرج من خراسان واستخلف عليها المهلب ابن أبي صفرة، ولكن المهلب كان مدركاً لحقيقة الصراع القبلي المحتدم في خراسان وفي الشام، فلم يشأ أن يقحم نفسه في هذا الصراع، لا سيما أن معظم القبائل وخاصة القيسية لم تكن راضية عن إسناد ولاية خراسان إلى المهلب، فيروي النويري[٤] أن سلم بن زياد لقي في طريق عودته من خراسان في مدينة سرخس[٥] سليمان بن مرثد (أحد بني قيس بن ثعلبه) فقال له: أضاقت عليك نزار حتى جعلت على خراسان رجلا من اليمن، يعني المهلب، فما

---

(١) تاريخ اليعقوبي ، ص ٢٥٢.
(٢) ابن أعثم ، م ٣، ص ١٥٩.
(٣) تاريخ الطبري ، ج ٥ ، ص ٥٤٥.
(٤) نهاية الأرب ، ج ٢٠، ص ٥١٣.
(٥) سرخس : مدينة قديمة من نواحى خراسان ، كبيرة واسعة وهى بين ينسابور ومرو فى وسط الطريق (فتوح، ص ٥٠١، معجم، ج ٣، ص ٢٠٨، آثار، ص ٣٩٠).

كان من سلم إلا أن ولاه بعض أقاليم خراسان وهى مرو الروذ[١] والفارياب[٢] والطالقان[٣] والجوزجان[٤]، وولى أوس بن ثعلبة هراة[٥]. وفي نيسابور[٦] ولقي سلم بن زياد عبد الله بن خازم السلمي وكان أحد الأشراف الذين صحبوه عند ولايته خراسان[٧] فسأله من وليت خراسان؟ فلما أخبره قال: أما وجدت في مضر رجلاً تستعمله حتى فرقت خراسان بين بكر بن وائل ومزون عمان[٨] وطلب منه أن يكتب له عهداً على خراسان، فكتب له[٩].

---

(١) مرو الروذ: مدينة قريبة من مرو الشاهجان بينهما خمسة أيام، بين ا لغور وغزنة، واسعة، وهى على نهر عظيم فلهذا سميت بذلك، لأن روذ بالفارسية النهر. ومات المهلب بن ابى صفرة بمرو الروذ هذه (فتوح، ص ٥١٢، ٥١٤، معجم ٥، ص ١١٢، آثار، ص ٤٥٥).
(٢) الفارياب: مدينة مشهورة بخراسان من أعمال جوزجان قرب بلخ غربى جيجون، ومن فارياب إلى طالقان ثلاث مراحل ومن فارياب إلى بلخ ست مراحل (فتوح، ص ٥٠٣، ٥٠٤، معجم، ج ع، ص ٢٢٩، مراصد، ج ٣، ص ١٠١٤).
(٣) الطالقان: بلدة بين مرو الروذ وبلخ، وهى أكبر مدينة بطخارستان، وهى فى مستوى الأرض قريبة من جبال الديلم، ولها نهر كبير وبساتين (معجم، ج ٤، ص ٦، آثار، ص ٤٠٢، فتوح البلدان، ص ٥٠٣ – ٥٠٦).
(٤) الجوزجان: أو جوزجانان، هما واحد، وهو اسم كورة واسعة من كور بلخ بخراسان، وهى بين مرو وبلخ، ومن مدنها الأنبار وكلا روفارياب (فتوح، ص ٥٥٣، ٥٠٤، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٨٢).
(٥) هراة : مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان قرب أصطخر، كثيرة البساتين والخيرات (فتوح، ص ٤٩٩، معجم، ج ٥، ص ٣٩٦، آثار، ص ٢٨١).
(٦) نيسابور : مدينة من مدن خراسان، ذات فضائل حسنة وعمارة، بينها وبين مرو الشاهجان ثلاثون فرسخاً (فتوح، ص ٥١١، معجم، ج ٥، ص ٣٣١، آثار البلاد، ص ٤٧٣).
(٧) تاريخ اليعقوبي، ج ٢ ، ص ٢٥٢.
(٨) تاريخ الطبري ، ج ٥، ص ٥٤٦.
(٩) النويري ، نهاية الأرب، ج ٢٠ ، ص ٥١٣

وتوجه عبد الله بن خازم إلى مرو عاصمة خراسان، وبلغ خبره المهلب الذي رأى أن خراسان مقبلة على فترة حرجة من الصراع القبلي من أجل السيطرة وفرض السيادة عليها، وحسم المهلب أمره على ألا يكون طوفا في هذا الصراع، ولا سيما وأن الصراع كان على أشده في الشام حول منصب الخلافة، ويبدو أن ذكاء المهلب السياسي قد هداه إلى التخلي عن منصبه المؤقت كوال لخراسان فاستخلف عليها هرفجة بن الورد (من بني جشم بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم) وانسحب من خراسان في سلام، ويؤكد حسن تصرف المهلب في هذا الموقف وانسحابه من خراسان ما رواه الطبري «لما مات يزيد بن معاوية، ومعاوية بن يزيد، وثب أهل خراسان بعمالهم، وغلب كل قوم على ناحية، ووقعت الفتنة، وغلب ابن خازم على خراسان ووقعت الحرب[١].

(١) تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٥٤٦.

آل المهلب وثورة عبد الله بن الزبير

الفصل الثاني

آل المهلب وثورة عبد الله بن الزبير

كان عبد الله بن الزبير من أقوى الشخصيات التي عارضت تولية يزيد بن معاوية للخلافة بعد أبيه سنة ٦٠هـ/٦٧٩م، وفي أعقاب استشهاد الحسين بن على في كربلاء (٦١ هـ / ٦٨٠ م) أصبح ابن الزبير أبرز المرشحين لقيادة المعارضة ضد الأمويين، وحظي بتأييد أهل الحجاز وتهامة، وتعرض لغضب يزيد ومحاولاته القضاء عليه، وفي أعقاب موت يزيد، بويع ابن الزبير بالخلافة سنة ٦٤ هـ / ٦٨٣م وانضوى تحت لوائه أ جزاء كبيرة من العالم الإسلامى[١].

وفي هذه الظروف عاد المهلب من خراسان سنة ٦٤ هـ / ٦٨٣م واستقر في مقر أسرته بالبصرة بين رجاله وأنصاره. ويتضح من الروايات التي بين أيدينا أن عبد الله بن الزبير كان يعرف قدر المهلب وأهمية أن ينضم رجل مثله إلى صفوفه، ونجح في أن يجذبه للقائه في مكة حيث تشاور الرجلان، فيروي ابن خلكان أنه أثناء خلوه عبد الله بن الزبير بالمهلب يشاوره «دخل عليه عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف .. فقال: من هذا الذي شغلك يا أمير المؤمنين يومك هذا؟ قال: أو ما تعرفه؟ قال: لا، قال: هذا سيد أهل العراق، قال: فهو المهلب بن أبي صفرة[٢] وقد أسفرت هذه المشاورات عن إقناع عبد الله بن الزبير للمهلب بأن يتولى خراسان نائباً عنه[٣].

---

(١) انظر: تاريخ ابن خياط، ص ٢٣٧، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٥٥.
قارن: William moir: The caliphate decline and Fall. London, 1924, p. 317

(٢) وفيات، ج ٥، ص ٣٥١.

(٣) انظر: نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٣٢٣ – ٣٢٤.

وقد أثار هذا الأمر جدلاً حول أخلاقيات آل المهلب نتيجة تحوله من ولاء إلى ولاء، فبعد أن كانوا يعملون تحت راية الدولة الأموية تحولوا إلى أعدائها من آل الزبير.

وفي اعتقادي أن العلاقة بين المهالبة وثورة عبد الله بن الزبير كانت علاقة طبيعية ومنطقية، فالمهالبة منذ ظهورهم على مسرح الأحداث كانوا يمثلون أسرة محاربة يتسم قادتها بالشجاعة والبطولة في ميدان الحرب والجهاد وكانت مناطق نشاطهم في هذه الفترة التي نحن بصددها في أقاليم العراق وما يليها شرقاً وخاصة مقر إقامتهم في البصرة على رأس الخليج، ولما كانت معظم هذه المناطق قد أصبحت - بصورة أو بأخرى - ضمن نفوذ عبد الله ابن الزبير، فإنه من الطبيعي أن يسعى ابن الزبير إلى ضم القادة البارزين في هذه المناطق إلى جانبه، ومنهم آل المهلب. ومما ساعد على ذلك غياب التأثير الأموي، وانقطاع أجزاء كبيرة من الدولة الأموية، وانشغال الأمويين بقضية الوراثة والبحث عن خليفة بعد معاوية الثاني.

وكانت خراسان في ذلك الوقت مازالت في حالة اضطراب، فأقبل المهلب إلى البصرة في طريقه إلى خراسان سنة ٦٥ هـ / ٦٨٤م، وكانت شوكة الأزارقة بقيادة نافع بن الأزرق قد اشتدت على المدينة، مما اضطر أمير البصرة عبدالله بن الحارث إلى محاولة ضد الأزارقة عن مدينته، ودارت المعارك العنيفة بين الجانبين، ورغم مقتل زعيم الأزارقة سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م[1] إلا أن الحرب استمرت وكانت الغلبة فيها للأزارقة الذين تمكنوا من

(١) راجع : ابن أعثم، م ٣، ص ٢٠١ ، نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٣٢٣ - ٣٢٤.

الاقتراب من البصرة وأصبحت قريبة المنال، فأتى أهلها الأحنف بن قيس وسألوه أن يتولى حربهم، فأشار عليهم بالمهلب بن أبي صفرة[1].

وفي هذه الأثناء كان المهلب قد قدم من قبل عبد الله بن الزبير حاملاً تقليده ولاية خراسان فخرج إليه أشراف أهل البصرة وكلموه في حرب الأزارقة ويفهم من رواية اليعقوبي المكانة المرموقة التي كان يتمتع بها المهلب في البصرة وبين أهلها، فمن بين ما قاله أهل البصرة للمهلب في هذا الموقف «أنت شيخ الناس وسيف العراق، وقد ترى ما فيه أهل مصرك من هذه الخوارج المارقة، والإقامة على منع بلدك والذب عن حريمك أولى من خراسان»[2]. ويبدو أن المهلب رغب في أن يكون تصديه للأزارقة بتكليف رسمي من جانب عبد الله بن الزبير، وتشير المصادر إلى كتاب وصل إلى المهلب من ابن الزبير بتأجيل ولايته على خراسان وإسناد مسئولية التصدي للأزارقة إليه، وجاء في هذا الكتاب.

«بسم الله الرحمن الرحيم، من عند أمير المؤمنين (عبد الله بن الزبير) .. فإنه عاملي بالبصرة كتب إليّ كتاباً يذكر فيه أن قوماً من خوارج الأزارقة المارقة .. قد عزموا على أن يقبلوا إلى أرض البصرة لقتل الرجال وأخذ الأموال وهتك الحريم وسبي الذرية، وقد رأيت أن تكون أنت الذي تلي قتالهم، لأنك ميمون الطلعة، مبارك على أهل مصرك، والأجر في ذلك أعظم من كل أجر، فسر رحمك الله راشداً، فإنه لن يفوتك من سلطاننا خراسان ولا غير خراسان»[3].

(١) انظر : تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .
(٢) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢، ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .
(٣) راجع : تاريخ الطبرى ، ج ٥، ص ٦١٥ - ٦١٦، ابن أعثم، م ٣، ص ٢٠٢ .

ولكن المهلب علق موافقته على حرب الأزارقة والتصدي لهذه المهمة الخطيرة بشروط، فقال: «والله ما أسير إليهم إلا أن يجعلوا إلي ما غلبت عليه ويعطوني من بيت المال ما أقوي به من معي، فأجابوه إلى ذلك[1] وكتبوا بذلك كتاباً وأرسلوه إلى عبد الله بن الزبير فأمضاه[2].

ويفهم مما سبق أن المهلب كان حريصاً أن تكون حركته في اتجاه الأزارقة بموافقة جميع الأطراف، وفي نفس الوقت أن يؤمن لجيشه حاجته من التمويل خلال المعارك التي كان يتوقع لها أن تستغرق وقتاً طويلاً، لذلك كان حرصه أن يكون له إيراد الأراضي التي تقع في يده ويستردها من الأزارقة.

وتمكن المهلب من حشد جيش يقدر بحوالي اثنى عشر ألفاً[3] معظمهم من قومه أزد عمان، ونظر في بيت مال البصرة فكان لا يفي بحاجة الجند، فتفاوض المهلب مع تجار البصرة، وأوضح لهم أن تجارتهم قد كسدت لانقطاع موارد الأهواز وفارس، وركود حركة التجارة لسيطرة الأزارقة على هذه المناطق، وسألهم معاونته بالمال. ووعدهم بأن يمكنهم من تجارتهم ويرد لهم حقوقهم، فاستجاب تجار البصرة «وأخذ المهلب من المال ما يصلح به عسكره»[4].

وهكذا تصدى المهلب لمهمة حرب الأزارقة ابتداء من سنة ٦٥هـ/٦٨٤م وستصبح هذه المهمة أهم مشاغله فيما تلا ذلك من سنين

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ٢٦٥، نويري، نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٣٢٤.
(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ١٩٦.
(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ١٩٦.
(٤) المبرد، الكامل، ص ٢٢٦.

حتى في الفترات التي سوف تسند فيها هذه المهمة إلى غيره – وهي قليلة – فقد كان يتابع الأحداث، ويسدي النصح، ويبدي الرأي. وقد دارت بين آل المهلب وبين الأزارقة في هذه المرحلة معارك ضارية كانت فيها انتصارات وهزائم، وظهرت فيها بطولات وتضحيات عظيمة من كلا الطرفين، وسجلتها بالتفصيل معظم المصادر التي بين أيدينا ويهمنا من هذه المعارك ما يلقي الضوء على موضوعنا.

شارك آل المهلب منذ البداية في جيش المهلب الذي تحرك من البصرة سنة ٦٥هـ/٦٨٤م فكان على ميمنته ابناه يزيد وحبيب، وعلى ميسرته ابناه المغيرة وقبيصة، وعلى جناح ميمنته ابنه عبد الملك، وعلى جناح ميسرته ابنه المفضل وفي كمينه ابناه زياد ومروان، وبين يديه ابنه محمد وأخوه المعارك بن أبي صفرة[1].

وقبل بداية المعارك ضد الأزارقة، كان على المهلب أن يوضح أهداف الحرب ودور الرجال وأهمية تضحياتهم، فوقف بين رجاله، ووجه كلامه إلى بنيه وهو يعني جميع الجند، وقال لهم «يابني: إن أول غزوكم إنصافكم لأخوتكم من المسلمين، وأن تؤاسوهم بأنفسكم .. فباشروا الحرب بأنفسكم، واستقبلوا حر السيوف بوجوهكم وسنان الرماح بصدوركم ونحوركم، واعلموا أنها منزلتان: إما شهادة، وإما ظفر»[2].

وكان على المهلب في بداية المعارك أن يزيح الأزارقة الذين يرابطون على الضفة الشرقية لنهر الفرات. وأن يعيد الجسر الذي يربط بين الضفتين، ليتمكن من العبور بجيشه، فأرسل ابنه المغيرة في السفن، ونزل المغيرة على

(١) ابن أعثم، م ٣، ص ٢٠٤.
(٢) نفسه.

الضفة الشرقية للنهر وحارب الأزارقة فشغلهم وأزاحهم عن مواقعهم حتى تمكن المهلب من إعادة عقد الجسر وعبر بكامل جيشه مما اضطر الأزارقة إلى الانسحاب، فنهى أصحابه عن اتباعهم[1].

وكانت سياسة المهلب العسكرية في تعامله مع الأزارقة، تعتمد على التريث، ودراسة الموقف بدقة، وعدم التسرع في الاشتباك أو خوض معارك قد تؤدي إلى نتائج عكسية، فأقام المهلب في موقعه أربعين يوماً يجبي الخراج وينظم قواته، وأتت سياسته نتائجها في تقوية جيشه، وتدعيم جسور الثقة بينه وبين أهل البصرة وخاصة التجار ،فقضى المهلب التجار وأعطى أصحابه، فأسرع إليه الناس رغبة في مجاهدة الأزارقة، ولما في الغنائم والتجارات،[2] حتى بلغ عدد قواته خلال هذه المدة ما يزيد على عشرين ألفاً[3].

وتبع المهلب الأزارقة في حذر، وكانوا قد انسحبوا إلى الأهواز، ورغم ما تحت يده من جيش كثيف إلا أنه كان حذراً ،ولما نزل المهلب بالقوم خندق عليه، ووضع المسالح، وأذكى العيون، وأقام الأحراس .. وأبواب الخنادق عليها رجال موكلون بها، فكانت الأزارقة إذا أرادوا بيات المهلب، وجدوا أمراً محكماً، فرجعوا، فلم يقاتلهم إنسان قط كان أشد عليهم ولا أغيظ لقلوبهم منه،[4]. ولم يكن المهلب ليكتفي بهذا بل كان يدس الجواسيس إلى عسكر الأزارقة فيعرف أخبارهم وتحركاتهم[5].

---

(١) المبرد ، ص ٢٢٧.

(٢) نفسه .

(٣) الحميري ، الروض المعطار ، ص ٢٤٨ (بيروت، ١٩٨٣).

(٤) تاريخ الطبري ، ج ٥ ، ص ٦١٧ ، الروض ، ص ٢٤٨ .

(٥) المبرد ، ص ٢٢٨ .

ودات معارك عنيفة في منطقة الأهواز وما حولها بين الطرفين، برز فيها آل المهلب الذين كانوا يخوضون المعارك بين جنودهم، وقتل خلال هذه الفترة ،المعارك ابنْ أبي صفرة، بالقرب من نهر تيري[1]، ويبدو أن الأزارقة أرادا أن يحسموا الموقف لصالحهم فتجمعوا بكل حشودهم وأسلحتهم، ليخوضوا معركة فاصلة ضد المهلب، وكان تجمعهم في منطقة سلى وسلبري[2] بالأهواز[3].

ويفهم من وصف الطبري لجيش الأزارقة آنذاك أنهم كانوا يتفوقون على جيش المهلب في السلاح والعتاد ،.. وجاءوا وهم أحسن عدة، وأكرم خيولاً، وأكثر سلاحاً من أهل البصرة، .. فجاءوا وعليهم مغافر تضرب إلى صدورهم، وعليهم دروع يسحبونها وسوق من زرد يشدونها بكلاليب الحديد إلى مناطقهم،[4].

والتقى الجيشان في معركة قاسية، وكثف الأزارقة هجومهم على جيش المهلب حتى أحدثوا اضطرابا شديداً في صفوفه، وكادت الهزيمة أن

---

(١) ابن ا الأثير، الكامل، ج ٤، ص ١٩٧ ، نهاية الأرب، ج ٢٠ ، ص ٣٢٥ . ونهر تبرى: اسم لنهر وبلد من نواحى الأهواز وله ذكر فى أخبار الفتوح والخوارج (فتوح، ص ٤٦٤ ، معجم، ج ٢ ، ص ٦٦، ج ٥، ص ٣١٩، مراصد، ج٣، ص ١٤٠١) .

(٢) سلى وسلبرى: سلى جبل بمناذر من أعمال الأمواز، وسلبرى عند سليمانا باذ، ومجموع اللفظين موضع واحد من نواحى خوزرستان قرب عند يسابور وكانت به وقعة للخوارج مع المهلبان ابى صفرة قتل فيها عبيد الله بن الماحوز أمير الخوارج وفى ذلك يقول بعض الخوارج:

بسلى وسلبرى مصارع فتية ... كرام وقتلى لم توسد خدودها

(ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٣٢).

(٣) المبرد ، ص ٢٣٣ .

(٤) طبري ، ج ٥، ص ٦١٨ ، حوادث سنة ٦٥ ، الكامل، ج ٤ ، ص ١٩٩ .

تحيق بجيش المهلب «وضرب المهلب على رأسه ضربة منكرة فسقط عن فرسه إلى الأرض وأحدقت به بنوه فجعلوا يحامون عنه أشد المحاماة..»[١] واستغل الأزارقة الموقف لبث الرعب في جيش المهلب، فنادى مناديهم: «ألا إن المهلب قد قتل»[٢] فكان لهذا النداء تأثيره على معنويات الجند لولا أن تدارك المهلب الموقف وصعد إلى تل قريب من ميدان المعركة «وأخذ ينادي في شباب الأزد وفتيان اليحمد[٣]: وأعيرونا جماجمكم ساعة من نهار»[٤] فثاب إليه جماعة من قومه أهل عُمان،[٥] فأجتمع إليه منهم نحو ثلاثة آلاف سماهم الطبرى «سرية عُمان»[٦].

وقف المهلب في هذه السرية بين قومه وقد شعر بالأمان والرضى، وألقى فيهم كلمة تعبر عن ثقته الكاملة في هذا العدد الصغير من رجاله الصامدين. فهم خير من الذين أعطوا ظهورهم للأزارقة عندما احتدم القتال، وفروا في اتجاه البصرة، وقال المهلب «فإن الله ربما يكل الجمع الكثير إلى أنفسهم فيهزمون، وينزل النصر على الجمع اليسير فيظهرون، ولعمري ما بكم الآن من قلة، إني لجماعتكم لراض، وإنكم لأنتم أهل الصبر، وفرسان أهل المصر، وما أحب أن أحداً ممن انهزم معكم، فإنهم إن كانوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً»[٧].

---

(١) ابن أعثم، م ٣ ، ص ٣٠٦.
(٢) المبرد ، ص ٢٣٥ .
(٣) اليحمد من الأزد والخليل من بطن منهم يقال له الفراهيد (المبرد، ص ٢٣٦).
(٤) طبري : ج ٥ ، ص ٦٢١ – ويكمل الطبري الرواية فيقول: فأخذ فتيان منهم يكرون فيقاتلون ثم يرجعون إليه ويقولون: يا أبا علقمة، القدور تستعار!.
(٥) الروض ، ص ٢٤٨ ، المبرد ، ص ٢٣٤ .
(٦) طبري ، ج ٥، ص ٦١٨ .
(٧) نفسه.

وأراد المهلب أن يغوض قلة جيشه بالنسبة لجيش الأزارقة، فأمر أصحابه بالاستعداد للهجوم استغلالاً لفرصة مطاردة بعض فرسان الأزارقة للمنهزمين من رجاله في اتجاه البصرة، وأ مرهم أن يجهز كل رجل عشرة أحجار وأن يعد مخالي لهذه الحجارة، لمفاجأة الأزارقة بضربات الحجارة «.. فى وقت الغفلة، فإنها تصد الفارس وتصرع الراجل»[١]. وزحف المهلب برجاله إلى الأزارقة، فما شعروا إلا والمهلب يهاجمهم والحجارة تستعرض وجوهم من كل جانب ورجاله تحيط بهم وتعمل فيهم القتل ولم يمض إلا وقت قصير حتى قتل زعيمهم «عبيد الله بن الماحوز» وقتلت أعداد كثيرة من الأزارقة واستولى المهلب على معسكرهم وما فيه[٢] وقد حقق آل المهلب وقومهم من أهل عُمان النصر الحاسم في هذه المعركة على الأزارقة، وكان المغيرة بن المهلب أحد الأبطال المشهود لهم خلالها، فوصفه ابن أعثم بأنه كان «أشد ما تكون الحرب، أشد ما يكون تبسما»[٣].

وكانت أخبار هزيمة المهلب في بداية المعركة قد وصلت إلى البصرة، وتناقل الناس خبر قتل المهلب، ونعي بالبصرة، فنسي الناس رجالهم وأقام أهل كل دار يبكون المهلب لا يسألون عن أحد غيره، واجتمع بعضهم في مسجد البصرة يبكون[٤] وهم معظم الناس بالنقلة إلى البادية خوف السلب والنهب من جانب الأزارقة الذين توقعوا اقتحامهم للمدينة بين لحظة وأخرى، لذلك ما كاد المهلب يوقع بالأزارقة حتى بعث الرسل إلى البصرة ليبشر أهلها بالنصر ويعلمهم بسلامته، وكتب كتاباً بذلك إلى والي البصرة،

---

(١) المبرد ، ص ٢٣٥ .
(٢) الروض ، ص ٢٤٨ .
(٣) ابن أعثم ، م ٣ ، ص ٢٠٦ ، المبرد ، ص ٢٣٥ – ٢٣٧ .
(٤) ابن أعثم ، نفسه ، ص ٢٠٨ .

فأقام الناس، وتراجع من كان قد هرب منهم خوف الأزارقة[1] وفي نفس الوقت فقد وضع المهلب كمائن من رجاله وفرسانه في طريق عودة الأزارقة الذين كانوا يطاردون فلول الجيش المنهزم في اتجاه البصرة فأوقعوا بهم وقضوا على معظمهم إلا من فر منهم وكان ذلك سنة ٦٦هـ / ٦٨٥م[2].

انصرفت فلول الأزارقة بعد هزيمتهم في سلى وسلبري ليعيدوا تنظيم صفوفهم من جديد، وواضح أن الأزارقة بعد الضربة العنيفة التي وجهها لهم المهلب في هذه المعركة، قد أدركوا أنهم يحاربون المهلب في شخصه، وأنه أخذر أعدائهم، وأن حسن قيادته وذكائه العسكري ومقدرته الكبيرة على إدارة المعارك وتحويل الهزيمة إلى نصر، هى من أهم أسباب نكبتهم في معركتهم الأخيرة، لذلك عمد الأزارقة إلى التخلص من المهلب، ونصبوا كميناً لاغتياله، وندبوا لهذه المهمة مائة فارس من خير وأقوى فرسانهم، ولكن المهلب كشف أمر الكمين، وأفشل ما دبره الأزارقة لقتله[3]، وانسحب الأزارقة إلى كرمان[4] وأصبهان[5]، وسيطر المهلب على إقليم الأهواز، وأقام بقية سنة ٦٦هـ / ٦٨٥م يجبي الخراج ووزع الأرزاق على جنده. وجذب الرخاء والعطاء السخي أعداداً كثيرة من أهل البصرة،

الروض ، ص ٢٤٨ ، المبرد ، ص ٢٤٠ .

(٢) الكامل ، ج ٤، ص ١٩٦ – ٢٠٠ .

(٣) راجع التفاصيل : المبرد ، ص ٢٣٩ .

(٤) كرمان: ناحية مشهورة، شرقها مكران وغربها وشمالها خرسان وجنوبها بحر فارس (آثار البلاد، ص ٢٤٧).

(٥) أصبهان : أو أصفهان ، مدينة عظيمة من أعلى المدن ومشاهيرها ، جامعة لأشتات الأوصاف الحميدة من طيب التربة وصحة الهواء وعذوبة الماء وصفاء الجو وصحة الأبدان (المصدر السابق، ص ٢٩٦).

فأثبتهم المهلب في الديوان ورزقهم حتى بلغت جيوشه ثلاثين ألفاً[1] وظل المهلب في موضعه بالأهواز مقيماً على حرب الأزارقة حتى عُزل الحارث بن عبد الله عن ولاية البصرة ووليها مصعب بن الزبير من قبل أخيه سنة ٦٧هـ/٦٨٦م[2].

وعندما أقبل مصعب بعث إلى المهلب وهو على حرب الأزارقة رسالة يفهم منها التقدير الذي كان يحظى به آل المهلب بسبب جهودهم في صد خطر الأزارقة، وجاء فيها «.. فإن الناس لو أعطوا كل إنسان قدره لقُدّمت في العرب قاطبة غير مدافَع .. فإن طاعتك وحسن بلائك بلغ بك عندنا كل الذي تحب، وما نرجو لك به من ثواب الله أجزل وأفضل ، وأنت عندنا الأمين، ولك بذلك عندنا الكرامة والفضيلة»[3].

أراد مصعب بن الزبير مواجهة خطر حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي في العراق على نفوذ الزبيريين، لا سيما وأن المختار بعد انتصاره على جيوش الأمويين وانتقامه من المشاركين في مذبحة كربلاء، كانت قد خضعت له الكوفة وسوادها إلى حلوان[4] والري[5]، وكانت الجزيرة بأجمعها في قبضة

---

(١) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٢٦٤ – ٢٦٥ .

(٢) النويري ، ج ٢١ ، ص ٤٤ .

(٣) ابن أعثم ، م ٣ ، ص ٢٢٠ .

(٤) حلوان : حلوان الطرف ، آخر حدود السواد ، مما يلى الجبال ، مدينة كبيرة (فتوح، ص ٢٢٤، ٤٥٨).

(٥) الرى : بينها وبين أصبهان خمسة وثمانون فرسخاً (ابن خرداذبة: المسالك والممالك، طبعة ليدن د / ت، نشر مكتبة الثقافة، ص ٥٧ – ٥٩).

إبراهيم بن الأشتر[١]، وكان الأمويون يسيطرون على الشام ومصر أما عبد الله ابن الزبير فكان مسيطراً على الحجاز واليمن، ومصعب والياً على البصرة والمهلب بن أبي صفرة من قبل مصعب قائماً على حرب الخوارج.

وأدرك مصعب أهمية أن يتخلص من المختار حتى يصفو له العراق وكان يرغب في أن يحشد لهذا الأمر أعظم قواده، ومع علمه بخطورة الأزارقة على العراق إلا أنه كان حريصاً على وجود المهلب إلى جانبه في صراعة مع المختار، فكتب مصعب كتاباً إلى المهلب يخبره بعزمه على المسير إلى الكوفة لحرب المختار، ورغبته في أن يكون معه، وطلب منه أن يولي بعض أولاده حرب الأزارقة ويقبل إليه بالبصرة[٢] وأراد مصعب أن يتأكد من موافقة المهلب على الحضور إليه، فأرسل كتابه مع أحد قادته الموثوق بهم، وهو محمد بن الأشعث بن قيس الكندي[٣] ليقنعه بأهمية وجوده بالبصرة في هذه الفترة الحرجة، والتقى ابن الأشعث بالمهلب بسابور، وتردد المهلب وكان

---

(١) كان إبراهيم بن الأشتر في أول الأمر يعمل لحساب المختار بن عبيد الثقفي، وتمكن من هزيمة الأمويين في موقعة الخازر (نسبة إلى نهر الخازر القريب من الموصل) نتيجة انحياز العناصر المضرية في جيش عبيد الله بن زياد قائد الأمويين في المعركة إلى جانب إبراهيم بن الأشتر، وتمكن إبراهيم من فرض سيطرته على إقليم الموصل والجزيرة (انظر: اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٥٩، تاريخ الطبري، ج ٦، ص ٩١، قارن:
Simon Ockley: History of the saracent, London, 1847, p. 59.
ولكن ابن الأشتر طمع في السيطرة على ما تحت يده من أملاك واستقل عن المختار مما شجع مصعب بن الزبير في التفكير في القضاء على المختار. (انظر: اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٥٩، ابن الأثير، الكامل، ج ٣، ص ٣٨١).

(٢) النويري، ج ٢١، ص ٤٥.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٣٠٨ (القاهرة، ١٩٣٣.

كارها أن يترك موقعه في مواجهة الأزارقة مدركاً لخطورتهم[١]، ولكن ابن الأشعث شرح له خطورة الموقف في العراق، فاستجاب المهلب.

قدم المهلب إلى البصرة «فى تحمل عظيم ومال ورجال وعدد وعدد وجيش كثيف، ففرح به أهل البصرة»[٢]، ورحب مصعب بقدوم المهلب إلى البصرة، وتأهب لقتال المختار وجعل على كل قبيلة من قبائل العرب رئيساً منها، فكان المهلب بن أبي صفرة على قبائل الأزد[٣] وتولى قيادة ميسرة الجيش[٤] وأبلى المهلب ورجاله بلاء حسنا في حربهم ضد المختار[٥] وتمكنت قوات مصعب بن الزبير بعد معارك عنيفة من التخلص من المختار الذي قتل أثناء القتال وسيطر مصعب على ما تحت يده من أملاك[٦]. ودخل الكوفة سنة ٦٧هـ / ٦٨٦ م[٧].

وبعد أن تخلص مصعب بن الزبير من خطر المختار، كتب إلى إبراهيم ابن الأشتر بالجزيرة يدعوه إلى طاعته، فأقبل إليه بالطاعة، فولى مصعب المهلب بن أبي صفرة الأقاليم التي كان يسيطر عليها ابن الأشتر وهي الموصل والجزيرة وأرمينية وأذربيجان وعزله عن حرب الأزارقة[٨] وكان هدف مصعب من ذلك حسب رواية ابن خلدون «ليكون بينه وبين عبد الملك»[٩].

---

(١) طبري، ج ٦، ص ٩٤.

(٢) ابن كثير، نفسه.

(٣) ابن أعثم، م ٣، ص ٣١٨.

(٤) ابن خلدون، م ٣، ص ٦٨.

(٥) راجع التفاصيل: النويري، ج ٢١، ص ٤٦ – ٤٨.

(٦) ابن أعثم، م ٣، ص ٣٢٦.

(٧) المسعودي، التنبيه، ص ٢٧٠.

(٨) طبري ٦، ص ١١٢، الكامل، ج ٤، ص ٢٧٥.

(٩) تاريخ ابن خلدون، م ٣، ص ٧٢.

ومن المرجح عندنا أن عـزل مصـعب للمـهلب عن حـرب الأزارقـة آنذاك، وتوليته إبراهيم ابن الأشتر لم يكن الهدف الحقيقي منه حماية العراق من الخطر المتوقع من عبد الملك بن مروان كما ذكر ابن خلدون، ولعل ما رواه ابن خلدون هو ما أعلنه مصعب لتبرير هذا التصرف، لأن إبراهيم بن الأشتر – بما عرف عنه من حقد على الأمويين – كان يمكنه أن يظل على ما تحت يده من أقاليم، وأن يتولى الوقوف بين العراق والشام، والسبب الحقيقي وراء عزل المهلب عن حرب الأزارقة كما تشير المصادر هو أن آل المهلب كانوا موضع حسد من جانب عناصر كثيرة من أهـل العـراق، ومن القيسية على وجـه التـحديد لما حـازوه من ثروات طائلة، ومـا اتصفوا بـه من كرم وسخـاء كـان مضـرب الأمثـال، وقـد أتـاح لهم ذلك، الشـرط الذي أخـذه المهلب على الزبيريين قبيل بداية حرب الأزارقة سنة ٦٥هـ/٦٨٤م بأن يجبي أموال الأقاليم التي يسيطر عليها، والتي يستردها من قبضة الأزارقة – كما سبق أن ذكرنا – بالإضافة إلى ما اتصف به المهالبة من بطولات خلال المعارك جعلتهم موضع تقدير واحترام الخاصة والعامة، والدليل على ذلك أن عناصر من الحاقدين على المهلب دست عليه عند مصعب، وقال قائلهم «إن المهلب رجل يحب مطاولة العدو لما يجبي من البلاد، ولو عزلته ووليت غيره حرب الأزارقة لكان في ذلك هلاك العدو وتوفير المال على أمير المؤمنين»[١] فاستجاب مصعب لهذا الرأي وأحدث تغييراً في القيادات فوجه عمر بن عبيد الله بن معمر التميمي على فارس، وأسند إليه مهمة حرب الأزارقة وأمر المهلب بالتوجه إلى الموصل والجزيرة وأرمينية[٢].

---

(١) ابن أعثم، م ٣، ص ٢٢٠.

(٢) طبري، ج ٦، ص ١١٩، النويري، ج ٢٠، ص ٥٢٥.

وتشير الأحداث أن عمر بن عبيد الله كان مقتنعاً بما قيل عن المهلب من إطالة أمد الحرب ليجبي الأموال، وكـان يظن أنه يمكنه أن يحسم المعـارك معهم، فلما سار إلى خراسان كتب أبياتاً جاء فيها:

قل للأزارق الذين تجـمـعـوا * بسـابور إني لست مـثل المهلب
يقـاتلكم حـتى إذا مـا رآكم * أقـام فلم يبـعـد ولم يتـقـرب
وكان امرؤ يجبي الخراج بكيده * يخـرب أخـلاق البـلاد لمجلب
فأطمعكم فيه تقارب خطوه * إليـهم وهذا منه شـبـه التلعب[١]

والعجيب في الأمر أن الذي رد على عمر بن عبيد الله بن معمر ودحض ادعاءه على المهلب في هذه الأبيات هو عبيدة بن هلال اليشكري أحد زعماء الأزارقة فقال:

تأن ولا تعجل علينا ابن معمر * فلست وإن أكثرت مثل المهلب
ولا لك في الحرب المحلب حظة * ولا لك من يفيد بالأم والأب[٢]

وهكذا يتضح إدراك الأزارقـة لقـوة شكيمـة المهلب في الوقت الذي يطعن فيه ابن معمر في مقدرته العسكرية. وقد جنى ابن معمر نتائج سوء تقديره لقوة الأزارقة والمهالبة .. فلما تحرك بجيشه في اتجاه سابور، كانت الأزارقة تراقب حركته وأفسحوا له الطريق حتى اقترب منهم، وأمسكوا عنه ومكنوه، حتى إذا كان الليل إذ الأزارقـة قد داهمته من أربع جهات، على كل جهة منها رئيس من رؤسائهم: عبيدة بن هلال اليشكري، وعمرو

---

(١) ابن أعثم، م ٣، ص ٢٢١.

(٢) ابن أعثم، م ٣، ص ٢٢٢ – هكذا وردت الأبيات في المصدر.

القنا العنبري، وعطية بن الأسود الحنفي وقطري بن الفجاءة المازني، واحتدم القتال بين الجانبين، وحمل قطري على ابن معمر وضربه بعمود على بيضته فهشمها على رأسه فولى هارباً حتى اختلط بأصحابه، ورفعت الأزارقة المشاعل على رؤوس الجبال وأطراف الرماح فتحول الليل إلى نهار واشتد القتال .. وفي هذا الموقف الصعب أدرك ابن معمر سوء تقديره وتسرعه، فالتفت إلى رجل من عبد القيس كان قد شارك في حروب المهلب ضد الأزارقة، وسأله كيف كان المهلب يصنع في مثل هذا الموقف، فرد عليه الرجل: «أيها الأمير! إنه قد ذهب الرأي وبقي الصبر»(1) وانهزم أصحاب ابن معمر هزيمة قاسية، وأخذتهم سيوف الأزارقة فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وزحفوا على معسكرهم فاستباحوه وأخذوا كل ما فيه ثم رجعوا إلى مقرهم في سابور بالغنائم.

ومما يوضح مدى تأثير التعصب القبلي بين القيسية واليمنية على مجريات الأحداث آنذاك أن عمر بن عبيد الله بن معمر أراد أن ينحي بالأئمة على جنده من أهل البصرة ويحملهم مسئولية ما لحق به من هزيمة، واتهمهم بعدم الإخلاص في قتال الأزارقة وهم تحت قيادته مثل إخلاصهم للمهلب، واتهمهم بالتعصب وقال لهم: «إنكم تقولون هذا رجل قرشي حجازي، خيره لغيرنا وشره لنا»(2)، فرد عليه أحد فرسان الأزد قائلاً: «أيها الأمير، إن المهلب كان يقاتل بنا قتال الصعلوك، ويسوسنا سياسة الملوك، حتى سكنا إليه في الليل وأنسنا إليه في النهار»(3).

(1) راجع التفاصيل : ابن أعثم ، ص ٢٢٢ – ٢٢٣ .
(2) المبرد ، ص ٢٤٣ .
(3) ابن أعثم ، م ٣ ، ص ٢٢٤ .

واستمرت المعارك بعد ذلك بين الأزارقة وبين ابن معمر واشتبك الجانبان في معارك غير حاسمة أسهب المؤرخون في ذكر تفاصيلها(1)، وكان أهم إنجاز للأزارقة في ذلك الوقت أن تمكنوا من اختراق صفوف جيش ابن معمر إلى الأهواز(2) مما أغضب مصعب بن الزبير عليه، واضطر إلى الخروج بنفسه لحماية البصرة من الوقوع في يدهم، فاتجهوا إلى الكوفة ولكن نائب مصعب عليها تمكن من ردهم فعادوا إلى الري واستولوا عليها بعد قتل واليها يزيد بن الحارث، وأثناء ذلك قتل زعيم الأزارقة الزبير بن الماحوز فولوا عليهم قطري بن الفجاءة الذي انسحب إلى كرمان وجبي الأموال وأعاد تنظيم صفوفه ثم اتجه إلى الأهواز وحقق سلسلة من الانتصارات حتى أصبح يهدد البصرة، وكان عامل البصرة لمصعب بن الزبير سنة ٦٨هـ / ٦٨٧م هو الحارث بن أبي ربيعة فكتب له بخطر الأزارقة على مدينته ونصحه بأنه ليس لهم إلا المهلب(3).

وأدرك مصعب بن الزبير الخطأ الذي وقع فيه عندما أرسل المهلب إلى الموصل عزله عن حرب الأزارقة، فاستدعى مصعب المهلب من الموصل، وأعاد إليه مهمة حرب الخوارج والمسير إليهم وأعاد الوضع على ما كان عليه قبل ذلك بأن بعث إبراهيم بن الأشتر إلى عمله. وجاء المهلب حتى قدم البصرة، وانتخب الناس، وسار بمن أحب ثم توجه نحو الأزارقة والتقى بهم في معارك عنيفة في منطقة «سولاف» «فاقتتلوا بها ثمانية أشهر أشد قتال رآه الناس»(4).

(1) راجع تفاصيل المعارك : الطبري ، ج ٦ ، ص ١٢٥ – ١٢٧ .
(2) الأهواز : ناحية بين البصرة وفارس ، ويقال لها خوزستان أيضاً (آثار البلاد، ص ١٥٢) .
(3) طبري : نفسه، ص ١٢٧ .
(4) طبري ، ج ٦ ، ص ١٢٧ ، نويري ، ج ٢٠ ، ص ٥٢٧ .

استمر المهلب في صراعه ضد الأزراقة حتى سنة ٧١هـ/ ٦٩٠م وفيها تحرك الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان إلى العراق لضمها إلى حظيرة الدولة، وكان مصعب مقيماً وقتها بالبصرة وتشير الروايات التاريخية أنه فكر في الاستعانة بالمهلب بن أبي صفرة ليقف بجانبه في هذا الوقت العصيب، ويقال أنه استدعاه ليستشيره ويستعين به في تقدير الحالة، وكان رأي المهلب أن يبقى مع مصعب حتى يمكنهما صد خطر عبد الملك، ولا سيما أن أهل العراق قد مالوا إلى جانبه وكاتبوه[1]. ولكن أهل البصرة كان لهم رأي آخر، فقد اشترطوا على مصعب أنهم لن يسيرو معه لحرب عبد الملك بن مروان إلا إذا اطمأنوا على مصرهم من خطر الأزارقة، وأن يظل المهلب على حربهم فقد كانت لهم تجارب سابقة في هذا الشأن وأثبت المهلب أنه القائد الوحيد الذي استطاع التصدي للأزارقة ومنع خطرهم عن البصرة، وقال مصعب للمهلب «وأنا أكره إذا سار عبد الملك إلي ألا أسير إليه، فاكفني هذا الثغر»[2].

ورغم أن مصعب بن الزبير قد حاول أن يحشد جيشاً قوياً لمواجهة عبد الملك واستدعى إبراهيم بن الأشتر من الموصل وجعله على مقدمته في حربه مع عبد الملك[3] إلا أن عبد الملك تمكن من إيقاع الفرقة بين أصحاب مصعب وانتهى الأمر بقتله[4] ولما سمع أهل البصرة الذين كانوا يقاتلون الأزارقة دفعاً عن مصرهم خبر قتل مصعب بايعوا عبد الملك بن مروان، وبايع

(١) النويري ، ج ٢١ ، ص ٥٠.
(٢) النويري ، ج ٢١ ، ص ٥٠، قارن: الأغاني ، ج ١٧، ص ١٢٣.
(٣) ابن خلدون ، م ٣ ، ص ٧٢.
(٤) راجع التفاصيل ، طبري ، ج ٦ ، ص ١٥٨ – ١٥٩.

قائدهم المهلب بن أبي صفرة[1] فكافأة عبد الملك بأن أقره على ما تحت يده وأسند إليه مهمة حرب الأزارقة وشكره وأثنى عليه ثناء كثيراً[2].

وهكذا انتقل ولاء المهلب بن أبي صفرة من الزبيريين إلى الأمويين في أعقاب مقتل مصعب ابن الزبير، وسيطرة عبد الملك على العراق سنة ٧١هـ/ ٦٩٠م ومازال عبد الله بن الزبير يصارع الأمويين من مقره في مكة، ويبدو أن المهلب قد أدرك اتجاه رياح التغيير وأن الظفر في النهاية سيكون للدولة الأموية، وقد حدث ما توقعه حيث قضى الأمويون على ثورة عبد الله بن الزبير بقتله في مكة سنة ٧٣ هـ / ٦٩٢م[3].

(١) نويري ، ج ٢١ ، ص ١٢٧ ، ابن خلدون ، م ٣ ، ص ٨٠.
(٢) ابن كثير ، البداية ، ج ٨ ، ص ٣٤٨.
(٣) راجع: طبري ، ج ٦ ، ص ١٨٧ وما بعدها.

دور آل المهلب في القضاء علي الأزارقة

الفصل الثالث

دور آل المهلب في القضاء علي الأزارقة

ذكرنا أن المهلب بعد مبايعته لعبد الملك بن مروان سنة ٧١هـ/٦٩٠م، أقره الأخير على إقليم الأهواز وشكره على موقفه وأثنى عليه. وفي سنة ٧٢هـ/٦٩١م استعمل عبد الملك على ولاية البصرة «خالد بن عبد الله بن أسيد» الذي بادر إلى عزل المهلب عن حرب الأزارقة وأسند إليه خراج الأهواز، ولم يستمع إلى نصيحة وجوه أهل البصرة بأن يترك أمر حرب الأزارقة للمهلب لدرايته وخبرته بهم، ولكن خالداً كان يحقد على المهلب لما وصل إليه من شهرة، وما يتمتع به من تقدير الخليفة ولأنه زعيم الأزد اليمنية، وقال لمن حوله من بني عمومته من مضر: «يا معشر قريش .. والله لقد ذهب المهلب بحظ هذا المصر، وأمير المؤمنين يظن أن أحداً لا يقوم مقام المهلب»[1] وبعث خالد أخاه عبد العزيز بن عبد الله مكان المهلب على حرب الأزارقة[2] على أمل أن يعزز بعض ما ناله آل المهلب من علو المكانة وتقدير الخليفة الأموي. ولكن النتائج كانت مخيبة للآمال إذ خرج عبد العزيز في اتجاه فارس وجعل يطوي البلاد حتى وصل مدينة يقال لها جور[3] من أرض فارس، فأرسل له قطري بن الفجاءة زعيم الأزارقة أحد رجاله ويدعى «صالح بن مخراق» في عدد من الفرسان، وكمن صلح لجيش عبد العزيز وهو يسير ليلاً في غفلة وعلى غير تعبئة، وانقض عليه من كل مكان فانهزم عبد العزيز بالناس، وأسرت زوجته ابنة المنذر ابن الجارود ووضع صالح السيف في أصحابه فقتل منهم أعداداً كبيرة[4]

---

(١) ابن أعثم، م ٣، ص ٤٠٦.

(٢) طبري، ج ٦، ص ١٦٩، نويري، ج ٢١، ص ١٤٧.

(٣) مدينة بفارس، بينها وبين شيراز عشرون فرسخاً، راجع معجم البلدان لياقوت، ج ٣، ص ١٦٤.

(٤) طبري، ج ٦، ص ١٦٩.

وفر عبد العزيز من ميدان المعركة حاملاً الخزي والعار لأسر زوجته. وقدعبر عن هذا الموقف أحد الشعراء في قصيدة جاء فيها:

عبد العزيز فضحت جيشك كلهم * وتركتهم صرعى بكل سبيل
وتركت جيشك لا أمير عليهم فارجع بعار في الحياة طويل
ونسيت عرسك إذ تقاد سبية تبكي العيون برنة وعويل[2]

ولما وصل خبر هزيمة عبد العزيز بن عبد الله إلى عبد الملك بن مروان غضب لهذا التصرف من جانب والي البصرة بعزله المهلب عن حرب الأزارقة، ووجه إليه كتاباً عنيفاً يؤكد مكانة المهلب العالية، وتقدير الخلافة الأموية لجوده وحسن بلائه، وجاء في كتاب عبد الملك «.. قبّح الله رأيك حين تبعث أخاك أعرابياً من أهل مكة على القتال، وتدع المهلب يجبي الخراج، وهو الميمون النقيبة، الحسن السياسة، البصير بالحرب، المقاسي لها، ابنها وابن أبنائها، انظر أن تنهض بالناس حتى تستقبلهم بالأهواز، وقد بعثت إلى بشر بالكوفة[2] أن يمدك بجيش، فسر معهم ولا تعمل في عدوك برأي حتى يحضره لمهلب والسلام»[3].

ويعلق الطبري على رسالة عبد الملك إلى خالد بن عبد الله والي البصرة، بأن أكثر ما شق على نفس والى البصرة هو إخضاع رأيه في قتال الأزارقة لرأي وتوجيهات المهلب ابن أبي صفرة»[4].

---

(١) نويري ، ج ٢١ ، ص ١٤٨ ، ابن أعثم، م ٣، ص ٤١١، البطاش، ص ٤٧.
(٢) هو بشر بن مروان ، أخو الخليفة عبد الملك بن مروان وكان والياً على الكوفة من قِبل أخيه عبد الملك (راجع: طبري، ج ٦، ص ١٦٩).
(٣) نويري ، ج ٢١ ، ص ١٤٩.
(٤) طبري ، ج ٦ ، ص ١٧١.

وتجمعت جيوش الكوفة بقيادة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، والبصرة بقيادة خالد بن عبد الله، والتقى الجميع بالمهلب في الأهواز وكانت القيادة لوالى البصرة الذى جعل المهلب على ميمنته وداود بن قحذم على ميسرته وزحفوا للقاء الأزارقة ورغم نصيحة عبد الملك لوالي البصرة بأن يستشير المهلب ويأخذ برأيه، إلا أن العصبية القبلية كانت عاملاً مؤثراً ومسيطراً على مشاعر القادة في ذلك الوقت، فعندما أشار المهلب على خالد ابن عبد الله بأن يتحرز على السفن الكثيرة التي كانت بساحل الأهواز ويحتاط حتى لا يحرقها الأزارقة، لم يصغ إليه، ولم يمض وقت طويل إلا وكان الأزارقة قد أشعلوا فيها النار[1]، ورغم هذا فإن الأزراقة لم تدخل في قتال حاسم ضد جيش خالد، ويبدو أن كثرة عدد ذلك الجيش ووجود المهلب بين صفوفه قد جعلهم يتريثون في الصدام معه فانسحبوا إلى عمق فارس، فأرسل خالد صاحب ميسرته في أثرهم وعاد هو إلى البصرة وأقام المهلب في الأهواز[2].

ويفهم من النصوص التاريخية أن عبد الملك بن مروان كان يدرك أن حسم المعارك في المشرق ضد الأزارقة ليس له إلا المهلب، وكان يثق في مقدرته العسكرية وخبرته الطويلة في حرب الأزراقة، فرغب عبد الملك في تقوية جيشه ومساندته لإنجاز هذه المهمة، وفي سنة ٧٤هـ/٦٩٣م أمر عبد الملك أخاه بشرا – وكان قد أضاف إليه ولاية البصرة مع الكوفة – أن يكلف المهلب بمحاربة الأزراقة، وأن يترك له حرية اختيار من يشاء من أهل البصرة، وأن يتركه في الحرب ورأيه، وحذره من أن يقع فيما وقع فيه خالد

---

(١) طبري ، ج ٦ ، ص ١٧٢.
(٢) نويري ، ج ٢١ ، ص ١٤٩.

ابن عبد الله من قبل، وهـدده بالعـزل إن فعل ذلك[1] فاستعدى بشر المهلب، وقرأ عليه كتاب عبد الملك بن مـروان بتكليفه بحرب الأزارقة وأعطاه حرية أن يختار من يشاء من الرجـال، فأسند المهلب مهمة اختيار الجند إلى أحد أقاربه وهو جديع بن سعيد الأزدي – خـال ابنه يزيـد –، وأمره أن يأتي الديوان فيختار الناس[2].

خـرج المهلب من البـصـرة في عـشـرة آلاف رجل من قـبـيلتـه الأزد، وثمانية آلاف من أخلاط القبائل، ودخل المهلب بجيوشه الأهواز بعد أن رحل عنهـا الأزارقة إلى أرض سابور بفـارس لينظموا صفـوفهم استعداداً لجـولة جديدة من المعارك مع المهلب الذي أقام في الأهواز عدة أيام ثم رحل حتى نزل بمدينة رامهرمز[3] في جموعه[4].

شعـر بشـر بن مـروان بالغضب الشـديد على المهلب ومـلأت نفسـه الحقـد لما حباه بن الخليفة من علـو المنزلة، وشق عليه أن إمـرة المهلب على الحرب جاءت من قبل الخليفة عبد الملك[5] مما جعله مقيداً بأوامره لا يستطيع أن يبعث غيره لحرب الأزارقة فيتعرض لعقاب الخليفة مما أوغر صدره على المهلب، وفكر في الكيد له بإرسال أحـد رجالـه من الكوفة يشاركـه القيادة ويستبد بالأمر، ولا يستمع لمشرورته، فاختار لهذه المهمة عبد الرحمن بن

(1) ابن أعثم، م ٣، ص ٤١٨.
(2) طبري، ج ٦، ص ١٩٦.
(3) رامهرمز: معنى رام بالفارسية المراد والمقصود، وهرمز أحد الأكاسرة فهذه الكلمة مركبة معناه مراد أو مقصود هرمز وهى مدينة مشهورة بنواحى خوزرستان (فتوح، ص ٤٦٤ – ٤٦٧، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٧).
(4) ابن أعثم، م ٣، ص ٤٢٢.
(5) ابن خلدون، م ٣، ص ٩١.

مخنف وكما يروى ابن الأثير، انفرد بشر بعبد الرحمن وحرضه على المهلب، وقال له: «خالفـه في أمـره، وأفسد عليه رأيه، ولا تقبلن له مشورة ولا رأياً، وتنقصـه وقصّر به»[1]. والظاهـر أن بشـراً قد أسـاء الاختـيـار، ولم يقـع على الرجل المناسب لهذه المهمة، فإذا كان ما يحرك بشر ضد المهلب هو العصبية القبلية، فإن عبد الرحمن بن مخنف من الأزد، وضاقه أن يسب بشر المهلب ويطعن في مقدرته وشرفه، وعلق عبد الرحمن لخاصته على ما قاله بشر في حق المهلب «.. فـترك أن يوصيني بالجند، وقـتال العدو .. وأقبل يغريني بابن عمتي كأني من السفهاء..»[2]. وتظاهر بأنه يستجيب لبشر وهو يضمر في نفسه التعاون مع المهلب والطاعة له.

وكان المهلب عندما وصل إلى رامهـرمز والتقى بالأزارقـة، أقام خندقاً حول معسكره وتحرز من مفاجآت الأزارقة التي خبرها لطول عـهده بهم، وأقبل جيش الكوفـة بقيـادة عـبد الرحـمن بن مـخنف فنـزل بالقـرب من معسكره، ولم تمض عشرة أيام حتى جاء إلى رامهـرمز خبر وفـاة بشر بن مروان في البصرة سنة ٧٤هـ/٦٩٣م[3].

وعندما بلـغ جند البصـرة والكوفـة خبـر مـوت بشـر بن مـروان لم يستقروا في مواقعهم لتحقيق الهدف الذي جاءوا من أجله إلى رامهـرمز، فانسحب عدد كبير من الجند، ويتضح من روايـة الطبري أن معظم الذين هربوا من رامهـرمز وكرهوا مـواصلة القتال هم من أهـل الكوفة الذين كانوا تحت إمرة عبد الرحمن بن مخنف، وكان على رأس الهاربين بعض قواده مثل

(1) الكامل، ج ٤، ص ٣٦٧.
(2) طبري، ج ٦، ص ١٩٦ – ١٩٧.
(3) الكامل، ج ٤، ص ٣٦٦.

زخر بن قيس، وإسحاق بن محمد بن الأشعث، ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد، ورغم أن ابن مخنف أرسل في أثرهم ابنه جعفراً، وتمكن من رد إسحاق ومحمد إلا أنهما تمكنا من الهرب مرة أخرى(1) وفشلت محاولات والي البصرة في إقناع هؤلاء الفارين بالعودة إلى ميدان المعركة، وكانوا مازالوا في الأهواز، وأرسل لهم كتاباً قرأه عليهم أحد رجاله به الكثير من التهديد والوعيد إن لم يستجيبوا لأوامره بالعودة، ولكن زخر وأصحابه سخروا منه ولم يلتفتوا إليه(2)، وأرادوا دخول الكوفة، وكتبوا إلى واليها عمرو بن حريث يستأذنونه في الدخول، ورغم رفض والي الكوفة لمطلبهم إلا أنهم تسللوا إلى المدينة ليلاً، وظلوا بها حتى مجئ الحجاج سنة ٧٥هـ/٦٩٤م.

وبالنظر لما سبق من أحداث يمكننا أن نرجح أن معظم أصحاب المهلب من أهل البصرة ظلوا في مكانهم في رامهرمز، ولم يسارعوا إلى الانسحاب، وأن أصحاب ابن مخنف من أهل الكوفة هم الذين تركوا أماكنهم إلى مصرهم، مما يوحي بأن خروجهم كان عن غير رغبة واقتناع، فآثروا السلامة بالعودة بعد موت أميرهم، أو لأنهم رفضوا أن يعملوا تحت قيادة المهلب، وقد علموابتحريض بشر لابن مخنف بعدم التعاون معه وصادفوا غير ذلك، ويفهم هذا المعنى من قول الحجاج بعد ولايته الكوفة مخاطباً هؤلاء الفارين «.. وبلغني رفضكم المهلب، وإقبالكم على مصركم عصاة مخالفين»(3).

(1) طبري، ج ٦، ص ١٩٧.
(2) الكامل، ج ٤، ص ٣٦٦.
(3) نويري، ج ٢١، ص ٢١٠.

وكيفما كان الأمر فإن القوات الباقية في رامهرمز رغم نقص عددها إلا أن القيادة الحكيمة للمهلب والتعاون بينه وبين ابن مخنف قد مكنهما من احتياز الأزمة المفاجئة بسلام، ولم يتعرضوا لخطر الأزارقة، فنحن لا نقرأ عن معارك دارت بين جيش المهلب والأزارقة منذ وفاة بشر بن مروان وحتى ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق سنة ٧٥هـ/٦٩٤م(1).

ومما يؤكد ما ذهبنا إليه من أن معظم جيش المهلب بقي معه في رامهرمز بعد وفاة بشر بن مروان، ما يشير إليه ابن أعثم من أن المهلب كان معه في رامهرمز في ذلك الوقت عشرة آلاف رجل وهو العدد الذي صحبه عند خروجه من البصرة ووقف المهلب في أصحابه خطيباً وقال: «إن كنتم إنما تقاتلون هذا العدو لبشر بن مروان فقد مات بشر، وإن كنت إنما تقاتلون لله فاثبتوا على ما أنتم عليه، فإن أمير المؤمنين حي، والعراق لابد لها من أمير»(2).

ومن جانب آخر نلاحظ أن الأزارقة الذين كانوا يراقبون معسكر المهلب قد فرحوا لموت بشر، وانسحاب أعداد كثيرة من جيش العراق. ولكنهم في نفس الوقت كانوا يعلمون أن المهلب مازال في معظم رجاله من الأزد، وأنه يمكنه أن يتصدى لهم بقوة إذا فكروا في استغلال الموقف لصالحهم، ولما شاور قطري بن الفجاءة أصحابه فيما يجب عمله في هذا الموقف، كان الرأى السائد هو ما قاله عمرو القنا «اترك المهلب ما تركك، وأرده ما أرادك»(3) ولذلك لم يغامر الأزارقة بالهجوم على المهلب رغم قلة

(1) راجع: طبري، ج ٦، ص ٢٠٢، نويري، ج ٢١، ص ١٥٢.
(2) راجع: ابن أعثم، م ٣، ص ٤٢٢ – ٤٢٣.
(3) ابن أعثم، م ٣، ص ٤٢٤.

قواته آنذاك. كما أن المهلب كان حريصاً على أن يحشد إليه عبد الملك الجيوش في أسرع وقت، ليتمكن من التصدي لأي هجوم من جانب الأزارقة، فكاتبه بذلك، وحذر من خطورة الحال مع قلة ما تحت قيادته من جند، وخطر الأزارقة على البصرة[1].

** ** **

بين آل المهلب والحجاج (٧٥-٨٣هـ/٦٩٤-٧٠١م)

كانت الأحداث التي وقعت عند رامهرمز في أعقاب وفاة بشر بن مروان والتي سبق شرحها، من أهم العوامل التي جعلت عبد الملك بن مروان يبحث عن رجل قوي يتولى شئون العراق ويقبض على زمام الأمور بيد من حديد ويعيد هيبة الخلافة بين المتمردين الذين انسحبوا من ميدان المعركة وبين الأزارقة الذين عاثوا في أقاليم الدولة الشرقية، فلما تولى الحجاج بن يوسف الثقفي ولاية العراق سنة ٧٥هـ/٦٩٤م كان أول مهامه إرسال البعوث إلى المهلب، ورد هؤلاء الذين تمردوا على قيادتهم، وتركوا الحرب دون مبرر، وجاء في خطاب الحجاج المشهور الذي ألقاه في الناس من على منبر الكوفة قوله: «.. قد بلغني رفضكم المهلب، وإقبالكم على مصركم عصاة مخالفين، وإني أقسم لكم بالله لا أجد أحداً بعد ثلاثة إلا ضربت عنقه، وانهبت داره»[2].

وأمر الحجاج العرفاء بحشد الرجال إلى المهلب وأن يفتح باب الجسر في طريق فارس ليلاً ونهاراً، ويروي الطبري أنه عبر الجسر في نهاية المهلة التي حددها الحجاج – وهي ثلاثة أيام – أعداد كثيرة من الناس، بعد النداء الذي

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ١٢٦.
(٢) طبري، ج ٦، ص ٢٠٤.

أطلقه الحجاج بأن من ظل في الكوفة من جند المهلب بعد الموعد فقد أحل دمه، فخرج الناس فازدحموا على الجسر، وخرجت العرفاء إلى المهلب وهو برامهرمز فأخذوا كتبه بالموافاة، فقال المهلب: قدم العراق اليوم رجل ذكر[1] اليوم قُتول العدو[2].

وأتبع الحجاج حملته العنيفة في الكوفة بحملة مماثلة في البصرة، وتوعد العصاة من جند المهلب، وأمهلهم ثلاثة أيام، فسارع العسكر للالتحاق بفرقهم وخرج الحجاج بنفسه متوجهاً إلى ميدان الصراع مع الأزارقة، حتى اقترب من معسكر المهلب فنزل في «رستقباذ»[3] على بعد ثمانية عشر فرسخاً من رامهرمز وذلك في شعبان سنة ٧٥هـ/٦٩٤م، وقال حين نزل هذا المكان «يا أهل المصرين (يقصد الكوفة والبصرة) هذا المكان والله مكانكم، شهراً بعد شهر، وسنة بعد سنة، حتى يُهلِكَ الله عدوكم، هؤلاء الخوارج المطلين عليكم»[4].

وهكذا أعلن الحجاج الحرب التي لا هوادة فيها ضد الأزارقة مهما طال الزمن وحشد لها كل ما يستطيع حشده من الرجال، «فاشتدت ظهور المسلمين، وساء ذلك الخوارج، وقد كانوا رجوا أن يكون من الناس فرقة واختلاف»[5] وكتب الحجاج إلى المهلب يقره على حرب الأزارقة، ويعلن ثقته فيه وفي مقدرته على تولي هذه المهمة الخطرية، وحاجته إليه عن رغبة

(١) أبو هلال العسكرى، الأوائل، ج ٢، ص ٦٧ (الرياض ١٩٨١).
(٢) طبري، ج ٦، ص ٢٠٧. نويري، ج ٢١، ص ٢١٢.
(٢) رستقباذ: من أرض دستوا، ودستوا بلده بفارس، وقيل بالأهواز (فتوح، ص ٣٤٥، معجم، ج ٣، ص ٤٣، مراصد، ج ٢، ص ٥٢٧).
(٤) نويري، ج ٢١، ص ١٥٢.
(٥) طبري، ج ٦، ص ٢١٠، ابن خلدون، م ٣، ص ٩٥.

واقتناع، وجاء في كتابه: «.. فإن بشر بن مروان وجهك إلى الحرب التي للأزارقة وكان مستكرهاً لنفسه فيك، وأنا أريدك لحاجتي إليك، فأبشر وقر عيناً، واثبت على حرب القوم»[1].

كما اعترف الحجاج للمهلب بشرطه الذي اشترطه على أهل البصرة قبل بداية حرب الأزارقة سنة ٦٥هـ/٦٨٤م بأن يكون له خراج ما غلب عليه من البلاد «فكانت الأموال تنتقل إليه من أرض فارس في البدر مكتوب عليها: هذا ما أطعم الله المهلب بن أبي صفرة مما غلب عليه من بلاد الله، يحمله إلى قومه من الأزد لا يعترض عليه معترض»[2].

ونلاحظ في هذه المرحلة من القتال مع الأزارقة أن قيادة الجيوش التي كانت في رامهرمز لم تكن واحدة – رغم أوامر الحجاج للمهلب وإقراره على حرب الأزارقة، فكان أهل البصرة يقودهم المهلب، وأهل الكوفة يقودهم عبد الرحمن ابن مخنف. وفي البداية نجحت جيوش الحجاج في إجلاء الأزارقة عن رامهرمز «من غير قتال شديد»[3] حسب رواية الطبري، والظاهر أن هذه كانت سياسة الأزارقة عندما يشعرون بقوة جيوش الخلافة وخطورة المواجهة، فتراجعوا إلى سابور، ونزلوا مدينة كارزون[4] لتنظيم صفوفهم وتبعهم المهلب وعبد الرحمن بن مخنف وكان ذلك في رمضان سنة ٧٥هـ/٦٩٤م، ودارت بين الجانبين معارك عنيفة قُتل فيها أعداد كبيرة من

(1) المبرد، ص ٢٦٦.
(2) ابن أعثم، م ٤، ص ١٤.
(3) طبري، ج ٦، ص ٢١٠.
(4) كارزون مدينة بفارس بين البحر وشيراز (راجع معجم البلدان لياقوت).

الجانبين، وقتل خلال ذلك عبد الرحمن بن مخنف وصمد المهلب برجاله في وجه الأزارقة[1].

ونتيجة لعدم توحد القيادة العسكرية في هذه المعركة، فقد اختلفت الروايات حول أسباب هزيمة جيش ابن مخنف وقتله على يد الأزارقة فأهل البصرة يذكرون رواية مفادها أن المهلب عندما واجه جيوش الأزارقة عند كارزون، خندق على قواته وتحرز من عدوه وكانت هذه عادته في التعامل مع الأزارقة في المعارك التي سبق الإشارة إليها. وأشار المهلب على ابن مخنف أن يخندق هو الآخر ويتحرز على معسكره، فرفض أصحاب ابن مخنف مشورة المهلب وكأنهم أنفوا أن يأخذوا أوامرهم منه أو يعملوا تحت قيادته، وقالوا: «نحن خندقنا سيوفنا»[2] فحذر المهلب ابن مخنف من خطر أن يداهمه الأزارقة على غرة فلا يستطيع الثبات لهم، ولكن صمم أصحابه على رأيهم[3] فلما بادر الأزارقة بالهجوم كان هدفهم في البداية معسكر المهلب، فوجدوه قد أخذ الحيطة ولم يستطيعوا اقتحام خندقه لمناعته، فمالت الأزارقة إلى معسكر ابن مخنف واشتبكوا معه في قتال عنيف، فلما احتدم القتال «انهزم عنه أصحابه»[4] فحلت الهزيمة بابن مخنف فقُتل وقُتل معظم الذين ثبتوا معه في المعركة[5].

ولكن أهل الكوفة – وهم جيش ابن مخنف – يذكرون رواية أخرى تشير إلى أن المهلب قد اصطدم بالأزارقة في بداية المعركة، ولم يستطع الثبات

(1) راجع التفاصيل، نويري، ج ٢١، ص ١٥١ – ١٥٢.
(2) الكامل، ج ٤، ص ٣٨٨.
(3) المبرد، ص ٢٦٧.
(4) طبري، ج ٦، ص ٢١٢.
(5) نويري، ج ٢١، ص ١٥٢.

لهم، مما اضطره إلى الاستنجاد بعبد الرحمن بن منخنف الذي أمده بالخيل والرجال، فلما رأت الأزارقة ذلك، أدركت أن معسكر ابن مخنف قد خف رجاله، فجعلوا بإزاء المهلب من يشغله، وانصرفوا بمعظم قواتهم إلى معسكر ابن مخنف ،وحملت عليهم الخوارج فقاتلتهم قتالاً شديداً ثم إن الناس انكشفوا عنه،[1] فقُتل ابن مخنف وقتل معظم أصحابه.

والظاهر أن رواية أهل الكوفة كانت تبريراً لهزيمتهم في هذه المعركة التي قُتل فيها قائد هم، وأرادوا إلقاء اللوم في ذلك على المهلب بن أبي صفرة. ونلاحظ أنه في كلا الروايتين – رواية أهل البصرة وأهل الكوفة – تؤكد المصادر أن أهل الكوفة انكشفوا عن ابن مخنف ولم يصمدوا معه في القتال. ويؤكد هذا الأمر ما سبق أن أشرنا إليه من تسارع أهل الكوفة إلى الفرار والعودة إلى مصرهم في أعقاب وفاة بشر بن مروان.

وكيفما كان الأمر، فإن الخليفة عبد الملك بن مروان كان يدرك حقيقة الموقف في ميدان المعركة ضد الأزارقة، وأن اللائمة في هذه الهزيمة تقع على عاتق أهل الكوفة، فلما وصله خبر مقتل عبد الرحمن بن مخنف ،نعى عبد الرحمن، وذم أهل الكوفة،[2].

بعث الحجاج بعتاب بن ورقاء خلفاً لابن مخنف لقيادة أهل الكوفة، وإراد أن يتفادى ما حدث لابن مخنف عندما لم يستمع إلى مشورة المهلب، فكانت أوامر الحجاج إلى عتاب واضحة، فإذا دارت المعارك فعليه أن يستمع إلى المهلب ويطيع، فساءه ذلك، ولكن لم يجد بُداً من الإذعان والطاعة[3]

(١) طبري ، ج ٦ ، ص ٢١٢ ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٩٨٩.
(٢) طبري ، ج ٦ ، ص ٢١٣ ، الكامل، ج ٤ ، ص ٩٨٩.
(٣) الكامل ، ج ٤ ، ص ٣٩٠ ، نويري ، ج ٢١ ، ص ١٥٣.

ولكن العصبية القبلية كان لها تأثيرها الخطير على تفكير القادة، فعتاب كان حاقداً على المهلب ويأنف من العمل تحت قيادته مما أثار الخلافات بين الرجلين وكاد أن يحدث بينهما اشتباك في مجلس المهلب، ورفع المهلب القضيب ليضرب عتاب لولا أن حجز بينهما المغيرة بن المهلب[1]. ولما وصلت هذه الأخبار إلى الحجاج أدرك خطر وجود قائدين متنافسين في مواجهة الخوارج، واستغل فرصة شكوى عتاب من المهلب فأمره بالعودة إلى الكوفة، فقام المهلب بإسناد قيادة ما تحت إمرة عتاب من الجنود إلى أحد أبنائه وهو حبيب بن المهلب[2].

وهكذا توحدت قيادة الحرب ضد الأزارقة وأصبحت بيد آل المهلب وتمكن المهلب في هذه المرحلة من الصراع أن يوجه ضربات عنيفة إلى الأزارقة في فارس وكرمان واستمر المهلب يناجزهم ثمانية عشر شهراً دون حسم[3] ولكنه نجح فى تضييق الخناق على مواردهم باستيلائه على معظم إقليم فارس وحجب ما كانوا يحصلون عليه من هذا الإقليم الغنى[4]، وخلال هذه الفترة كان الحجاج يتابع معارك المهلب وبنيه ضد الأزارقة، ويحثه على الإسراع في حسمها، وظن أنه يطيل أمد الحرب حتي يجبي أكبر قدر من الأموال، فأراد الحجاج أن يجبي خراج فارس عن طريق عمال من قِبله، ويحرم المهلب من هذا المورد الذي يعتمد عليه في تمويل عسكره.

ومهما كان هدف الحجاج من هذا التصرف، فإن المصادر توضح أن عين الخليفة عبد الملك كانت تراقب ما يجري بين المهلب والحجاج وبدايات التنافس

(١) الكامل ، نفسه.
(٢) طبري ، ج ٦ ، ص ٢١٣.
(٣) نويري ، ج ٢١ ، ص ١٥٤.
(٤) طبري ، ج ٦ ، ص ٣٠١.

بين الرجلين، كما أدرك الخليفة خطورة أن يحرم المهلب من أموال فارس، وتأثير هذا على صمود عسكره في مواجهة الأزارقة، فكتب عبد الملك إلى الحجاج سنة ٧٧هـ/٦٩٦م «أما بعد، فدع بيد المهلب خراج فارس، فإنه لابد للجيش من قوة، ولصاحب الجيش من معونة»[1].

ورغم استجابة الحجاج لأوامر الخليفة، إلا أن مشاعر الحجاج بدأت تتغير نحو المهلب، وتحركت عوامل العصبية القبلية في نفسه، وكان يتمنى لو تولى أمر الخوارج رجل من القيسية فيحوز المال والثروة واحترام الخليفة وتقديره ويوضح هذه المشاعر بجلاء، ما جاء في كتاب الحجاج إلى المهلب بن أبي صفرة جاء فيه: «فإنه بلغني أنك أقبلت على جباية الخراج، وتركت قتال العدو، وإني وليتك وأنا أرى مكان «عبد الله بن حكيم المجاشعي»[2] و «حسان بن حصين الحبطي»[3]، واخترتك وأنت من أهل عمان، ثم رجل من الأزد»[4].

ورد المهلب على الحجاج بأنه يتحين الفرص لتحقيق النصر النهائي على الأزارقة وأنه لن يتم له ذلك إلا في ثلاثة أحوال: موت زعيم الأزارقة قطري بن الفجاءة، أو وقوع الفرقة والاختلاف فيما بينهم، أو محاصرتهم

(١) طبري، نفسه.

(٢) المجاشعي منسوب إلى مجاشع بطن من تميم وعامتهم بالبصرة (راجع: محمد بن أبي عثمان الحازمي، النسب، ص ١١، القاهرة ١٩٧٣).

(٣) الحبتي أو الحبطي نسبة إلى حبتة بنت مالك بن عوف (راجع: محمد بن أحمد الذهبي، المشتبه، ج ١، ص ١٣٩، القاهرة ١٩٦٢).

(٤) المبرد، ص ٣٦٨.

حتى يقتلهم الجوع[1]، ولكن الحجاج لم يقتنع بهذه المبررات التي ساقها المهلب وظل يطارده بكتبه ورسله لإنهاء الحرب مع الأزارقة في أسرع وقت.

وفي رواية للطبري أن الحجاج أرسل في سنة ٧٧هـ/٦٩٦م البراء بن قبيصة حاملاً كتاباً للمهلب يحثه فيه على مجاهدة الأزارقة، ويحذره من «العلل والأباطيل»، وأراد المهلب أن يرى رسول الحجاج بنفسه كيف تكون المعارك مع الأزارقة «فأخرج المهلب بنيه، كل ابن في كتيبة، وأخرج الناس على راياتهم .. وجاء البراء بن قبيصة فوقف على تل قريب حيث يراهم، فأخذت الكتائب تحمل على الكتائب، والرجال على الرجال، فيقتتلون أشد قتال رآه الناس من صلاة الغداة إلى انتصاف النهار، ثم انصرفوا، فجاء البراء بن قبيصة إلى المهلب فقال له: لا والله ما رأيت كبنيك فرساناً قط، ولا كفرسانك من العرب قط، ولا رأيت مثل قوم يقاتلونك قط فرجع المهلب بالناس، حتى إذا كان عند العصر خرج إليهم وبنيه في كتائبهم، فقاتلوه كقتالهم في أول مرة»[2].

ونستنتج من هذا البيان العملي ليوم قتال ضد الأزارقة مدى ضراوة المعارك التي كان يخوضها آل المهلب ضدهم وقوة بأس عدوهم وصبرهم على القتال، وعندما سأل المهلب مبعوث الحجاج عن تعليقه على ما شاهد قال: «رأيت قوماً والله ما يعينك عليهم إلا الله»[3] فطلب المهلب من البراء أن ينقل على لسانه للحجاج «أن البلاء كل البلاء أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يبصره»[4].

(١) ابن أعثم، م ٤، ص ١٤.

(٢) طبري، ج ٦، ص ٣٠٢.

(٣) المبرد، ص ٢٧١.

(٤) الجاحظ، البيان، ج ١، ص ٢٥٣.

وقد شهدت هذه المرحلة أقوى المعارك بين آل المهلب من جهة وبين الأزارقة من جهة أخرى، ومن تتبع سير هذه المعارك التي جاءت بتفاصيلها المصادر ا لمختلفة يمكننا أن نلاحظ العبقرية العسكرية والشجاعة النادرة التي كان يتمتع بها الملهب وأسرته ورجاله الذين كانوا يقودون الفرق، ويخوضون المعارك ا لجانبية تحت قيادته.

وظل المهلب يطارد الأزارقة ويطردهم من مدينة إلى أخرى ومن موقع إلى آخر مستعملاً معهم أسلوب الهجوم المفاجئ أحياناً، وتلقي الصدمة والدفاع أحياناً أخرى، والتريث وعدم الاشتباك ثالثة[1]، وكان المهلب ينصح أبناءه قائلاً: «لا تبدؤوهم بقتال حتى يبدؤوكم فيبغوا عليكم، فإنهم إذا بغوا نُصرتم عليهم»[2]، وكان ينهاهم عن مطاردتهم إذا ولّوا الأدبار منهزمين وقد نهى ابنه المغيرة عن مطاردتهم وهم جرحى «فإن الكلب إذا جرحته عقر»[3].

وكان آل المهلب يفخرون بانتمائهم إلى الأزد، وكانوا في المواقف الخطيرة التي تحتاج إلى تكاتف وتضخية يلجأون إليهم لتأكدهم من ولائهم وحسن بلائهم، فعندما تصدى عطية بن الأسود في فرسان الأزارقة في إحدى المعارك للمهلب، أسند المهلب مهمة قتاله إلى ابنه يزيد وقال له: «يا بنيٍّ هذا عطية بن الأسود قد أقبل في فرسان الأزارقة، فاخرج إليه في إخوانك الذين تثق بهم من الإقدام على المكروه» فما كان من يزيد إلا أن نادى «في فرسان الأزد فاجتمعوا إليه من كل أوب»[4].

---

(١) راجع تفاصيل المعارك: ابن أعثم، م ٣، ص ٢٣٠ وما بعدها، المبرد، ص ٢٧٢ وما بعدها.
(٢) المبرد ، ص ٢٧٧.
(٣) ابن أعثم ، م ٣ ، ص ٢١٣.
(٤) ابن أعثم ، م ٤ ، ص ٣٠.

واستمرت المعارك في الفترة من سنة ٧٥هـ/٦٩٤م إلى سنة ٧٧هـ/٦٩٦م ما يقرب من ثمانية عشر شهراً دون هوادة بين المهلب والأزارقة[1] حتى لاحت إحدى الفرص التي كان يترقبها المهلب لينهي صراعه الطويل مع الأزارقة، فقد وقع الاختلاف بين صفوفهم وانقسموا على أنفسهم، ولما بلغ المهلب ما حل بهم من الاختلاف قال لأصحابه: «أبشروا لهذا الذي كنت أرجوه من هؤلاء الحوارج وقد أذن الله في هلاكهم وبوارهم»[2].

وتذكر الروايات ا لتاريخية أن سبب الاختلاف أن عاملاً لقطري بن الفجاءة زعيم الأزارقة على كرمان يدعى المقعطر الضبي، قتل رجلاً ذا بأس من الأزارقة، فوثبت الأزارقة إلى قطري وطلبوا منه أن يمكنهم من المقعطر ليقتلوه بصاحبهم، فرفض ذلك، ودافع عن المقعطر واعترف بالخطأ الذي وقع فيه المقعطر ولكنه لم يوافق على قتله[3] وصمم كل فريق على موقفه فوقع الاختلاف بينهم، فولى المعارضون عبد ربه الكبير وخلعوا قطرياً، ويقال أن قطرياً قد بايعه عدد من الأزارقة يقدره الطبري «نحواً من ربعهم أو خمسهم»[4] وانضم الباقون إلى عبد ربه الكبير.

وبعض الروايات ترجع سبب الاختلاف بين الأزارقة إلى مؤامرة دبرها المهلب بن أبي صفرة ضدهم، فيقال أن رجلاً حداداً من الأزارقة كان يصنع نصالاً مسمومة فيرمي بها أصحاب المهلب، فشكا أصحابه منها، فوعدهم بالتخلص من هذا الشر، فوجه المهلب رجلاً من أصحابه ومعه

---

(١) نويري ، ج ٢١ ، ص ١٥٥.
(٢) ابن أعثم ، م ٤ ، ص ٤١.
(٣) نويري ، ج ٢١ ، ص ١٥٥.
(٤) طبري ، ج ٦ ، ص ٣٠٣.

كتاب أمره أن يلقيه في عسكر قطري في غفلة منهم، ففعل ووقع الكتاب في يد قطري فإذا فيه: أما بعد فإن نصالك وصلت، وقد أنفذت إليك ألف درهم فاقبضها وزدنا من هذه النصال. فأحضر قطري الصانع وواجهه بالكتاب والدراهم، فأنكر ما جاء فيه، فأمر قطري بقتله، فأنكر عليه عبد ربه الكبير وبعض أصحابه قتله فوقع الاختلاف بينهم(١).

ثم دس المهلب بين الأزارقة رجلاً نصرانياً، وأمره أن يسجد لقطري أمام أصحابه ويقول له أنا سجدت لك، ففعل النصراني، فاحتج الأزارقة على قطري بأن الرجل عبده من دون الله، وقتلوا النصراني، ولم ير قطري مبرراً لقتله فاختلف الكلمة ووقع الشقاق(٢).

ومن المرجح أن المهلب عندما علم بأمر الخلاف بين الأزارقة أراد تعميقه بما دبره من المؤامرات السابق ذكرها، وكيفما كان الأمر فإن المهلب كان يرقب الموقف بين فرق الأزارقة المتنازعة بحذر شديد، ولم يتسرع بالتدخل ضدهم رغم تنازعهم، وعندما أرسل كتاباً إلى الحجاج يخبره بما يعانيه الأزارقة من فرقة ونشوب الحرب بين قطري وعبد ربه الكبير، كان رد الحجاج بعيداً عما يشغل ذهن المهلب في ذلك الوقت. فجاء فيه: «فإذا أتاك كتابي هذا فناهضهم على حال اختلافهم وافتراقهم قبل أن يجتمعوا فتكون مئونتهم عليك أشد»(٣) ولكن المهلب كان يدرك أن تدخله في هذا الوقت قد يكون سبباً فى جمع شمل الأزارقة مرة أخرى، وجاء في رده على الحجاج ما يوضح سياسته في هذه المرحلة «لست أرى أن أقاتلهم ما داموا

---

(١) راجع التفاصيل : المبرد ، ص ٢٧٧ ، نويري ، ج ٢١ ، ص ١٥٥.

(٢(المبرد ، ص ٢٧٨.

(٣) طبري ، ج ٦ ، ص ٣٠٣.

يقتل بعضهم بعضاً، وينقص بعضهم عدد بعض، فإن تموا على ذلك فهو الذي نريد وفيه هلاكهم، وان اجتمعوا لم يجتمعوا إلا وقد رقق بعضهم بعضاً، فأناهضهم حينئذ، وهم أهون ما كانوا وأضعف شوكة»(١).

وانتظر المهلب حتى انتهت الاشتباكات بين الأزارقة وتفرقت جموعهم، فريق بزعامة قطري بن الفجاءة وتقدر حشوده بحوالي عشرة آلاف(٢) اتجه بهم قطري إلى مدينة جيرفت إحدى مدن كرمان. وفريق بزعامة عبد ربه الكبير وكان يقود سبعة آلاف، وفريق ثالث بقيادة عبد ربه الصغير في أربعة ألاف، وكان كل فريق منهم يرغب في حرب المهلب ليظهر أمام الناس صبره وجهاده وأنه أفضل من غيره(٣).

حاصر المهلب مدينة جيرفت وبها قطري ورجاله حصاراً شديداً وساءت الأحوال داخل المدينة المحاصرة حتى اضطر قطري إلى الخروج من الحصار ومواجهة مصيره في صدام مع جيش المهلب، ويبدو أن عبد ربه الصغير قد ساءه ما آل إليه حال قطري فجاء لمساندته بأربعة آلاف من الأزارقة، فأسند المهلب إلى ابنه يزيد مهمة التصدي له وإبعاده عن الاشتراك في الحرب بجانب قطري، وتمكن يزيد من أن يفتك بعبد ربه الصغير ويقتله في معظم أصحابه وظفر بعسكرهم وحوى ما فيه(٤) وفي نفس الوقت استولى المهلب على مدينة جيرفت(٥) بعد أن انسحب منها قطري دون قتال هارباً من الصدام مع المهلب حتى وصل مدينة الري ومعه عبيدة ابن هلال ومن تبعه

---

(١) نويري ، ج ٢١ ، ص ١٥٦.

(٢) ابن أعثم ، م ٤ ، ص ٤٥.

(٣) ابن أعثم ، نفسه ، ص ٤٢.

(٤) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٢٧٥.

(٥) المبرد ، ص ٢٩٢ – ٢٩٣.

من الأزارقة، وعند الري افترقوا فتوجه قطري إلى ناحية طبرستان[1] ومضى عبيدة بن هلال في نفر من أصحابه إلى مدينة قومس[2].

أقام المهلب في مدينة جيرفت وأرسل إلى الحجاج بتطور المعارك مع الأزارقة وبأنه مقيم على حرب عبد ربه الكبير وطلب منه أن يوجه في أثر قطري رجلاً جلداً في جيش[3] للقضاء عليه.

وكانت المعركة الحاسمة في هذا الصراع مع الأزارقة حول مدينة جيرفت. وقد حشد عبد ربه الكبير لهذه المعركة كل ما يستطيع حشده من الرجال وحمسهم على الانتقام من المهلب الذى استولى على جيرفت واحتوى على غنائم أصحابهم وبني أعمامهم. وكعادة المهلب في صراعة الطويل مع الأزارقة، كان يعرف كيف يتعامل معهم بأسلوب القائد المحنك الذي خبر عدوه وأدرك نواياه، فما كاد يبلغه خبر قدوم الأزارقة إلى جيرفت حتى أمر أصحابه بالرحيل عن المدينة، وخرج منها كالمنهزم، وأقبل عبد ربه في الكمين الذي أعده له المهلب وضرب الحصار على نفسه، فما كاد عبد ربه يدخل جيرفت حتى عاد المهلب بكل حشوده فحصره داخلها، ووضعه في نفس الموقف الذي كان فيه قطري منذ وقت قليل، وأمر المهلب أصحابه بعدم الاشتباك معهم في قتال .. واشتد الحصار على الأزارقة حتى اضطروا إلى

---

(1) طبري ، ج ٦، ص ٣٠٤، وطبرستان: ناحية بين العراق وخراسان بقرب بحر الخزر ذات مدن وقرى كثيرة (آثار البلاد، ص ٢١٧).

(2) طبري ، ج ٦، ص ٢١١، وقومس كورة كبيرة واسعة، بين الري ونيسابور (راجع: مراصد الاطلاع، ج ٣، ص ١١٣٤).

(3) المبرد ، ص ٢٨٨.

الخروج[1] وعبأ المهلب أصحابه في كتائب، وجعل على كل كتيبة رجلَ من أولاده، وقال لهم: «إنما أُقاتل لله، وأنت تقاتلون لله وعن أبيكم، وتذبون عن دين الله .. وليس أحد أولى بجربهم منكم فقاتلوا واصبروا .. واعلموا أنكم لا تملكون رقاب الناس، وإنما تملكون طاعتهم»[2].

ودارت معركة عنيفة حول جيرفت اشتد فيها القتل حتى عقرت الخيل وتكسر السلاح وقتل الفرسان، وعندما أدرك عبد ربه النهاية نزل عن فرسه وكسر جفن سيفه وتبعه أصحابه، وجمع المهلب أولاده وأبطال قومه وحملوا عليهم وعظم الخطب حتى قال المهلب: ما مر بى يوم مثل هذا[3] وأسفرت المعركة عن هزيمة مدمرة للأزارقة قُتل فيها عبد ربه الكبير وقُتل معه ما يقرب من أربعة آلاف من أصحابه حتى سالت دماؤهم إلى وادي جيرفت فاحمر ماء الوادي[4] ولم ينج منهم إلا القليل فولى بعضهم هاربين واستأمن بعضهم المهلب فأمنهم.

ودخل المهلب مدينة جيرفت بعد النصر فاستولى على ما كان فيها من أمتعة الأزارقة وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وسُبُوا لأنهم كانوا يسبون المسلمين[5] وبعد هذه المعركة الفاصلة، تم مطاردة قطري بن ا لفجاءة حيث قُتل في نفس السنة (٧٧هـ/٦٩٦م) في شِعب من شِعاب طبرستان، كما قُتل

---

(1) نويري ، ج ٢١ ، ص ١٥٦.

(2) راجع ا لتفا صيل : ابن أعثم، م ٤ ، ص ٤٧ – ٤٨.

(3) نويري ، ج ٢١ ، ص ١٥٧.

(4) ابن أعثم، م ٤ ، ص ٥٠.

(5) طبري ، ج ٦ ، ص ٣٠٤.

عبيدة بن هلال في قصر تحصن به بقومس[١] وانتهى بهذا خطر الأزرارقة على الدولة الأموية بعد صراع عنيف قاد معظم مراحله آل المهلب.

أرسل المهلب إلى الحجاج مبشّراً بالنصـر على الأزارقة، فلما دخل البشير مجلس الحجاج، سأله عما كان عليه حالهم في حرب الأزارقة، وطلب منه أن يخبره عن آل المهلب، فقال له: «المغيرة فارسهم وسيدهم، وكفى بيزيد فارساً شجاعاً، وجوادهم وسخيهم قبيصة، ولا يستحي الشجاع أن يفر من مدرك، وعبد الملك سم ناقع، وحبيب موت زعاف، ومحمد ليث غاب، كفاك بالمفضل نجدة، قال الحجاج: فأيهم كان أنجد؟ قال: كانوا كالحلقة المفرغة لا يُدرى أين طرفها»[٢].

فاستحسن الحجاج ما قاله الرجل في آل المهلب، وكتب إلى المهلب يشكره على جهوده، ويعتذر إليه عما بدر منه أثناء المعارك من استبطائه في حرب الأزارقة[٣] وأمره أن يولي كرمان من يثق به من أبنائه ويقدم عليه في أسرع وقت في آل بيته وفرسانه ولا يتخلف منهم أحد فلما قدم المهلب على الحجاج أظهر إكرامه وبره، وقال: «يا أهل العراق أنتم عبيد المهلب»[٤]، وطلب منه أن يعرض عليه فرسانه الذين خاضوا المعارك الطاحنة وأبلوا في

---

(١) راجع التفاصيل: طبري، ج ٦، ص ٣٠٩ وما بعدها، نويري، ج ٢١، ص ١٥٩ وما بعدها.

(٢) المبرد، ص ٢٩٤، المسعودي، مزوج، ص ١٨٥ – ١٨٦.

(٣) ابن أعثم، م ٤، ص ٥٦.

(٤) نويري، ج ٢١، ص ١٨٥، – وكانت البصرة يطلق عليها بصرة المهلب لأنه حمى المدينة من الخوارج، وكان أهل الكوفة يقولون لأهل البصرة «يا موالي المهلب» لنفس السبب ولسيطرة آل المهلب ومكانتهم في البصرة ومن شعر الحسن بن هانئ في البصرة:

ألا كل بصـري يرى إنما العلـى * مكممـة سـحق لهـن جريـن

لأزد عمـان بالمهلب ثـروة   إذا افتخـر الأقـوام ثم تلـين

قتال الأزارقة، وأن يصف له بلاءهم، وكان كُتّاب الحجاج يسجلون له ما يقوله المهلب عن رجال. ثم أقام الحجاج مجلساً خاصاً للاحتفال بهذه المناسبة، وكان ينادي على القواد والفرسان حسب مراتبهم وكان في مقدمتهم بنو المهلب: المغيرة ويزيد ومدرك وقبصة وحبيب والمفضل وعبد الملك ومحمد. وقال المهلب للحجاج: إنه والله لو تقدمهم أحد في البلاء لقدمته عليهم، ولولا أن أظلمهم لأخرتهم. قال الحجاج: صدقت، وما أنت بأعلم بهم مني، وإن حضرت وغبت إنهم لسيوف من سيوف الله[١]. فأخذ الحجاج لا يذكر له المهلب رجلاً من أصحابه ببلاء حسن إلا صدّقه بذلك، فأكرمهم وأحسن العطاء لهم وزاد فيه ثم قال: هؤلاء أصحاب الفعال وأحق بالأموال، هؤلاء أصحاب الثغور وغيظ الأعداء[٢].

---

(١) المبرد، ص ٢٩٨ – ٢٩٩.

(٢) الطبري، ج ٦، ص ٣١٩، الكامل، ج ٤، ص ٤٤٨.

ولاية المهلب علي خراسان حتي وفاته
(٨٢هـ / ٧٠١م)

الفصل الرابع

ولاية المهلب علي خراسان حتي وفاته

(٨٢هـ/٧٠١م)

كانت ولاية خراسان هي الجائزة التي حصل عليها المهلب بن أبي صفرة تقديراً لجهوده بلائه في القضاء على الأزارقة، في سنة ٧٨هـ/٧٠٥م عزل عبد الملك بن مروان، أمية بن عبد الله بن خالد عن خراسان وسجستان وكان مستقلاً في ولايته عن الحجاج، وضمهما إلى أعمال الحجاج[١] فأسند الحجاج ولاية خراسان إلى المهلب. ويبدو أن المهلب كان حريصاً على البقاء في البصرة للراحة بعد العناء الذي بذله في قتال الأزراقة، فبعث ابنه حبيباً نائباً عنه إلى خراسان، فوافق الحجاج وقام بوداع حبيب بنفسه ووصله بعشرة آلاف درهم، وظل حبيب مقيماً في خراسان مدة عشرة أشهر حتى لحق به المهلب في سنة ٧٩هـ/٦٩٨[٢].

والظاهر من رواية للطبري أن الحجاج كان مازال يحمل في نفسه غيرة وحقداً على ما وصل إليه آل المهلب من ا لرفعة وعلو الشأن، فرغم مظاهر الاحتفال والتكريم التي أقامها الحجاج لآل المهلب ورجالهم، إلا أنه «أخذ المهلب بألف ألف درهم من خراج الأهواز، وكان ولاها إياه خالد بن عبد الله فقال المهلب لابنه المغيرة: إن خالداً ولاني الأهواز وولاك اصطخر[٣]، وقد أخذني الحجاج بألف ألف درهم فنصف عليّ ونصف عليك»[٤].

والعجيب في الأمر أن هذا القائد العظيم رغم فتوحته وانتصاراته وما حصل عليه من مغانم وما جباه من أموال، لم يكن يملك مثل هذا المبلغ حتى

---

(١) الكامل، ج ٤، ص ٤٤٨.

(٢) النويري، ج ٢١، ص ٢٦٨.

(٣) اصطخر: مدينة من بلاد فارس (آثار البلاد، ص ١٤٧).

(٤) البري، ج ٦، ص ٣٢٠.

يسدده للحجاج، مما يؤكد ما كان يتسم به آل المهلب بوجه عام من سخاء وإغداق الأموال على رجالهم، واضطر المهلب للوفاء بما عليه إلى الاقتراض وبلغ به الحال أن باعت امرأته «خيرة القشيرية» حُلياً لها ومتاعاً للوفاء بما عليه(١).

ونلاحظ أن المهلب في فترة ولايته على خراسان (٧٨-٨٢هـ/٦٩٧-٧٠١م) لم يركن إلى الدعة والراحة، واستمر في نشاطه العسكري، وظل مع بنيه يقتلون في هذه الجبهة قتالاً مستمراً ضد أعداء الإسلام، ويعملون لإخضاع البلاد لسيطرة الدولة الأموية «فَخَيَلٌ له بسمرقند وأخرى ببخارى، وأخرى بطخارستان – وكلما فتح فتحاً بولاية أخرج من ذلك ا لخمس فوجّه به إلى الحجاج، وقسم باقي الفيء في أصحابه، وفرح أهل خراسان المهلب عليهم فرحاً شديداً،(٢) لما حازوه من شرف الجهاد في سبل الله، وما حصلوا عليه من الغنائم.

كانت حركة المهلب بن أبي صفرة للغزو والجهاد في سنة ٨٠هـ/٦٩٩م عندما تحرك برجاله شرقاً، وقطع نهر بلخ، ونزل على كش (وهي إحدى مدن جرحان)(٣) وهناك وفد عليه ابن عم ملك الختل(٤) الذي كان على خلاف مع الملك وحرص المهلب على فتح هذه البلاد، فوجه معه المهلب ابنه يزيد، وتم حصار الختل والاستيلاء عليها، وانسحب يزيد عنها بعد

---

(١) الطبري، ج ٦، ص ٣٢١.
(٢) ابن أعثم، م ٤، ص ٥٨.
(٣) النويري، ج ٢١، ص ٢٠١، وكش: مدينة على ثلاثة فراسخ من جرجا على جبل يقرب سمرقند، حصينة مساحتها ثلاثة فراسخ فى مثلها، وقيل قرية من قرى أصبهان (فتوح، ص ٥١٤، ٥١٥، معجم، ج ٤، ص ٤٦٢، آثار، ض ٥٥٤).
(٤) الختل: كورة فيما وراء النهر (راجع معجم البلدان لياقوت).

أن صالح أهلها على فدية حملت إليه(١) كما وجه المهلب ابنه حبيباً إلى بخارى في جيش كبير يقدر بحوالي أربعين ألف رجل، ووقع الهزائم بأهل بخارى. وأخضعهم ورجع حبيب إلى أبيه في مدينة كش(٢) وكان المهلب قد اتخذها مقراً له لتحريك قواته في الفتوحات المختلفة، وأقام المهلب بكش يضبط الأمر ويجبي الخراج ولم يستجب إلى الآراء المتهورة التى كان أصحابها يطمعون في الغزو من أجل الزيد من الأموال، فعندما قيل له: «لو تقدمت إلى الصغد(٣) وما وراء ذلك. قال: ليت حظي من هذه الغزوة سلامة هذه الجند. وعودتهم إلى مرو سالمين»(٤).

ونظهر براعة المهلب السياسية في احتفاظه بعلاقات قوية مع الخليفة الأموي في دمشق، والتعامل بدهاء مع الحجاج الذي كان يضمر في نفسه الكثير ضد آل المهلب لذلك كانت سياسة المهلب في خراسان تتسم بالحذر من العناصر القبلية المناوئة من عرب الشمال على وجه التحديد، ورغم انتمائه إلى عرب الجنوب فلم يترك لنفسه العنان في الانسياق وراء التعصب القبلي، بل كان يسعى إلى إقامة توازن في العلاقات بين القبائل حتى لا تثور فتنة تؤدي إلى افشال مشاريعه الحربية، وفي نفس الوقت كان على حذر من المضرية ولا يأمن جانبهم، ويتضح ذلك عندما أقبلت عليه جماعة من مضر وهو بمدينة كش، فقبض عليهم وحبسهم، ورغم أن المصادر لم تذكر سبباً لهذا

---

(١) الكامل، ج ٤، ص ٤٥٣.
(٢) النويري، ج ٢١، ص ٢٠١.
(٣) الصغد: كورة بين بخارى وسمرقند تشمل قرى متصله خلال الاشجار والبساتين والصغد اسم للوادى والنهر الذى تشرب منه هذه النواحى وقيل هما صغدان. صغد سمرقند، وصغد بخارى (معجم، ج ٣، ص ٤٠٩، آثار البلاد، ص ٥٤٣).
(٤) الطبري، ج ٦، ص ٣٢٦.

التصرف، فمن ا لمحتمل أنهم كانوا يمثلون خطراً على وحدة جيشه في ذلك الوقت وهو يواجه العدو في حروب متصلة، فقد ثارت بعض المنازعات بين بطون من بني تميم طلباً للثأر(١). وعندما زال الخطر، وعاد المهلب إلى مرو عاصمة خراسان، لم يجد سبباً لبقاء هؤلاء في حبسه فأطلق سراحهم(٢)، ويؤيد هذا الاحتمال، الحجاج كتب إلى المهلب بشأن هؤلاء المضرية: «إن كنت أصبت بحبسهم فقد أخطأت بإطلاقهم، وإن كنت أصبت بإطلاقهم فقد ظلمتهم إذ حبستهم، فكتب المهلب: خفتهم فحبستهم، فلما أمنت خليتهم»(٣).

ولعل عدم توتر العلاقات بنى المهلب والحجاج بصورة سافرة ترجع إلى أن المهلب بالإضافة إلى حسن سياسته، لم يكن في طبعه الغدر ومكث العهود، في الوقت الذي عرف فيه عن الحجاج القسوة والعنف في علاقته مع الخاصة والعامة على السواء، وحادثة ثورة عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث في سنة ٨١هـ/ ٧٠٠م تلقي الضوء على بعض جوانب شخصية الرجلين: أعني المهلب والحجاج.

فثورة ابن الأشعث في جوهرها تمرد من جانب قائدها ورجاله ضد قسوة الحجاج وصلفه وغروره، ورغبته في الانتقام منه، وبدأت بتدخل الحجاج في الحرب التى يقودها ابن الأشعث ضد «رتبيل» أحد ملوك الترك والذي سبق له أن أوقع الهزائم المتكررة بجيوش المسلمين، وكان رأى ابن الأشعث – بعد أن حقق بعض الانتصارات على «رتبيل» واستولى على أجزاء من بلاده –

(١) راجع التفاصيل: النويري، ج ٢١، ص ٢٢٩ – ٢٣٢.
(٢) الطبري، ج ٦ ، ص ٣٢٦.
(٣) الكامل، ج ٤ ، ص ٢٥٤.

عدم التوغل فى بلاد الترك خوفاً من الوقع في الكمائن ،حتى يعرفوا طرقها ويجبيوا خراجها،(١)، ولكن الحجاج اتبع.مع ابن الأشعث نفس الطريقة التي سبق له أن نفذها مع المهلب في حربه ضد الأزارقة، فطارد ابن الأشعث بسلسلة من الكتب العنيفة التي تتهمه بالجبن وحب الموادعة والرغبة في جباية الأموال، وأمرة بمواصلة القتال ضد الترك أو التخلي عن الإمارة لأخيه إسحق(٢)، وكان رد فعل ابن الأشعث حاسماً إذ أعلن الثورة على الحجاج والدولة الأموية واستجاب له الأجناد ومعظمهم من أهل البصرة والكوفة نكاية في الحجاج لبغضهم له وخوفهم من سطوته(٣).

وفي هذا الوقت حاول ابن الأشعث أن يستميل إليه المهلب بن أبي صفرة والي خراسان، ولكن المهلب رفض الاستجابة للفتنة، وكتب إلى ابن الأشعث كتاباً يوضح سياسته ومنهجه في التعامل مع السلطة الشرعية، وجاء في كتابه «أما بعد، فإنك وضعت رجلك يا بن محمد في غرز طويل الغي على أمة محمد ﷺ. الله الله فانظر لنفسك لا تهلكها، ودماء المسلمين فلا تسفكها، والجماعة فلا تفرقها، والبيعة فلا تنكثها..»(٤).

وواضح من النص السابق التزام المهلب بالوفاء وعدم نكث العهود، والبعد عن الفتنة وما تجره من ويلات وسفك دماء المسلمين، ولم يكتف المهلب بنصح ابن الأشعث، بل أرسل كتاباً إلى الحجاج يحذره من خطر الفتنة الداهمة التى ستهب عليه، وينصحه أن يتخذ موقف الدفاع ضد ثورة ابن الأشعث ولا يخرج للقائه، وحلل له طبيعة أهل العراق في الحرب فقد

(١) راجع تفاصيل ثورة ابن الأشعث وحروبه مع الترك: النويري، ج ٢١ ، ص ٢٣٣ وما بعدها.
(٢) النويري ، نهاية الآرب ، ص ٢٣٥ .
(٣) المسعودي ، التنبيه والاشراف، ص ٢٨٧ .
(٤) الطبري ، ج ٦ ، ص ٣٣٨.

خبرهم طويلاً وقال في كتابه للحجاج «إن لأهل العراق شره في أول مخرجهم، وصبابة إلى أبنائهم ونسائهم، فليس شيء يردهم حتى يسقطوا إلى أهليهم ويشموا أولادهم، ثم واقفهم عندها، فإن الله ناصرك عليهم إن شاء الله»(١).

لم يأخذ الحجاج بنصيحة المهلب وتجهز للقاء جيش ابن الأشعث الزاحف على العراق وخرج الحجاج من البصرة حتى وصل تستر (مدينة بخوزستان)(٢) وهناك اصطدم مع ابن الأشعث في معركة عنيفة في يوم الأضحى سنة ٨١هـ/ ٧٠٠م، فانهم أصحاب الحجاج وقُتل منهم جمع كثير، واضطر الحجاج إلى الانسحاب بفلوله إلى البصرة، وابن الأشعث يطارده(٣). وهنا أدرك الحجاج قيمة النصيحة التي أسداها له المهلب، فلما وصل البصرة، طلب كتاب المهلب وأعاد قراءته وتفحص فحواه ثم قال لمن حوله: «لله أبوه، أي صاحب حرب هو. أشار علينا بالرأي ولكنا لم نقبل»(٤).

ونُكب المهلب في رجب سنة ٨٢هـ/ ٧٠١م بوفاة ابنه المغيرة، فحزن عليه حزناً شديداً، وكان المغيرة نائباً عن أبيه في مرو، فلما بلغه خبر وفاته وهو مقيم بكش أرسل ابنه يزيد إلى مرو ليتولى مراسم دفن أخيه، وجعل يوصيه بما يفعل ودموعه تنحدر على لحيته(٥)، وبعد أن نظم الأوضاع في

---

(١) الطبري، ج ٦، ص ٣٣٩، ابن خلدون، م ٣، ص ١٠٧.

(٢) خوزستان: اسم لجميع بلاد الخوز، وهى الأهواز وقيل إحدى نواحيها، بين فارس وواسط والبصرة وجبال اللوز المجاورة لأصبهان (معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٠٤، مراصد الاطلاع، ج ١، ص ٤٩٠).

(٣) النويري، ج ٢١، ص ٣٣٦.

(٤) الطبري، ج ٦، ص ٣٤٠.

(٥) نفسه ص ٣٥١، ورثا الشعراء المغيرة ومنهم أبو أمامة زياد الأعجم الذي جاء في قصيدته:

تبكى المغيرة خلينا ورماحنا * والباكيات برنة وتصايح

كان المهلب بالمغيرة كالذي * ألقى الدلاء إلى قليب المانح

راجع: (وفيات، ج ٥، ص ٣٥٤).

كش، تركها متوجهاً إلى مرو وفي طريقه أصيب المهلب بمرض شعر معه بدنو أجله، فجمع أولاده، وأعلن استخلافه لابنه يزيد عليهم، وأمرهم بعدم مخالفته، فقال له ابنه المفضل: لو لم تقدمه لقدمناه «وأحضر سهاماً محزمت، وقال: أتكسرونها مجتمعة؟ قالوا: لا، قال: أَفَتَكسِرُونَهَا متفرقة؟ قالوا: نعم، قال: فهكذا الجماعة»(١).

وأوصى المهلب أبناءه قُبيل وفاته وصية أوردتها معظم مصادر التاريخ ولأهمية هذه الوصية كأحد الوثائق التي تكشف عن شخصية زعيم آل المهلب، والسياسة التي اعتنقها في حياته والتي يرغب من أبنائه أن يسلكوا سبيلها من بعده، فقد أوردنا نص الطبري لهذه الوصية: «فأوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم، فإن صلة الرحم تنسئ في الأجل، وتثري المال، وتكثر العدد وأنهاكم عن القطيعة، فإن القطيعة تعقب النار، وتورث الذلة والقلة، فتحابّوا وتواصلوا، وأجمعوا أمركم ولا تختلفوا، .. وعليكم بالطاعة والجماعة، وليكن فعالكم أفضل من قولكم، .. واتقوا الجواب وزلة اللسان، فإن الرجل تزل قدمه فينتعش من زلته، ويزل لسانه فيهلك اعرفوا لمن يغشاكم حقه، وآثروا الجود على البخل، عليكم في الحرب بالأناة والمكيدة، فإنها أنفع في الحرب من الشجاعة. وعليكم بقراءة القرآن، وتعليم ا لسنن، وأد ب الصالحين، وإياكم والخفة وكثرة الكلام في مجالسكم، وقد استخلفت عليكم يزيد، وجعلت حبيباً على الجند حتى يقدم بهم على يزيد، فلا تخالفوا يزيداً»(٢)، وتُوُفِّيَ المهلب بمرو الروذ، ودُفن فيها، وصلى عليه ابنه حبيب وكانت وفاته في ذي الحجة سنة ٨٢هـ/ ٧٠١م(٣).

---

(١) الكامل، ج ٤، ص ٤٧٥.

(٢) الطبري، ج ٦، ص ٣٥٤.

(٣) ابن أعثم، م ٤، ص ٨٩، فرثاه الشاعر نهار بن توسعة التميمي بقصيدة مطلعها:

لا ذهب الغزو المقرب للغنى * ومات الندى والجود بعد المهلب

Scanned by CamScanner

أسرة المهالبة بقيادة يزيد
حتي وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز
(١٠١هـ/ ٧١٩م)

الفصل الخامس

أسرة المهالبة بقيادة يزيد حتي وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز (١٠١هـ/٧١٩م)

بعد وفاة المهلب، كتب ابنه يزيد إلى الحجاج يُعْلِمه بوفاته. فأقره الحجاج على خراسان مكان أبيه[١]، وكان المهلب قد قال لمن حضره من أولاده قُبيل وفاته - كما ذكرنا - قد استخلفت عليكم يزيداً فلا تخالفوه، واعتقد أن هذا الاستخلاف لا يعني استخلافاً على خراسان فقط، فهذا يتوقف على موافقة الخليفة والحجاج، بل هو استخلاف على آل المهلب، فأصبح يزيد بهذا الاستخلاف كبير آل المهلب وشيخهم، ولذلك لا أميل إلى الأخذ برواية للطبري - بدون سند على غير عادته - يقول فيها: «ويقال: إنه قال عند موته ووصيته (يقصد المهلب): لو كان الأمر إليّ لوليت سيد ولدي حبيباً»[٢]. ولنا أن نتساءل: هل كان المهلب في استخلافه لابنه يزيد مُكرهاً؟ وإذا لم يكن الأمر إليه في هذا الاختيار. فلمن كان إذن؟ ولا شك أن هذه الرواية - إن صحت - تتناقض مع وصية المهلب لأبنائه عن أهمية الجماعة وعدم الاختلاف وأن يطيعوا يزيداً، فما كان المهلب يبذر بذور الشقاق بين أبنائه قُبيل وفاته بمثل هذه العبارة.

وفي سنة ٨٣هـ/٧٠٢م كان الحجاج بن يوسف الثقفي مازال على حرب ابن الأشعث، وكانت أهم المعارك التي خاضها في هذه السنة معركة «دير الجماجم» المشهورة بالقرب من الكوفة، والتي انكسر فيها جيش ابن الأشعث وتشتت شمل أصحابه[٣] ويهمنا من أمر هذه المعركة أن فريقاً من جيش ابن الأشعث بعد أن انتهى بهم المطاف إلى سجستان، طلبوا أن يتركوا سجستان ويتوجهوا بجيوشهم إلى خراسان وعليها يزيد بن المهلب ليستولوا عليها

---

(١) راجع الطبري، ج ٦، ص ٣٥٥.

(٢) طبري، نفسه.

(٣) راجع التفاصيل: النويري، ج ٢١، ص ٢٣٩ وما بعدها.

ويتقووا بها. ولكن ابن الأشعث حذرهم من هذه المغامرة، وقال لهم: «على
خراسان يزيد بن المهلب، وهو شاب شجاع صارم وليس بتارك لكم سلطانه،
ولو دخلناها لوقعنا بين أهل خراسان وأهل الشام»[١]، ولكن أصحابه لم يستجيبوا
له. وكانوا يأملون أنهم إذا هاجموا خراسان فسيجدون تأييداً من أهلها، وأنها
خير مستقر لهم بعيداً عن تهديد الحجاج والدولة الأموية[٢].

استجاب ابن الأشعث لرغبة أصحابه بعد إلحاح، وسار بهم في اتجاه
خراسان وعندما وصلوا مدينة «هراة» حدث اضطراب في صفوف قواته أظهر
اختلافها فيما بينها، انسحب جزء من جيشه بقيادة عبيد الله بن عبد الرحمن
في ألفين، مما أغضب ابن الأشعث، فترك قيادة أصحابه وانسحب بخاصته
من المعركة[٣].

تجمع من بقي من جيش ابن الأشعث في هراة بقيادة عبد الرحمن بن
العباس بن ربيعة في حوالي عشرين ألفاً، وبلغ خبر هذا الحشد يزيد بن المهلب
في خراسان، وما فعلوه بنائبه على هراة «الرقاد بن عبيد» عندما أراد التصدي
لهم فقتلوه. فأرسل يزيد تحذيراً إلى عبد الرحمن جاء فيه: «قد كان لك في
البلاد متسع، ومن هو أقل مني حداً وأهون شوكة، فارتحل إلى بلد ليس لي فيه
سلطان، فإني أكره قتالك، وإن أحببت أن أمدك بمال لسفرك أعنتك به»[٤].

---

(١) الطبري ، ج ٦ ، ص ٣٧٠.
(٢) النويري ، ج ٢١ ، ص ٢٥٠.
(٣) الطبري ، ج ٦ ، ص ٣٧٠، ويقال أن ابن الأشعث عند انسحابه عاد للإقامة مع رتبيل ملك الترك الذي كان قد توكدت بينهما الصداقة منذ رفض ابن الأشعث الدخول في حرب ضد رتبيل، ووجه جيوشه لقتال الحجاج (راجع: الطبري، ج ٦، ص ٣٧٠ - ٣٧١، المسعودي، التنبيه والاشراف، ص ٢٨٧).
(٤) النويري : ج ٢١ ، ص ٢٥١.

وتعلل عبد الرحمن بن العباس ليزيد بأنه ما نزل هذه البلاد لحرب أو
مقام، ولكن للراحة ثم الرحيل، وكان يزيد يراقب ما يجري في هراة بحذر
كعادة آل المهلب في حروبهم، فبلغه أن عبد الرحمن أقبل على جباية ما تحت
يده، فأدرك يزيد أن من أراد أن يريح ثم يرحل لم يجب الخراج[١] فتحرك
يزيد برجاله في اتجاه هراة وولى على الحرب أخاه المفضل، واستخلف على
مرو عاصمة خراسان خاله جديع بن يزيد، وعندما وصل هراة، بعث تحذيراً
ثانياً إلى عبد الرحمن بن العباس جاء فيه: إنك قد أرحت وسمنت وجبيت
الخراج فلك ما جبيت وزيادة، فاخرج عني فإني أكره قتالك[٢]. ولكن عبد
الرحمن بن العباس لم يستجب لنداء المسالمة، وكاتب جند يزيد يستميلهم
ويدعوهم إلى نفسه، فأخبروا يزيد بذلك، فعلم أنه لا فائدة من العتاب، وأمر
أخاه المفضل بالاشتباك، ودارت معركة قصيرة انهزم فيها جيش عبد الرحمن
وفر معظم أصحابه من ميدان المعركة، فأمر يزيد بن المهلب بالكف عنهم
وعدم مطاردتهم، ووقع منهم عدد كبير في الأسر، وكان من بين الأسرى
محمد بن سعد بن أبي وقاص الذي قال ليزيد عندما مثل بين يديه: أسألك
بدعوة أبي لأبيك، فخلى يزيد سبيله[٣].

ويروى أن حبيب بن المهلب حرض أخاه يزيد على عدم إرسال
الأسرى في هذه المعركة من أهل اليمن إلى العراق، لأن الحجاج سيضرب
أعناقهم. وقال له: بأي وجه تنظر إلى اليمانية إذا فعلت ذلك، ورغم أن

---

(١) الطبري : ج ٦ ، ص ٣٧١.
(٢) النويري ، ج ٢١ ، ص ٢٥٢.
(٣) وكان سعد بن أبي وقاص عندما بلغه حسن بلاء المهلب في معارك خراسان في عهد معاوية قال: اللهم لا تره ذلاً! أبداً، وأكثر ماله، ويقال إن ما نال المهلب من خير كان بسبب هذه الدعوة. (راجع: المعارف، ص ٢٤٢، الأنساب، ص ١٢٨ - ١٢٩).

يزيد كان يعلم خطورة التعرض للحجاج في مثل هذا الأمر، إلا أنه خضع لرأي حبيب وأنف أن يرد أسرى اليمانية إلى الحجاج، وأما المضرية فشدهم في الحديد ووجههم إلى الحجاج(١).

ويروي الطبري أن الحجاج عندما جاءه الأسرى من عند يزيد بن المهلب، حاكمهم في مجلسه، واحداً بعد الآخر، وكان بعد المحاكمة يأمر بضرب عنق الأسير، ثم أُتِيَ بعبد الله بن عامر، فلما قدم بين يديه قال: لا رأت عيناك ياحجاج الجنة إن أفلت ابن المهلب بما صنع. قال: وما صنع؟ قال:

لأنه كاس في إطلاق أسرته * وقاد نحوك في أغلالها مضراً

وقى بقومك ورد الموت أسرته * وكأن قومك أدنى عنده خطراً

فأطرق الحجاج ملياً، ووقرت في قلبه، قال: ما أنت وذاك. وأمر بضرب عنقه، ولم تزل في نفس الحجاج حتى عزل يزيد عن خرسان وحبسه»(٢).

عزل يزيد بن المهلب عن خراسان سنة ٨٥هـ/٧٠٤م

بعد أن فرغ الحجاج من ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث سنة ٨٥هـ/٧٠٤م رتب للقضاء على يزيد بن المهلب وعزله عن خراسان، وأصبح لا هم له إلا يزيد وأهل بيته، «وقد كان الحجاج أذلّ أهل العراق كلهم إلا يزيد وأهل بيته ومن معهم من أهل ا لمصرين بخراسان، ولم يكن يتخوف بعد عبد الرحمن بن محمد بالعراق غير يزيد بن المهلب»(٣). والظاهر أن الحجاج كان يرى في يزيد بن المهلب، أكبر منافس له لدى الخلافة

---

(١) النويري ، ج ٢١ ، ص ٢٥٣.

(٢) الطبري ، ج ٦ ، ص ٣٨٠، قارن: النويري ، ج ٢١ ، ص ٢٥٤.

(٣) الطبري ، ج ٦ ، ص ٣٩٧.

الأموية في دمشق، وأنه يمكنه أن يحل مكانه ويتولى ما تحت يده من أعمال، وحسب رواية ابن خلكان أن «الحجاج يكره يزيد لما يرى فيه من النجابة فيخشى منه أن يترتب مكانه، فكان يقصده بالمكروه كل وقت كي لا يثب عليه»(١). ولما كان أهم ما يشغل بال الحجاج في ذلك الوقت هو يزيد ابن المهلب، فكان الحجاج كثيراً ما يسأل المنجمين عمن يكون مكانه، فيقولون رجلاً اسمه يزيد، فلا يرى من هو أهل لذلك سوى يزيد بن المهلب(٢).

ورغم ما كان يتمتع الحجاج من مكانة لدى الخليفة عبد الملك بن مروان الذي أطلق يده في شئون العراق والمشرق، إلا أن الحجاج كان يشعر بأن يزيد بن المهلب يحظى باحترام وتقدير البلاط الأموي في دمشق، وأراد الحجاج أن يختبر مكانته لدى عبد الملك فطلب منه أن يعفيه مما تحت يده من ولايات، فأدرك عبد الملك هدفه، ولم يجبه إلى طلبه(٣).

وتذكر الروايات التاريخية أن الحجاج كان يبحث عن سبب لإقناع عبد الملك بن مروان بعزل يزيد عن خراسان، فأكثر من الكتابة إلى عبد الملك يذم يزيد وآل المهلب ويتهمهم بأنهم زبيرية(٤)، ومع علم عبد الملك بأن هذه تهمة لا قيمة لها الآن بعدما حققه آل المهلب من انتصارات ضد أعداء الدولة الأموية، إلا أن إلحاح الحجاج دفع الخليفة إلى أن يكتب إليه: «قد أكثرت في يزيد وآل المهلب، فسم لي رجلاً يصلح لخرسان، فسمى له مجاعة بن سعد السعدي، فكتب إليه عبد الملك: إن رأيك الذي دعاك إلى استفساد آل

---

(١) وفيات ، ج ٦ ، ص ٢٧٨.

(٢) نفسه ، ص ٢٨٨ – ٢٨٩ ، النويري ، ج ٣٢١ ، ص ٢٦٤.

(٣) وفيات ، ج ٦ ، ص ٢٨٩.

(٤) الطبري ، ج ٦ ، ص ٣٩٥.

المهلب، هو الذى دعاك إلى اختيار مجاعة، فانظر لي رجلاً حازماً ماضياً لأمرك، فسمى له قتيبة بن مسلم، فكتب إليه: ولّه»(١).

ونستنتج مما سبق أن عبد الملك كان يدرك حقيقة مشاعر الحجاج وحقده على يزيد وآل المهلب، وأنه كان يرمي إلى «استفساد آل المهلب» ورغم ذلك فقد استجاب الخليفة لطلب الحجاج وعزل يزيد عن خراسان بقتيبة بن مسلم في ربيع الآخر سنة ٨٥هـ/٧٠٤م، وكان هذا في اعتقادي منعاً لاحتمالات الفتنة والصدام بين يزيد والحجاج مما ينذر بسوء العاقبة، وكان الحجاج حريصاً في نفس الوقت أن يتم عزل يزيد عن خراسان وقدومه إلى العراق بطريقة لا تثير مشاعره، ولا تدفعه إلى الثورة والتمرد، فلم يكتب الحجاج إليه بالعزل بل كتب له باستخلاف أخيه المفضل وأن يقبل عليه بالعراق(٢).

وكان يزيد بن المهلب على علم بما يدبره له الحجاج، ورغم نصيحة مستشاريه له بأن يتريث في الخروج إلى العراق على أمل أن عبد الملك يعدل عن عزله، إلا أن يزيد كان محافظاً على التقاليد التي بثها فيه والده المهلب، وقال لمن حوله: «إنا أهل بيت بورك لنا في الطاعة، وأنا أكره المعصية والخلاف»(٣).

وهناك رواية تشير إلى أن يزيد في أواخر أيامه في خراسان تغير على بني عمه وغيرهم من أجناد خراسان، فجعل يبغضهم ولا ينفذ فيهم وصية أبيه

---

(١) وفيات، ج ٦، ص ٢٨٩.
(٢) الطبري، ج ٦، ص ٣٩٥.
(٣) نفسه.

حتى أبغضه أهل خراسان وكاتبوا الحجاج(١)، وأنا لا أميل إلى هذه الرواية لتبرير عزل يزيد، فالحجاج ما كان يشغله علاقة يزيد بأهل خراسان ورأيهم فيه، بقدر ما كانت تشغله أمور أخرى سبق ايضاحها، ومما يدحض هذه الرواية، ما ترويه معظم المصادر أنه عندما خرج يزيد من خراسان إلى العراق صادف ترحيباً كبيراً في كل مكان «فلم يمر ببلد إلا فرشوا له الرياحين»(٢).

حبس الحجاج يزيد بن المهلب ومعظم أفراد أسرته بعد وصولهم إلى العراق وأخذهم بسوء العذاب وأغرمهم ستة ملايين درهم(٣)، وظل يزيد في سجن الحجاج حتى سنة ٩٠هـ/٧٠٨م حيث تمكن يزيد ومن معه من إخوته من الهرب من قبضة الحجاج. وتفاصيل ذلك أن الحجاج كان قد خرج لحرب الأكراد الذين غلبوا على فارس، وأخرج معه يزيد بن المهلب وإخوته، فجعلهم في عسكره، وجعل عليهم مثل الخندق ووضع عليهم حرساً من أهل الشام(٤)، وواضح من هذا التصرف من جانب الحجاج، أنه كان يدرك خطر يزيد وآل المهلب رغم وجودهم في قبضته، فكان يخشى هربهم ولم يأمن أن يتركهم، ويخرج للغزو مما قد يعطى الفرصة لبعض العناصر المؤيدة لآل المهلب من التدخل لإطلاق سراحهم.

وكان يزيد رغم وجوده في الحبس على اتصال بأسرته في البصرة، فبعث إلى أخيه مروان بن المهلب يخبره بعزمه على الهرب، ويطلب منه أن يعد خيولاً قوية تحسباً لوقت قد يستطيع فيه الإفلات من قبضة

---

(١) ابن أعثم، م ٤، ص ١٤٥ وما بعدها.
(٢) الطبري، ج ٦، ص ٣٩٦، النويري، ج ٢١، ص ٢٦٥.
(٣) وفيات، ج ٦، ص ٢٨٨ – ٢٨٩.
(٤) طبري، ج ٦، ص ٤٨٨، نويري، ج ٢١، ص ٣١٦.

الحجاج[1]، ويفهم من الروايات التي بين أيدينا أن الحجاج في هذه الفترة كان قد كف عن تعذيبهم، واكتفى بأن يستصفي أملاكهم ويخرج منها ما يستطيع إخراجه من أموال، تسديداً لما أخذهم به، وكان قد غرمهم ستة ملايين درهم – كما ذكرنا – وتروي المصادر ما يفيد أن يزيد كان يعامل معاملة خاصة آذاك، وكان ينفق عن سعة وهو في الحبس ،وكان له طباخ وموائد منصوبة حتى استمال قلوب الحراس،[2]، ولذلك كان يمكن ليزيد أن يدبر خدعة يهرب بها من حبسه، وأمر يزيد أن يصنع طعام كثير للحرس وأن يقدم لهم الشراب، واستغل انشغالهم فتنكر في ثياب طباخه، ووضع لحية بيضاء وتسلل من بين الحراس ليلاً وتبعه أخواه المفضل وعبد الملك[3]، ومن المحتمل أن يزيد قد دبر هذا الأمر بالاتفاق مع بعض الحراس الذين غمرهم بكرمه، وأعطى السجان ألف درهم لتسهيل مهمة هربه[4].

ولما وصل الخبر إلى الحجاج بهرب يزيد وأخوته ظن أنهم سيتوجهون إلى خراسان ويجمعون أنصارهم هناك، ويثيرون فتنة ضده، فأرسل إلى واليها قتيبة بن مسلم يأمره بالحذر والاحتياط، فكان الحجاج يخشى أن يحدث له من يزيد مثل ما فعل ابن الأشعث[5] ولكن يزيد ومن معه من آل المهلب، كانوا يفكرو في اتجاه آخر، حيث أخذوا طريقهم إلى فلسطين ونزلوا على أحد أفراد قبيلتهم وهو يزيد بن عبد الرحمن الأزدي الذي توسط ليزيد بن المهلب لدى سليمان بن عبد الملك بن مروان وكان مقيماً في فلسطين في ذلك

(١) ابن أعثم ، م ٤ ، ص ١٥٥.
(٢) النويري، ج ٢١ ، ص ٣١٧.
(٣) طبري ، ج ٦ ، ص ٤٤٨ – ٤٤٩.
(٤) ابن أعثم ، م ٤ ، ص ١٥٤.
(٥) طبري ، ج ٦ ، ص ٤٤٩.

الوقت، فأمّنهم سليمان، وكان لابد أن يحصل لهم على الأمان من أخيه الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦ – ٩٦هـ/٧٠٥–٧١٤م) فكتب إليه بذلك، وطلب منه الخليفة أن يمثل يزيد وأخوته أولاً بين يديه قبل الأمان، ولما خاف عليهم سليمان من بطش الخليفة أخبره أنه سيحضر بهم بنفسه، ولكن الوليد أقسم أنه لن يعطيهم الأمان إلا إذا حضروا بدونه ومقيدين[1].

ويظهر أن سليمان بن عبد الملك لم ينس بلاء آل المهلب وشهرتهم التي ذاعت في الآفاق وجهادهم وولاءهم للدولة الأموية، لذلك أرسل مع يزيد وأخوته ابنه أيوب، وطلب منه مأن يدخل إلى الوليد وهو مقيد في قيد واحد مع يزيد بن المهلب، ووجه سليمان كتاباً إلى أخيه يبرر فيه أسباب إجارته ليزيد جاء فيه: «إنما أجرت يزيد بن المهلب لأنه وأباه وأخوته من صنائعنا قديماً وحديثاً، فلم أجر إلا سامعاً مطيعاً حسن البلاء والأثر في الإسلام هو وأبوه وأهل بيته،[2] وتعهد سليمان بأن يرد عن يزيد كل ما يطلب منه من أموال[3]. فأمّن الوليد بن عبد الملك يزيد وآل المهلب، وكتب إلى الحجاج بأن يكف يده عنهم، فاستجاب الحجاج لأوامر الخليفة، وكان أبو عيينة بن المهلب عند الحجاج وقد أغرمه مالاً فكف عنه، وأطلق سراح حبيب ابن المهلب وكان يُعذب بالبصرة[4]. وأقام يزيد بن المهلب عند سليمان بن عبد الملك وكانت الصداقة بين الرجلين تزداد قوة مع الوقت وكان سليمان يحسن استقباله، ويقدم له الهدايا القيمة ويقبلها منه، ولم يتمكن الوشاة من

(١) طبري ، ج ٦ ، ص ٤٥١.
(٢) ابن أعثم ، م ٤ ، ص ١٥٨.
(٣) طبري ، ج ٦ ، ص ٤٥٢.
(٤) وفيات ، ج ٦ ، ص ٢٩٤.

إفساد هذه العلاقة القوية بينهما(١) وظل الحال على ذلك حتى وفاة الوليد ابن عبد الملك وتولي سليمان الخلافة سنة ٩٦هـ/٧١٤م.

** ** **

ارتفاع شأن آل المهلب في عهد سليمان بن عبد الملك

كان من المتوقع أن يحظى آل المهلب وعلى رأسهم يزيد بمكانة مرموقة ونفوذ قوي في ظل حكم الخليفة الجديد سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ/٧١٤-٧١٧م) الذي ما كاد يتولى الخلافة حتى دعا يزيد ابن المهلب، فخلع عليه وأكرمه، وعزم على أن يوليه العراقين البصرة والكوفة(١)، وفي نفس الوقت فإن أعداء آل المهلب وخاصة هؤلاء الذين كانوا من أنصار الحجاج (توفي ٩٥هـ/٧١٣م)، الذين سبق وشاركوا في بعض ما أصاب آل المهلب على يديه، أصبحوا يتوجسون من العهد الجديد، وتوقعوا أن يتم تصفية الحسابات القديمة، وأن يتعرضوا للانتقام، فيذكر الرواة، أن الخلافة عندما آلت إلى سليمان بن عبد الملك، خشي قتيبة بن مسلم أن يعيد سليمان يزيد بن المهلب على خراسان ويعزله عنها بما يعنيه هذا من تعرضه وأنصاره لانتقام يزيد، فكتب قتيبة إلى سليمان ثلاثة كتب أرسلها مع رسول له: الكتاب الأول يهنئه فيه بالخلافة، ويذكر حسن بلائه وطاعته لعبد الملك والوليد، وأنه له عليه مثل هذا إن لم يعزله عن خراسان. فقتيبة في كتابه الأول للخليفة يربط بين ولائه له وبين بقائه والياً على خراسان.فقتيبة في كتابه الأول للخليفة يربط بين ولائه له وبين بقائه والياً على خراسان محتمياً فيها مما يتوقعه من أخطار. والكتاب الثاني يذكّر فيه الخليفة بفتوحه وجهاده ومكانته

(١) راجع التفاصيل ، الطبري ، ج ٦، ص ٤٥٢ – ٤٥٣.
(٢) ابن أعثم ، م ٤، ص ١٨٧.

وعظَم قدره، "ويذك آل المهلب ويحلف بالله لئن استعمل يزيد على خراسان ليخلعنه"، أما الكتاب الثالث فكان فيه خلع للخليفة وإعلان التمرد(١).

وبعث قتيبة الكتب مع أحد خاصته، وأوصاه أن يدفع الكتاب الأول إلى الخليفة، فإن كان يزيد بن المهلب حاضراً مجلسه فقرأه ثم ألقاه إليه فادفع إليه بالكتاب الثاني، فإن قرأه ودفعه إلى يزيد فادفع إليه الثالث. وإن قرأ الأول ولم يدفعه إلى يزيد فاحبس الكتابين عنه، وقد حدث ما توقعه قتيبة أولاً، فكلما أعطاه مبعوثه كتاباً دفعه الخليفة إلى يزيد حتى أعطاه الكتاب الثالث فقرأ سليمان: "لئن لم تقرني على ما كنت عليه وتؤمنني لأخلعنك ولأملأنها عليك خيلاً ورَجلاً"(٢).

ولم ينتظر قتيبة بن مسلم رد الخليفة على كتبه، واستشار أخوه فأشاروا عليه بخلع سليمان بن عبد الملك، فلما فعل ذلك ودعا القبائل التي في خراسان إلى مساندته في خلع سليمان لم يستجيبوا له، فوقف قتيبة فيهم خطيباً فأساء إليهم وسبهم، فغضبت القبائل واجتمعوا على خلع قتيبة والتصدي له "وكان أول من تكلم في ذلك الأزد"(٣) وكان طبيعياً أن ينقسم الأزد على قتيبة لموقفه من آل المهلب وعدائه لهم(٤) وانتهى الأمر بثورة القبائل في خراسان على قتيبة، وقُتل هو ومعظم أفراد أسرته وبُعث برأسه إلى سليمان بن عبد الملك(٥).

(١) النويري ، ج ٢١ ، ص ٣٣٩.
(٢) راجع التفاصيل : الطبري ، ج ٦ ، ص ٥٠٧ – ٥١١.
(٣) النويري ، ج ٢١ ، ص ٣٤٠.
(٤) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٢٩٥.
(٥) راجع التفاصيل: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٩٥-٢٩٦، النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٣٤٠-٣٤٢.

وكان سليمان بن عبد الملك بعد توليه الخلافة مباشرة قد أسند ولاية
العراق إلى يزيد بن المهلب، وأمره أن يبسط العذاب على آل أبي عقيل وهم
أهل الحجاج، فأسند يزيد مهمة الانتقام منهم ومصادرة أملاكم إلى أخيه عبد
الملك [1]، ورغم أن سليمان قد أطلق يد يزيد بن المهلب في أهل الحجاج
وخواصه، إلا أن يزيد لم يكن يحمل طباع الحجاج ولا أخلاقه، وكان أقرب
إلى العفو منه إلى ا لانتقام والتشفي ويظهر هذا واضحاً في موقفه من يزيد بن
أبي مسلم خليفة الحجاج وأحد خواصه، وكان سليمان قد قبض عليه، وقال
ليزيد ابن المهلب «خذه إليك فعذبه بألوان العذاب، حتى تستخرج منه الأموال.
فقال: يا أمير المؤمنين أنا أعلم به، لا والله ما عنده مال، ولا كان ممن يحوي
المال. وكان يزيد بن المهلب يعرف له جميل فعله به، فولاه سليمان
الصائفة»[2].

وفي سنة ٩٧هـ/٧١٥م استعمل سليمان بن عبد الملك، يزيد بن المهلب
على خراسان مضافة إلى العراق، فولى يزيد أخاه زياداً على عُمان[3].
وكان سبب ذلك أن سليمان لما ولي يزيد العراق فوّض إليه الحرب والخراج
والصلاة بها، أي أصبحت ولاية عامة ليزيد، فنظر يزيد لأحوال العراق وما
آلت إليه بعد أن خربها الحجاج، وضيّق على أهلها، واستنزف أموالهم، ورأى
أنه إن تشدد في جمع الخراج وعذب الناس لجمع منهم صار عندهم مثل
الحجاج، لذلك احتال يزيد لدى الخليفة حتى يسند إليه ولاية خراسان وكأن
الأمر قد جاء عفواً ودون تدبير أو رغبة من يزيد[4].

---

(١) النويري ، ج ٢١ ، ص ٣٤٣.
(٢) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٢٩٥.
(٣) الطبري ، ج ٦، ص ٥٠٦، الأنساب ، ج ٢، ص ١٤٨.
(٤) راجع التفاصيل: الكامل، ج ٥ ، ص ٢٣، النويري، ج ٢١، ص ٣٤٤ وما بعدها.

ويتضح من رواية لابن الأثير أن يزيداً انشغل عن الخراج، فأسندت
مهمة الخراج إلى صالح بن عبد الرحمن، فضيق صالح على يزيد في الأموال
حتى ضجر من البقاء في العراق وكان يزيد مشهوراً بالكرم إلى حد الإسراف
فقد اتخذ ألف خوان يطعم الناس عليها فمنعها صالح .. واشترى يزيد متاعاً
وكتب صكاً بثمنه إلى صالح فلم يقبله، وادعى بأن الخراج لا يقوم بما يريد
يزيد[1].

وأعتقد أن الفرصة في العراق كانت ضيقة أمام طموحات يزيد وآل
المهلب، فمجال الغزو والفتوحات ليست متاحة ليزيد في العراق، ولعل هذا هو
ما دفع يزيد إلى السعى لتولي خراسان تلك الولاية التي خبرها آل المهلب
طويلاً في صراعهم مع الأزارقة وفي كفاحهم في سبيل الجهاد ونشر الإسلام،
فالغزو هو الطريق الذي اعتاده آل المهلب للحصول على الشهرة والمغانم، فمعن
طريق الغزو يمكن تحقيق ا لمكانة العالية المرموقة، والثروات الطائلة التي
تخضع الرقاب وتجمع الأنصار.

خرج يزيد بن المهلب إلى خراسان سة ٩٧هـ/٧١٥م وكان قد
سبقه إليها ابنه مخلد واستخلف الولاة على مدن العراق، وجعل أخاه
مروان على حوائجه وشئونه بالبصرة[2] لما للبصرة من مكانة خاصة لدى
آل المهلب.

وسعى يزيد بن المهلب بعد توليه خراسان في تحقيق ما كان يصبو إليه من
أهداف، فبعد أن قبض على زمام الأمور في ولايته، قضى على الثورات في
جرجان وطبرستان، وحارب الترك والديلم، واستعان بآل المهلب في الإدارة

---

(١) الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣ – ٢٤.
(٢) النويري ، ج ٢١ ، ص ٣٤٦.

والقيادة، فولى ابنه مخلداً سمرقند، وولى مدرك بن المهلب بلخ ومحمد بن المهلب مرو وعظم أمر يزيد بخراسان[1].

تمكن يزيد بن المهلب خلال فترة ولايته على خراسان لسليمان بن عبد الملك من القيام بسلسلة من الفتوحات والغزوات الناجحة، وكتب إلى سليمان بأمر هذه الفتوحات وأن الله قد فتح لأمير المؤمنين جرجان وطبستان ومناطق قد استعصت على المسلمين من قبل[2] ،وقد صار في يدي ما أفاء الله على المسلمين بعد أن صار إلى كل ذي حق حقه من الفيء والغنيمة عشرون ألف ألف. فقال له كاتبه: «لا تفعل أيها الأمير إن هذا يبقى عليك مُخلَّداً بكتابك في دواوينهم، فإن ولي بعده والٍ فتحامل عليك لم يرض منك إلا بأضعافه، وإ عدل عليك أخذك بما في كتابك»[3] ونصحه أن يكتب إلى سليمان بن عبد الملك بالفتح وعندما يلتقي به يخبره بشأن الأموال حتى لا تؤخذ عليه، فأبى يزيد وأمضى الكتاب وتصادف أن مات سليمان بن عبد الملك وتولى الخلافة الأموية عمر بن عبد العزيز (٩٩ – ١٠١هـ) عندما وصل كتاب يزيد[4].

كتب عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن المهلب أن يستخلف على عمله ويُقبل إليه، فاستخلف يزيد مخلداً ابنه وقدم من خراسان وفي الطريق قُبضَ على يزيد وقُيِّد وأرسل به إلى عمر بن عبد العزيز الذي حبسه بحصن

(١) راجع تفاصيل غزوات آل المهلب في هذه الفترة: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤١٢ وما بعدها، تاريخ اليعقوبي، ج ٢ ، ص ٢٩٦.
(٢) راجع : البلاذري ، ص ٤١٢ – ٤١٥.
(٣) الحميري ، الروض ، ص ١٦٠ – ١٦١.
(٤) النويري ، ج ٢١ ، ص ٣٥٢.

حلب[1] وطالبه بالأموال التي كتب بها إلى سليمان، فأنكر يزيد هذه الأموال وبرر ذلك بقوله: «كنت من سليمان بالمكان الذي رأيت، وإنما كتبت إلى سليمان لأُسمع الناس به، وقد علمت أن سليمان لم يكن ليأخذني به»[2]، وطلب يزيد من عمر بن عبد العزيز أن يطلق سراحه ليجمع له الأموال التي يطالبه بها فرفض عمر ذلك وقال: «أتأخذها من الناس مرة أخرى»[3].

والظاهر أن عمر بن عبد العزيز كان غاضباً على يزيد بن المهلب من قبل توليه الخلافة، ولم يكن راضياً عن العلاقة الوثيقة التي كانت تربطه بسليمان بن عبد الملك، والتي أعطته الفرصة ليتصرف بكثير من مظاهر الغرور وساءه بوجه خاص بعض الأعمال التي عرفت عن يزيد والتي اتسمت بالإسراف في الهبات والعطايا والتي كان يعتبرها عمر نهباً من أموال الدولة وليست مكلاً ليزيد، وقد صرح عمر بن عبد العزيز بموقفه من يزيد لأحد خُلصائه فقال: «العجب لأمير المؤمنين (سليمان)، استعمل رجلاً على أفضل ثغور المسلمين. فقد بلغني عمن يقدم من التجار من ذلك ا لوجه أنه يعطي الجارية من جواريه مثل سهم ألف رجل. أما والله، ما الله أراد بولايته – فعرفت أنه يعني يزيد – فقلت: يشكر بلاؤهم أيامهم الأزارقة[4]. وكان عمر يعلن عن كراهيته لآل المهلب ويقول: «هؤلاء جبابرة ولا أحب مثلهم»[5].

(١) الكامل، ج ٥ ، ص ٤٨ – ٤٩، النويري، ج ٢١ ، ص ٣٦٣.
(٢) الكامل ، ج ٥ ، ص ٤٨.
(٣) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٣٠٢.
(٤) راجع : الطبري ، ج ٦ ، ص ٥٢٨ – ٥٢٩.
(٥) الكامل ، ج ٥ ، ص ٤٩.

والواقع أن يزيد قد أظهر خلال حكم سليمان بن عبد الملك كثيراً من مظاهر التكبر والاعتداد بالنفس الذي وصل إلى درجة أن يتحدى أفراداً من الأسرة الحاكمة ويواجههم بأعنف العبارات، ومن الأمثلة على ذلك ما رواه ابن قتيبة من أن سليمان بن عبد الملك سأل في مجلسه يوماً يزيد بن المهلب: فيمن العز بالبصرة؟ فقال: فينا وفي حلفائنا من ربيعة، وكان عمر ابن عبد العزيز حاضراً فاستاء من هذا[1]، كما يروى أن يزيد بن عبد الملك أبدى ملاحظة على عطر كان يتعطر به يزيد بن المهلب أغضبته، فوجه إليه ابن المهلب عبارات عنيفة جاء فيها: «إليّ يقال مثل هذا الكلام وأنا ابن المهلب ابن أبي صفرة، والله لئن وُليت الخلافة وأنا حي لأضربن وجهك بخمسين ألف سيف[2]».

وأقبل مخلد بن يزيد من خراسان، وحاول أن يتشفع لأبيه عند عمر بن عبد العزيز ولكن الخليفة كان مُصراً على أخذ يزيد بالمال الذي ذكره في كتابه لسليمان، وكأن الخليفة أراد الانتقام من صلف يزيد وغروره فأمعن في تعذيبه والتشهير به، فيُروى أنه ألبسه جبة من صوف وحمله على جمل وشهّر به بين الناس، فلما صاح يزيد منادياً على أهل قبيلته من الأزد، مستنجداً مما يحل به من تحقير، سارع من همس في أذن الخليفة برد يزيد إلى محبسه خوفاً من أن ينتزعه قومه غضباً له فرده عمر إلى الحبس، فلم يزل يزيد في حبسه حتى بلغه خبر مرض عمر بن عبد العزيز[3].

---

(١) عيون الأخبار، ص ٢٩١.
(٢) ابن أعثم، م ٤، ص ٢٣٩ – ٣٤٠.
(٣) طبري، ج ٦، ص ٥٥٧ – ٢٥٨.

كانت العلاقة بين ابن المهلب وولي العهد يزيد بن عبد الملك سيئة للغاية، وقد أشرنا إلى الطريقة التي تعامل بها ابن المهلب معه من قبل، فلما بلغ يزيد بن المهلب أن عمر بن عبد العزيز على فراش الموت فكر في الهرب من محبسه خوفاً من بطش الخليفة الجديد، ويروى أن سوء العلاقة يرجع في المقام الأول، إلى أن يزيد بن المهلب عذّب أصهاره آل أبي عقيل عشيرة الحجاج في خلافة سليمان بن عبد الملك[1] فشفع يزيد بن عبد الملك في أخت لزوجته (وهى ابنة أخي الحجاج) لدى يزيد بن المهلب، فلم يقبل شفاعته، فهدده ابن عبد الملك إن أصبحت الخلافة له ليقطعن من جسده، فرد عليه ابن المهلب: لئن كان ذلك لأرمينك بمائة ألف سيف[2].

راسل يزيد بن المهلب أهل بيته ومواليه من محبسه معلناً عن رغبته في الفرار، فأعدوا له ذلك مثلما حدث من قبل عندما فر من سجن الحجاج، وأغدق يزيد الأموال على عامل حلب وعلى الحراس المكلفين به، وأعلمهم أن عمر بن عبد العزيز قد ثقل في مرضه وليس يرجى منه، وإن ولي يزيد وهو في حبسه سفك دمه، فساعدوه على الفرار، وانتهى به المطاف إلى البصرة، فلما بلغ مأمنه كتب إلى عمر بن عبد العزيز: إني والله لو علمت أنك تبقى ما خرجت من محبسي، ولكني لم آمن يزيد بن عبد الملك[3] فقال عمر: اللهم إن كان يزيد يريد بهذه الأمة شراً فاكفهم شره، واردد كيده في نحره،[4].

---

(١) أبو زكريا الأزدي، تاريخ الموصل، ص ٣ (القاهرة ١٩٦٧).
(٢) الكامل، ج ٢، ص ٥٧.
(٣) تاريخ الموصل، ص ٣.
(٤) الطبري، ج ٦، ص ٥٦٤، النويري، ج ٢١، ص ٣٦٤ – ٣٦٥.

ثورة آل المهلب
على الدولة الأموية وموقعة العقر
(١٠٢هـ/ ٧٢٠م)

الفصل السادس

ثورة آل المهلب على الدولة الأموية وموقعة العقر

(١٠٢هـ/ ٧٢٠م)

كان من أهم مشاغل يزيد بن عبد الملك بعد أن تولى الخلافة سنة ١٠١هـ/٧١٩م هو طلب يزيد بن المهلب والقبض عليه. فكتب إلى والي البصرة في ذلك الوقت عدي بن أرطأة الفزاري، يأمره بأخذ الحطية من يزيد وتحذيره لأن أول ما يفكر فيه يزيد هو أن يلجأ إلى البصرة حيث الأعوان والأنصار، كما أمر الخليفة والي البصرة أن يأخذ من بها من آل المهلب وشيعتهم فيحبسهم، فوقع في قبضته: المفضل وحبيب ومروان أبناء المهلب[١].

أقبل يزيد بن المهلب من الشام وهو لا يعلم أن أخبار هربه قد سبقته إلى البصرة ويجهل ما حدث من والي البصرة ضد أخوته وأنصاره، فالتقى به أخوه ممد بن المهلب فيمن اجتمع إليه من أهله وقومه ومواليه قبل دخوله البصرة، وكان واليها قد حشد الأجناد وخندق حولها تحسباً لمجيء يزيد ومن معه، ورغم ذلك فإن البصرة كانت بالنسبة لآل المهلب سكناً وداراً فكانت تعرف ببصرة المهلب، فلما أقبل يزيد اخترق جيوش عدي ودفاعاته دون مقاومة أو اعتراض، فيروي ابن الأثير «فأقبل يزيد لا يمر بخيل من خيلهم ولا قبيلة من قبائلهم إلا تنحوا له عن طريقه. فأقبل يزيد حتى نزل داره، فاختلف إليه الناس»[٢].

ولما اجتمع معظم أهل البصرة حول يزيد بن المهلب، كاتب عدى ابن أرطأة في الصلح، على أن يطلق أخوته وعشيرته من الحبس، وتعهد يزيد أن يتركه في البصرة حتى يحسم الصراع بينه وبين يزيد بن عبد الملك، ولكن

(١) طبري، ج ٦، ص ٥٧٩.

(٢) الكامل، ج ٥، ص ٧١.

عـــدي رفض الاستـــجـابة للصلح[١] وكـــان ذلك في أواخـــر ســـنة ١٠١هـ/٧١٩م.

استعد يزيد للدخول في مواجهة ضد والي البصرة والخلافة الأموية في دمشق فحشد الرجال والأنصار لهذا الغرض، وكان جواداً سخياً فأقبل عليه الناس، وكان يغدق عليهم بقطع الذهب والفضة في الوقت الذي شح عليهم والي البصرة لعدم مقدرته على ا لتصرف في الأموال التي تحت يده إلا بإذن من الخليفة[٢] وانتهى الأمر باستيلاء يزيد على البصرة وأطلق سراح من بالحبس من أخوته وأنصاره وأتى بعدي بن أرطأة فحبسه مكانهم[٣] واستولى على بيت مال البصرة مما جعل في يده أخطر سلاح يمكن أن يستخدمه ضد أعدائه، فأغدق الأموال على رجاله وبعث العمال إلى الأهواز وفارس وكرمان[٤]، وجمع رجاله وشيعته وخطب فيهم وحدد أهدافه من الخروج على يزيد بأنه لا يدعي لنفسه الخلافة، ولكنه يدعوهم إلى كتاب الله وسنة رسوله[٥].

وكان من سوء طالع يزيد بن المهلب وجود الحسن البصري في ذلك الوقت لما له من آراء في اعتزال الفتن، وحث أتباعه على عدم الدخول طرفاً في المنازعات بين يزيد والخليفة الأموي، فيروى أن الحسن لما سمع خطاب يزيد في رجال قال: «إن هذا الذي يدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه محمدﷺ، هو

---

(١) نويري ، ج ٢١ ، ص ٣٨٤.
(٢) طبري ، ج ٦ ، ص ٥٨١.
(٣) تاريخ الموصل ، ص ٨.
(٤) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٢٩٣.
(٥) راجع: ابن أعثم ، م ٤ ، ص ٢٤٥ – ٢٤٦.

الذي كان يقتل الناس بالأمس في هوى بني أمية،»[١] وسوف تكون هذه الدعوة من عوامل هزيمة يزيد فيما بعد.

استخلف يزيد بن المهلب أخاه مروان على البصرة[٢] وتحرك بحشوده في اتجاه واسط ،وحشدت له الأزد وأحلافها، وانحدر إليه أهله وخاصته،[٣]، وانضمت إليه أعداد كبيرة من أهل الكوفة ومن الثغور، وأحصى ديوان ابن المهلب مائة وعشرين ألف مقاتل، ورغم ذلك فقد كان يتمنى أن يكون في صفوفه من بخراسان من قومه الأزد[٤]، وكان يزيد قد بعث أخاه مدرك بن المهلب إلى خراسان وعليها عبد الرحمن بن نعيم ليحشد له الحشود، ولكن ابن نعيم لم يستجب له، وحرض بني تميم على التعرض لمدرك ومنعه من الوصول إلى خراسان خوفاً على نفسه من غضب الخلافة الأموية في دمشق[٥]، ولكن قبائل الأزد سارعت بإخراج ألفين من فرسانها لاستقبال مدرك، ومنعوا بني تميم من التعرض له بسوء، ويروي ابن الأثير، أن الأزد في خراسان كانت لها وجهة نظر واضحة في هذا الصراع الدائر ضد الخلافة الأموية، عبر عنه أحدهم لمدرك بن الملهب الذى قال له: «إنك أحب الناس إلينا وقد خرج أخوك، فإن يظهر فإنما ذلك لنا ونحن أسرع الناس إليكم وإن تكن الأخرى فو الله ما لك في أن يغشانا ما يعرنا فيه من البلاء، فانصرف عنهم»[٦].

---

(١) الكامل، ج ٥ ، ص ٧٦.
(٢) تاريخ الموصل ، ص ٩.
(٣) المسعودي ، مروج ، ج ٣ ، ص ١٩٩ ، الروض المعطار ، ص ٤١٨.
(٤) الكامل ، ج ٥ ، ص ٧٩.
(٥) تاريخ الموصل ، ص ٨.
(٦) الطبري ، ج ٦ ، ص ٥٨٦.

حشد الخليفة يزيد بن عبد الملك في مواجهة يزيد بن المهلب جيشاً كثيفاً تقدره المصادر ما بين سبعين إلى ثمانين ألف رجل، ووضع على قيادته أحد أبطال الفتوحات أخاه مسلمة بن عبد الملك ومعه ابن أخيه العباس ابن الوليد بن عبد الملك[1] وتحرك هذا الجيش إلى العراق وقدم الكوفة في أوائل سنة ١٠٢هـ/ ٧٢٠م، ويبدو أن الجو كان بارداً والطقس غير مناسب للقتال حتى إن مسلمة قال: «ليت هذا المزوني، يعني ابن المهلب، لا كلفنا أتباعه في هذا البرد»[2].

والظاهر أن خبر وصول جيش الخلافة إلى الكوفة قد أثار الذعر والاضطراب بين صفوف رجال يزيد بن المهلب الذي ساءه ذلك، ويشعر بأن الخوف بداية الهزيمة، فاجتمع برجاله ووقف فيهم خطيباً فقال: « ما هذا الاضطراب إن قيل جاء مسلمة والعباس، فوالله ما مسلمة إلا جرادة صفراء .. وما أهل الشام إلا طعام قد حشدو ما بين فلاح وزراع ودباغ وسفلة، فأعيروني أكفكم ساعة تصفعون بها خراطيمهم. فما هي إلا روحة أو غدوة حتى يحكم الله بيننا وبين القوم الظالمين»[3].

ترك يزيد بن المهلب واسط واستخلف عليها ابنه معاوية، وسار حتى نزل في مكان بالقرب من الكوفة يسمى العقر[4]، وكان قد بعث أخاه عبد الملك في محاولة لضرب الكوفة والاستيلاء عليها، فاصطدم عبد الملك بجيش يقوده العباس بن الوليد وانتهى الأمر بينهما بهزيمة عبد الملك الذي انسحب

---

(١) المسعودي ، التنبيه ، ص ٢٩٤.

(٢) المزون : عمان وهو اسم من أسمائها (المبرد، ص ٢٤٠)، الكامل، ج ٥ ، ص ٧٤.

(٣) المسعودي ، مروج ، ج ٣ ، ص ٢٠٠ ، الحميري ، الروض، ص ٤١٩.

(٤) العقر بأرض بابل من ناحية الكوفة بالعراق، بين واسط وبغداد (الروض، ص ٤١٨).

بمن معه والتقى بأخيه عند العقر[1]. وأقبل مسلمة بن عبد الملك ونزل بمواجهة ابن المهلب في صفر سنة ١٠٢هـ/ ٧٢٠م ولم يبدأ القتال بين الجانبين إلا بعد ثمانية أيام[2] حدثت خلالها تطورات خطيرة في صفوف جيش يزيد بن المهلب.

أرسل مسلمة بن عبد الملك الرسل إلى يزيد بن المهلب يسأله أن يحقن الدماء ويرجع عما هو عليه، وتعهد له في مقابل ذلك أن يوليه ويولي أخوته ما يرغبون من البلاد، وأعلن استجابته لدعوة يزيد إلى الكتاب والسنة[3] التى أعلنها لأصحابه. ويبدو أن مسلمة كان يعلم حقيقة الأوضاع في جيش يزيد واختلاف الآراء والنحل بين رجاله، فقد أوجدت دعوته إلى قبول الكتاب والسنة انقساماً خطيراً في صفوف يزيد يذكرنا بهذا الانقسام الذي حدث من قبل في موقعة صفين بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان.

وكيفما كان الأمر فإن يزيد بن المهلب عندما بدأ إعداد جيشه للمواجهة وأعد خطة الهجوم على جيش الخلافة الأموية، وجد معارضة من بعض رجاله وعلى رأسهم السميدع الكندي من بني مالك بن ربيعة[4] وأيده في ذلك أبو رؤبة صاحب المرجئة وأتباعه. وكان رأيهم أن ينتظروا ولا يبدأوا بقتال حتى يرد القوم برأيهم الذي زعموا أنهم قبلوه منهم[5]. ولكن مسلمة ابن عبد الملك كان قد هيأ جيشه للقتال، فاضطر يزيد إلى الخروج لمواجهته رغم المعارضة التي حرمته من تنفيذ خططه في المبادرة بالهجوم، فجعل على

---

(١) المسعودي ، التنبيه، ص ٩٤ ، تاريخ الموصل، ص ١٤.

(٢) النويري ، ج ٢١ ، ص ٣٨٧.

(٣) ابن أعثم ، م ٤ ، ص ٢٥١.

(٤) الطبري ، ج ٦ ، ص ٥٨٣.

(٥) الكامل، ج ٥ ، ص ٨٠.

ميمنته حبيب بن المهلب، وعلى ميسرته المفضل بن المهلب[1] ودارت عند العقر معركة عنيفة بين الجانبين أجمعت المصادر على أن أصحاب يزيد قد خذلوه خلالها فانهزموا عنه وولى أكثرهم الأدبار[2] فيروي ابن الأثير أن مسلمة أمر أحد رجاله بحرق الجسر الذي عقده على نهر الفرات، فلما رأى أصحاب المهلب الدخان انهزموا، فلما رأى يزيد ذلك تعجب من سبب انهزامهم وفرارهم[3] ولاشك أن الدخان ليس هو السبب في فرار أصحاب يزيد، وسوف نعرض لأسباب هزيمة العقر فيما بعد.

وهكذا انتهت المعركة بهزيمة يزيد، ولما وصله خبر قتل أخيه حبيب بن المهلب أثناء القتال شعر بهوان الحياة، فاخترق صفوف جيش مسلمة فى فدائية وبسالة وكأنه يبغي الموت بشرف في ساحة القتال التي طالما صال وجال فيها سنوات طويلة، وقتل كل من كان يعرض طريقه حتى تكاثر عليه أهل الشام فقتلوه وقتل معه محمد بن المهلب[4]، ويروي اليعقوبي أن يزيد بن المهلب خاض هذه المعركة وهو يعاني مرضا شديداً فكان «مبطونا شديد العلة»[5]. ولما قتل يزيد بن المهلب، كان أخوه المفضل ما يزال يقاتل جيش مسلمة، فلما وصله خبر قتل أخوته: يزيد وحبيب ومحمد «تفرق الناس عنه»[6]، فانسحب

(١) الروض، ص ٤١٩.

(٢) الطبري، ج ٦، ص ٥٩٥، النويري، ج ٢١، ص ٣٨٦.

(٣) الكامل، ج ٥، ص ٨٢.

(٤) تاريخ الموصل، ص ١٢ - بعد قتل يزيد قال الفرزدق في رثائه:

ولا حملت أنثى ولا وضعت * بعد الأغر أصيب بالعقر

ذهب الجمال من المجالس كلها وخلا لفقدك مجلس النصر

(٥) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣١١.

(٦) الكامل، ج ٥، ص ٨٤، النويري، ج ٢١، ص ٣٨٨.

المفضل إلى واسط وكان عليها معاوية بن يزيد بن المهلب وكان تحت يده عدد من الأسرى الأمويين فلما بلغه هزيمة يزيد وقتله وما أصاب أعمامه ضرب أعناق الأسرى انتقاماً لقتلاه[1].

تجمع من بقي على قيد الحياة من آل المهلب بالبصرة بما زال في حوزتهم من أموال ومتاع وأعدوا السفن في طريقهم إلى قندابيل[2] وكان على إمارتها وداع بن حميد الأزدي الذي ادخره يزيد بن المهلب لمثل هذا اليوم، فكان قد أوصاه عندما ولاه قندابيل بأن تكون حصن أمان لآل المهلب إذا حل به مكروه[3].

عوامل هزيمة يزيد بن المهلب في العقر

(صفر سنة ١٠٣هـ / ٧٠٣م)

تضافرت عدة عوامل في نكبة يزيد وآل المهلب في يوم العقر، وما تبع ذلك اليوم من مذبحة لاحق خلالها الأمويون آل المهلب في كل مكان وكأنهم كانوا يرمون إلى القضاء عليهم ومحو ذكرهم من الوجود، وأهم هذه العوامل في رأينا:

١- الانقسام داخل صفوف جيش يزيد وبين قواده، وقد أثار هذا الانقسام وعمقه، ما قام به الحسن البصري - وهو فقيه له مكانته وأنصاره في البصرة - من تشكيك الناس في جدوى القتال وراء يزيد، وواجه الحسن يزيداً أثناء خطابه في أصحابه في مسجد البصرة، وحرض الناس على عدم الوثوق في ادعاءات يزيد، وعدم المشاركة في الفتنة، وكان يصيح فيهم:

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣١١، تاريخ الموصل، ص ١٢.

(٢) قندابيل مدينة بالسند وهي قصبة ولاية الندهه، (راجع معجم البلدان لياقوت).

(٣) الكامل، ج ٥، ص ٨٥.

«أيها الناس، الزموا منازلكم وكفوا أيديكم، واتقوا الله ربكم، لا يقتل بعضكم بعضاً على دنيا زائلة»[١].

ولا شك أن هذه الدعوة كانت لها تأثير خطير على جيش يزيد بن المهلب، مما جل البعض يميل إلى رأي الحسن البصري، وعندما حاول والي البصرة مروان بن المهلب أن يحشد الناس ليزيد بعد تحركه في اتجاه العقر، كان الحسن البصري له بالمرصاد ولم يستطع مروان أن يتصدى له لأن أنصاره كانوا على استعداد للوقوف في وجه مروان إذا تعرض له بمكروه[٢].

ومن وجهة أخرى فإن عناصر من المرجئة – وهم يمثلون إحدى الفرق الإسلامية التي ترفض الاشتراك في الفتن، ولا تؤيد فريقاً دون آخر – كانوا بين صفوف جيش يزيد بن المهلب ولعل ما دفعهم إلى انخراطهم في جيشه ما أغدقه يزيد على جنده من العطايا والهبات، وفي الوقت الذي كان يحتاج فيه يزيد إلى حشد قواه لمواجهة أعدائه، خرج أحد رجاله وهو السميدع واعترضه قائلاً: «إنا قد دعوناهم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وقد زعموا أنهم قبلوا هذا منا، فليس لنا أن نمكر ولا نغدر، ولا نريدهم بسوء حتى يردوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا. قال أبو رؤبة – وكان رأس طائفة من المرجئة ومعه أصحاب له – هكذا ينبغي»[٣].

٢– الثقة الزائدة في النفس التي تلقي الحذر، وتصل إلى الغرور من جانب يزيد ابن المهلب، فقد كان أبوه من قبل يتحرز من أعدائه ولا يستهين بهم في كل الأحوال، وقد تربي يزيد في هذا الجو وخاض في حياة أبيه العديد من

---

(١) ابن أعثم ، م ٤ ، ص ٢٤٩ – قارن : الطبري ، ج ٦ ، ص ٥٨٧ – ٥٨٨.
(٢) الطبري ، ج ٦ ، ص ٥٩٤.
(٣) الطبري ، ج ٦ ، ص ٥٩٣، الكامل ، ج ٥، ص ٨٠.

المعارك ومر بالكثير من التجارب، وكان المفروض أن يعي الدرس، ولكنا نلاحظ في هذه المعركة أن يزيد كان ينظر إلى أعدائه بدون اكتراث، وكأن الانتصار عليهم مسألة وقت، مع العلم بأن الخليفة الأموي قد وجه لقتاله قائدين من أقرب الناس إليه، أحدهما وهو مسلمة بن عبد الملك الذي كان أحد أبطال الغزو والجهاد في الجبهة البيزنطية، وبالرغم من ذلك فقد سخر يزيد من هذه القيادة، ولام رجاله لتخوفهم من أهل الشام، وقد يغفر له ما قاله تشجيعاً لجنوده، ولكنه قلل من شأن أعدا ئه ولم يحسن تقدير قوتهم، فمن بين ما قاله لأصحابه: إنه قد ذكر لي أن هذه الجرادة الصفراء – يعنى مسلمة بن عبد الملك، وعاقر ناقة ثمود – يعني العباس بن الوليد – أنه ليس همهما إلا التماسي في الأرض، والله لو جاء أهل الأرض جميعا وليس إلا أنا، ما برحت العرصة حتى تكون لي أو لهم،[١] وتساءل في تعجب: «قد رأيت أهل العسكر وخوفهم يقولون جاء أهل ا لشام ومسلمة، وما أهل ا لشام؟ هل هم إلا تسعة أسياف سبعة منها إلي وسيفان علي»[٢].

ونتيجة لهذا الاعتداد الشديد بالذات لم يستجب لمشورة قواده وأهل بيته، وكان قد استشارهم عندما توجه إلى واسط عن رأيهم في الخطوة التالية فاقترح عليه حبيب بن المهلب وبعض قواده أن يخرج بأحصابه إلى فارس فيتحصن بشعابها وجبالها ويستولى على القلاع والحصون فينضم إليه من بها من قومه ومواليه، فرفض يزيد هذه الفكرة[٣] فذكره حبيب بأنه قد سبق ونصحه عندما اتسولى على البصرة أن يسارع فيرسل خيلاً للاستيلاء على

---

(١) الطبري ، ج ٦ ، ص ٥٩٢.
(٢) الكامل ، ج ٥ ، ص ٧٥.
(٣) تاريخ الموصل ، ص ١١.

الكوفة – وكان واليها قد عجز عن التصدي ليزيد عندما مر عليه حين قدومه من الشام، وليس معه إلا سبعون رجلاً – فيسبق إليها أهل الشام، وكان أهل الكوفة على استعداد لتأييد يزيد ويفضلون أن يلي أمرهم على أن يخضعوا لأهل الشام، فلم يستمع يزيد لنصيحة حبيب(١).

كما أنه حين أوشكت الهزيمة أن تحل بيزيد في العقر، نصحه بعض رجاله أن ينصرف إلى واسط ويتحصن بها وقال: «فيأتيك مدد أهل البصرة، ويأتيك أهل عمان والبحرين في السفن، وتضرب خندقا..» فقال له: قبح الله رأيك .. الموت أيسر علي من ذلك(٢).

٣– وأخيراً .. تفرق الناس عن يزيد بن المهلب في الوقت الذي كان في أمس الحاجة إلى تماسكهم واتحادهم، والواقع أنهم لم يفرقهم الدخان الذي انطلق من الجسر المحروق، ولكن معظم الذين كانوا يحاربون في صفوف يزيد في تلك المعركة ان يجمعهم المال، وتفرقهم الرهبة والخوف، لا سيما وأنهم يواجهون جيش الخلافة الأموية، وعلى رأسه مسلمة بن عبد الملك، وكان هذا يعني بالنسبة لهم خروجاً على السلطة الشرعية بعكس حروبهم التي سبق أن خاضوها تحت قيادة آل المهلب سواء ضد الأزارقة وهم أعداء الدولة وخارجون عليها، أو ضد الأقاليم التي أعادوا إخضاعها أو فتحوها، فهي أعمال في صالح الدولة الأموية وتحت رايتها. لذلك كان من السهل على البعض أن يجد مبرراً للانسحاب والهرب عند الشعور بالخطر. وكان هذا موقف بعض العناصر القريبة من آل

(١) الكامل ، ح ٥ ، ص ٧٧.
(٢) تاريخ الموصل ، ص ١١.

المهلب، وخير مثال على هذا موقف أزد خراسان(١) الذي سبق أن أشرنا إليه.

وكيفما كان الأمر، فإن المفضل بن المهلب تولى زعامة الأسرة في هذا الوقت الحرج بعد هزيمة أسرته في موقعة العقر، فيروي الطبري: أن معاوية بن يزيد بن المهلب حين قدم البصرة من واسط، حمل معه الخزائن وبيت المال، فأراد أن يتآمر على المهلب، فاجتمعوا وقالوا للمفضل أنت أكبرنا وسيدنا وولوه قيادتهم(٢)، فركب المفضل بآل المهلب في السفن من البصرة، ورست السفن في البحرين للراحة والتزود بالمؤن فالتقى بهم واليها من قبل يزيد بن المهلب ويدعى «هرم بن القرار العبدي» فنصحهم بألا يتركوا سفنهم وقال: «إني أتخوف عليكم إن خرجتم من هذه السفن أن يتخطفكم الناس وأن يتقربوا بكم إلى بني مروان»(٣).

ورغم ما في قول هرم من بعض الحقيقة، فما كان أحد من الأعوان والأنصار يستطيع أن يحمي آل المهلب في ذلك الوقت من بطش الدولة الأموية بسطوتها وجيوشها، ولعله في نفس الوقت كان يرغب في إبعادهم عن التفكير في الاحتماء بالبحرين مما قد يجره عليه ذلك من ويلات.

ويروي العوتبي الصحاري أن السفن التي تحمل آل المهلب توجهت من البحرين إلى عمان وكان على ولايتها في ذلك الوقت زياد بن المهلب الذي رحب بأسرته في وطنهم الأصلي وشجعهم على البقاء في عمان بين

(١) الكامل ، ج ٥ ، ص ٧٥.
(٢) الطبري ، ج ٦ ، ص ٦٠١.
(٣) الطبري ، ج ٦ ، ص ٦٠٠.

أهلهم، ولكنهم أبوا ذلك[١]، والواقع أنه ليس هناك، في رأينا، ما يبرر عدم لجوء آل المهلب في هذه المرحلة الحرجة إلى وطنهم عُمان حيث الأمان والاستقرار بالنسبة لهم، إلا احتمال أنهم كانوا يأملون في التحصن بقندابيل، وأن ينضم إليهم أهلهم ومواليهم في فارس مما قد يعطيهم الفرصة في الحماية من بطش الدولة الأموية ومواصلة الكفاح ضدها للثأر مما أصابهم.

وكيفما كان الأمــر فإن آل المهلب مضــوا في سفنهم حتى إذا كانــوا بحذاء جبال كرمان خرجوا إلى الساحل وحملوا ما معهم على الدواب، وفى كرمان اجتمع إلى المفضل فلول من أنصاره، وكانت عيون مسلمة بن عبد الملك تراقب تحركات آل المهلب للقضاء عليهم قبل أن يتمكنوا من حشد حشودهم واصطناع الأعوان، فبعث مسلمة في أرثهم «مدرك بن ضب الكلبي» الذي لحق بهم، والتقى الجانبان في معركة عنيفة قتل فيها عددٍ كثير من أصحاب المفضل، كما رجع بعضهم وطلبوا الأمان من مسلمة فأمنهم[٢]، وتمكن المفضل من الخروج من المعركة بمن معه من آل المهلب ومن بقي على ولائه لهم قاصداً قندابيل على رجاء الاحتماء بها حسب الاتفاق الذي كان بين يزيد بن المهلب وبين واليها وَداع بن حميد، وفي قندابيل كان ينتظر آل المهلب مفاجأة أخرى، فالظاهر أن وداع قد أعاد تقدير الموقف، وأدرك أن دخول آل المهلب قندابيل فيه نهايته، لا سيما أن الخليفة يزيد بن عبد الملك قد بعث جيشاً آخر بقيادة هلال بن أحوز التميمى فى طلب آل المهلب وأمره ألا يلقى منهم من بلغ الحلم إلا ضرب عنقه[٣].

(١) الأنساب ، ج ٢ ، ص ١٥٦.
(٢) راجع التفاصيل ، الطبري ، ج ٦ ، ص ٦٠١ – ٦٠٢.
(٣) المسعودي ، مروج ، ج ٣ ، ص ٢٠٠.

لحق هلال بن أحوز آل المهلب قبل دخولهم قندابيل، ورفع راية **الأمان** للناس فكان أول من استجاب للأمان وداع صاحب قندابيل، وتفرق الناس عن آل المهلب الذين تقدموا بسيوفهم فقاتلوا بفدائية واستبسال حتى قتل معظمهم وهم: المفضل وعبد الملك وزياد ومروان بنو المهلب، ومعاوية ابن يزيد بن المهلب، والمنهال بن أبي عيينة بن المهلب وعمرو والمغيرة ابنا قبيصة ابن المهلب، ولم يفلت منهم إلا أبو عيينة بن المهلب وعثمان بن المفضل الذين فرا إلى بلاد الترك[١].

وبعث هلال بن أحوز برؤوس القتلى والنساء الأسرى من آل المهلب إلى مسلمة بن عبد الملك وهو بالحيرة، فلما أراد مسلمة بيع الأسرى عرض الجراح بن عبد الله الحكمي مائة ألف درهم ثمناً لهم، فلم يأخذ منه مسلمة شيئاً وأطلق سراحهم[٢] أما الأسرى الرجال فأمر يزيد بن عبد الملك بضرب أعناق من بلغ الحلم منهم، والغريب في الأمر أن غلاماً من آل المهلب لم يقتل لصغر سنه، ولكنه صاح بهم أن يقتلوه. وقال: «أنا أعلم بنفسي فقد احلمت ووطئت النساء فأمر به فقتل»[٣]، وقام يزيد بن عبد الملك بمصادرة أملاك آل المهلب في كل مكان وأقطعها لأنصاره[٤].

ظل آل المهلب على عدائهم للدولة الأموية بعد النكبات التي حلت بهم، ولكن لم يكن لهم دور مؤثر في الأحداث لسنوات طويلة بعد نكبتهم على يد يزيد بن عبد الملك، لأن المصادر التي بين أيدينا لم تعطنا المعلومات اللازمة عن آل المهلب في الفترة التالية لنكبتهم إلا أن ما ذكر بعد ذلك في الأحداث

(١) البلاذري ، ص ٥٤٠، النويري ، ج ٢١ ، ص ٣٩٠.
(٢) الكامل ، ج ٥ ، ص ٨٦.
(٣) النويري ، ج ٢١ ، ص ٣٩١.
(٤) راجع: البلاذري ، ص ٤٥١ – ٤٥٤.

سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م يدل على أن آل المهلب قد بدأوا يستعيدون نفوذهم ويجمعون حولهم الأنصار وخاصة في مدينتهم البصرة وإقليم الأهواز الذي عاصر انتصاراتهم على الأزارقة. ففي أثناء الصراع بين أبي مسلم الخراساني والقائد الأموي نصر بن سيار على خراسان سنة ١٢٩هـ ظهر على مسرح الأحداث أحد أفراد آل ا لمهلب وهو سليمان بن حبيب بن المهلب، فيروي اليعقوبي:

«وثب سليمان بن حبيب بن المهلب بالأهواز سنة ١٢٩هـ/٦٤٦م، فوجه إليه القائد الأموي يزيد بن عمر بن هبيرة، نباتة بن حنظلة الكلابي، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انخزم سليمان فلحق بفارس،[١] مما يوحي بأنه انضم إلى جيوش أبي مسلم الخراساني الذي كان يحارب الدولة الأموية في ذلك الوقت.

والظاهر أن زعماء آل المهلب ظلوا يساندون الدعوة العباسية حتى حققت أهدافها بالقضاء على الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، فعندما أعلن أبو سلمة الخلال صاحب الدعوة العباسية في الكوفة الدعوة للعباسيين، قام سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بإعلان الثورة في البصرة ولبس السواد شعار الدولة العباسية وحارب والي الأمويين واستولى على المدينة[٢] وقد كافأ العباسيون سفيان بن معاوية بأن أسندوا إليه ولاية البصرة، وردوا إليه أملاك آل المهلب التي صادرتها لدولة الأموية[٣].

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٤١.

(٢) اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٤٥، الأنساب، ج ٢، ص ١٥٦ – ١٥٧.

(٣) الطبري، ج ٧، ص ٤٥٨، البلاذري، ص ٤٥١.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية القديمة:

- ابن الأثير: على بن محمد بن عبد الكريم (ت ٦٣٠ هـ):

١- أسد الغابة فى معرفة الصحابة، القاهرة، ١٩٧٠م.

٢- الكامل فى التاريخ، بيروت ١٩٨٢م.

- الأصطخرى: أبو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت ٣٤١ هـ).

١- كتاب ا لأقاليم، (تصوير بغداد بلدون تاريخ).

٢- كتاب مسالك الممالك، ليدن ١٩١٧م.

- ابن أعثم الكوفى: أبو محمد أحمد (ت ٣١٤ هـ).

- كتاب ا لفتوح، بيروت سنة ١٩٨٦م.

- البغراوى: صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ٧٣٩هـ):

- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق على محمد البجاوى، بيروت ١٩٥٤م.

- البلاذرى: أحمد بن يحيي بن جابر (ت ٢٧٩ هـ):

- فتوح البلدان، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة ١٩٥٦م.

- الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ):

- البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٨٥م.

- ابن حجر: شهب الين أحمد بن على العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ):

- الإصابة فى تمييز الصحابة، القاهرة، ١٣٢٨ هـ.

- ابن حزم: أبو محمد على بن أحمد الأندلسى (ت ٤٥٦ هـ):
١- جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون القاهرة ١٩٧١م.
٢- الفصل فى الملل والأهواء والنحل، تحقيق عبد الرحمن عميرة وآخرون، جدة، ١٩٨٢م.
- الحلبى: على برهان الدين:
- السيرة الحلبية، مجلد ٣ (طبع بيروت بدون تاريخ).
- الحميرى: عبد المنعم السبتى (ت أواخر القرن التاسع الهجرى):
- الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس - بيروت ١٩٨٤.
- ابن خلدون: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ):
- مقدمة ابن خلدون، تحقيق على عبد الواحد وافى، ٣ أجزاء، القاهرة ١٩٧٩م.
- ابن خلكان: شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ):
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس ٨ أجزاء (بيروت ١٩٦٨ - ١٩٧٢م).
- خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ):
١- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمرى بغداد ١٩٦٧م.
٢- كتاب الطبقات، تحقيق أكرم ضياء العمرى، بغداد ١٩٦٧م.

- الذهبى: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨ هـ):
١- سير أعلام النبلاء، بيروت بدون تاريخ.
٢- كتاب المشتبه، القاهرة سنة ١٩٦٢م.
- الرازى: فخر الين محمد بن عمر (ت ٦٠٦ هـ):
- اعتقاد فرق المسلمين والمشركين، القاهرة ١٩٧٨م.
- أبو زكريا: يزيد بن محمد بن إياس (ت ٣٣٤ هـ):
- تاريخ الموصل، القاهرة ١٩٦٧م.
- ابن سعد: أبو عبد الله محمد الزهرى (ت ٢٣٠ هـ):
- الطبقات الكبرى، ٨ أجزاء (طبعة دار الشعب بالقاهرة).
- ابن سعيد المغربى: أبو الحسن على بن موسى (ت ٦٨٠ هـ):
- كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربى، بيروت ١٩٧٠.
- سيف البطاش: سيف بن حمود بن حامد:
- تاريخ المهلب القائد وآل المهلب، عمان سنة ١٩٨٨م.
- الشهرستانى: محمد بن عبد الكريم بن أحمد (ت ٥٤٨ هـ):
- الملل والنحل، القاهرة ١٩٧٧م.
- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ):
- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (طبعة دار المعارف بالقاهرة).
- ابن عبد البر: النمرى القرطبى (ت ٤٦٣ هـ):
- الاستيعاب فى معرفة الأصحاب، القاهرة ١٣٢٨هـ.

– أبو عبيد القاسم بن سلام:

– كتاب الأموال (بيروت بدون تاريخ).

– ابن عذارى: أبو عبد الله محمد المراكشى (ت أواخر القرن السابع الهجرى):

– البيان المغرب فى أخبار المغرب، نشر كولان وبروفنسال، ليدن، ١٩٤٨م.

– العوتبى: سلمة بن مسلم الصحارى (ت القرن الخامس الهجرى):

– كتاب الأنساب، ٢ جزء، تحقيق محمد الصليبى، سلطنة عمان ١٩٨٤م.

– أبو الفرج الأصفهانى: على بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ):

– كتاب الأغانى (طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة).

– ابن قتيبة الدينورى: عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ):

١– عيون الأخبار، القاهرة، ١٩٧٣م.

٢– المعارف: تحقيق ثروت عكاشة، القاهرة ١٩٦٩م.

– قدامة بن جعفر (ت ٣٢٩ هـ):

– الخراج وصنعة الكتابة (طبع العراق ١٩٨١م).

– القلقشندى: أحمد بن على بن أحمد (ت ٨٢١ هـ):

– صبح الأعشى فى صناعة الانشاء، ١٤ جزء (طبع الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة).

– كتاب السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان (جزء ١) تحقيق سيدة اسماعيل كاشف، القاهرة ١٩٨٦م.

– ابن كثير: عماد الدين أبو الفدا اسماعيل (ت ٧٧٤ هـ):

– البداية والنهاية، القاهرة ١٩٣٣م.

– الكندى: أبو عمرو محمد بن يوسف (ت ٣٥٠ هـ):

– كتاب الولاة والقضاة، تحقيق رفن جست، بيروت ١٩٠٨م.

– المبرد: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر (ت ٢٨٥ هـ):

– الكامل فى اللغة والأدب، بيروت، بدون تاريخ).

– أبو المحاسن: جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤ هـ):

– النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (طبع دار الكتب سنة ١٩٦٣م).

– محمد بن أبى عثمان الجازمى:

– كتاب النسب، القاهرة سنة ١٩٧٣م.

– المسعودى: على بن الحسين بن على (ت ٣٤٦ هـ):

١– التنبيه والإشراف (بيروت ١٩٨١م).

٢– مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٥٨م.

– أبو منصور الجواليقى: موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر:

– المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة ١٩٦٩م.

– نور الدين السالمى: أبو عبد الله محمد بن حميد بن سلوم:

– ترجمة الأعيان بسيرة أهل عمان، القاهرة بدون تاريخ.

- النويرى: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢ هـ):
- نهاية الأرب فى فنون الأدب (طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب).
- ابن هشام: أبو محمد عبد الملك المعافرى (ت ٢١٣ هـ):
- السيرة النبوية، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، القاهرة ١٩٧٨م.
- أبو هلال العسكرى: (توفى فى بداية القرن الخامس الهجرى):
- كتاب الأوائل، الرياض سنة ١٩٨١م.
- الهمدانى: أبو بكر محمد بن أبى عثمان الحازمى (ت ٥٨٤ هـ):
- عجالة المبتدى وفضالة المنتهى فى النسب، تحقيق عبد الله كنون، القاهرة ١٩٧٣م.
- الواقدى: محمد بن عمر بن واقد (٢٠٧ هـ):
- كتاب المغازى، تحقيق مارسدن جونس، اكسفورد ١٩٦٥م.
- ياقوت الحموى: شهاب الدين بن عبد ا لله (ت ٦٢٦ هـ):
- معجم البلدان، بيروت ١٩٥٥م.
- اليعقوبى: أحمد بن جعفر بن وهب (ت ٢٨٤ هـ):
- تاريخ اليعقوبي (طبع بيروت بدون تاريخ).

ثانياً: المراجع الحديثة:

- أطهر مباركبورى الهندى:
- العرب والهند فى عهد الرسالة، ترجمة عبد العزيز عزت، القاهرة ١٩٧٣م.
- ج . س ولكنسن:
- بنو الجلندى فى عمان (نشر وزارة التراث القومى، سلطنة عمان، ١٩٨٢م).
- ابن رزيق: حميد بن محمد:
- الشعاع الشائع باللمعان فى ذكر أئمة عمان (نشر وزارة التراث القومى - سلطنة عمان، ١٩٧٨م).
- سالم بن حمد بن شامس السيابى:
- عمان عبر التاريخ (نشر وزارة التراث القومى - سلطنة عمان، ١٩٨٢م).
- السالمى: نور الدين عبد الله بن حميد (ت ١٣٣٢ هـ):
- تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان (طبع القلعة بمصر بدون تاريخ).
- سرحان بن سعيد الازكوى:
- كتاب تاريخ عمان: المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، تحقيق عبد المجيد القيسى، القاهرة، ١٩٨٠م.

- سيدة اسماعيل كاشف:

- عمان فى فجر الإسلام (نشر وزارة التراث القومى - سلطنة عمان، ١٩٨٩م).

- سيف بن حمود بن حامد البطاش:

- إرشاد السائل إلى معرفة الأوائل، سلطنة عمان ١٩٨٨م.

- Simon Ockley: History of the Saracent, London, 1847.

- على حسنى الخربوطلى:

- تاريخ العراق فى ظل الحكم الأموى، القاهرة ١٩٥٩م.

- عوض خليفات:

- نشأة الحركة الأباضية، عمان ١٩٧٨م.

- محمد رشيد العقيلى:

- الأباضية فى عمان وعلاقاتها مع الدولة العباسية فى عصرها الأول (نشر وزارة التراث القومى - سلطنة عمان، ١٩٨٤م).

- محمد شكرى الالوسى:

- بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب، جزء ٣ (القاهرة بدون تاريخ).

- William Moir: The Caliphate decline decline and Fall, London, 1924.

فهرس الموضوعات



تأليف الدكتور
عبد المنعم عبد الحميد سلطان
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية الآداب بسوهاج
وكلية الآداب جامعة السلطان قابوس سابقاً

كتب للمؤلف من نشر المكتب الجامعي الحديث

١ - العرب والفرس قراءة جديدة لدور القوميتين في سقوط الدولة الأموية وإحداث العصر العباسي الأول
٢ - دراسات في التاريخ والحضارة الإسلامية
٣ - آل المهلب العمانيون في العصر الإسلامي
٤ - تاريخ عمان وعصر النبوة
٥- الحركة التجارية ونظام الأسواق
٦- تاريخ عمان والخليج في العصر الإسلامي

كتب للمؤلف تحت الطبع

قريبا

* تاريخ عمان وعصر الخلفاء الراشدين
* تاريخ عمان وعصر الدولة الأموية
* تاريخ عمان وعصر الدولة العباسية



المكتب الجامعى الحديث
مساكن سوتير- أمام سيراميكا كليوباترا
عمارة (5) مدخل 2 الأزاريطة - الإسكندرية
تليفاكس : 00203/4865277 - تليفون : 00203/4818797
E-Mail : modernoffice25@yahoo.com